جامعة الموصل
كلية الآداب
قسم التاريخ



دور الوزراء في الصراعات السياسية الداخلية على السلطة في دولة المغول الايلخانيين

٦٥٦ ـ ٧٣٦ هـ / ١٢٥٨ ـ ١٣٣٥ م

شيرين علي احمد السبعاوي

رسالة ماجستير
التاريخ الإسلامي

بإشراف
الاستاذ الدكتور
علاء محمود قداوي

١٤٣٣ هـ ٢٠١٢ م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾
كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

سورة طه

الآيات (٢٩–٣٥)

المقدمة

حظي تاريخ المغول باهتمام عدد قليل من الباحثين فقد غطت بضع دراسات حياة جنكيز خان وتكوين إمبراطوريته وعن حروب المغول ، كحملاتهم للمشرق الإسلامي وإسقاطهم للدولة الخوارزمية والخلافة العباسية ولبلاد القفجاق والهند والصين وعن تأسيسهم للكيانات السياسية ومغول خانية كخانية مغول القفجاق جنوب روسيا ، وخانية مغول جغتاي في آسيا الوسطى وايلخانية إيران والعراق التي أسسها هولاكو وبقدر تعلق الأمر بايلخانية هولاكو وأسرته فهي الأخرى تناول الباحثين جوانب عديدة منها طغى على معظمها الاهتمام بحملة هولاكو على بلاد إيران والعراق وعن تكوين هذه الايلخانية والأحداث التي شهدتها على عهد ايلخاناتها لاسيما ما يتعلق منها بالعلاقات السياسية مع دولة المماليك في مصر وبلاد الشام ومع مغول القفجاق والجغتاي ومملكة أرمينيا الصغرى وملوك أوربا في حين هذه الدراسة غطت جانب آخر من تاريخ تلك الدولة الذي لم يقل أهمية عن الجوانب الأخرى ، وتمثل بدراسة الصراعات السياسية والتي شغلت حيزاً مهماً من تاريخ تلك الدولة وكان لهذه الصراعات تأثير مباشر في إيصال بعض الأمراء إلى منصب الايلخانية والإيقاع بايلخانات آخرين ، كما أنّ انشغال الوزراء في صراعاتهم سبب حالات من الإرباك والفوضى السياسية والتدهور الاقتصادي الذي انعكس على حياة العامة من الناس ولاسيما عندما يكون هناك أكثر من وزير على منصب الوزارة وصلاحياتهم متداخلة فكان كل وزير يحاول أن يربك عمل الآخر لغرض الإيقاع به عند الايلخان لينفرد هو وحده في منصب الوزارة وان يحوز على رضا الايلخان على حساب الآخر وهذا ما تطلب من كل وزير أن يعمل على كسب الأمراء المتنفذين في الدولة وهذا لا يتحقق في الغالب إلا من خلال دفع الرشاوي والأموال الطائلة لهؤلاء على حساب خزينة الدولة ، وعندما يكتشف أمره يكون الثمن بأن يجرم وتصادر أمواله وربما يقتل إذا اقتنع الايلخان بأن التهم الموجهة إليه صحيحة ، والتي في الغالب هي تهم كيدية من منافسه الوزير الآخر.

هذه الصراعات هي موضع دراستنا التي قسمناها إلى تمهيد وأربعة فصول.

جاء التمهيد بعنوان ((تكوين دولة المغول الايلخانيين)) وفيه تناولنا التاريخ المبكر للمغول من حيث انتمائهم ومناطق تواجدهم ، وعن هجراتهم وكفاحهم من اجل البقاء ، وعن

حياتهم الاجتماعية ومعتقداتهم الدينية ، ومن ثم تحدثنا عن بداية نهوضهم وعن نشأة تيموجين وكفاحه من اجل الزعامة ، وكيف وحد القبائل المغولية تحت قيادته إلى أن تمكن من تأسيس إمبراطورية واسعة الأرجاء سن لها القوانين ، وكذلك تحدث الباحث عن غزوه للعالم الإسلامي وما أصاب هذه الدول من ويلات على يده وصولاً إلى الاحتلال المغولي لبغداد على يد هولاكو الذي أسس الدولة المغولية الايلخانية (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) .

وجاء الفصل الأول بعنوان ((دور وزراء الجوينيين في الصراع على السلطة في دولة المغول الايلخانيين حتى عهد الايلخان أرغون)) حيث أعطى الباحث في بدايته نبذة عن الوزارة ونشأتها وتطورها ، ثم تحدث الباحث عن وزراء الإمبراطورية المغولية قبل قيام دولة المغول الايلخانيين وعن ابن العلقمي كأول وزير للايلخانيين ، ومن ثم تعقب الباحث بالدراسة وزراء الجوينيين من حيث توليهم لمنصب الوزارة والمؤامرات التي أحيكت ضدهم ، ودورهم في الصراع على السلطة إلى جانب الايلخان أحمد تكودار الذي أودى بحياتهم في النهاية.

أما الفصل الثاني فقد جاء بعنوان ((بوقا وسعد الدولة اليهودي ودورهما في الصراع على السلطة على عهد الايلخان أرغون)) تناول الباحث فيه دور بوقا في إيصال الايلخان أرغون إلى منصب الايلخانية ومكافأة أرغون خان له على دوره بتقليده منصب الوزارة إلى أن أتت نهايته من خلال محاولة الانقلاب على أرغون وكانت تلك فرصة لسعد الدولة اليهودي لكي يرتقي إلى منصب الوزارة وبدوره استغل سعد الدولة توليه لهذا المنصب من خلال استبداده بالسلطة وإيذائه للمسلمين وتقريبه لليهود والنصارى لكن الحال لم يدم طويلاً لسعد الدولة حيث أدت وفاة أرغون خان الذي كان يحميه إلى نهايته ونكبة اليهود.

وخص الفصل الثالث الذي جاء بعنوان ((صراع الوزراء على عهد الايلخانات الاربعة كيخاتو وبايدو وغازان واولجايتو)) وفيه تعقب الباحث بالدراسة تولي عدد من الشخصيات لمنصب الوزارة منهم صدر الدين الزنجاني الذي لعب دوراً كبيراً في الصراع على السلطة بين ايلخانين وهما غازان وبايدو ، وفي هذا الصراع وقف صدر الدين إلى جانب غازان وبمساعدته وصل إلى منصب الايلخانية وكسب للمرة الثانية منصب الوزارة ، لكن الأمر لم يدم له بسبب استغلال نفوذه وتوزيعه لوظائف الدولة على غير مستحقيها ، إضافة إلى قيامه بعدة أعمال لم يرضَ عنها غازان خان فقرر التخلص منه ، وكانت نهايته فرصة

ثمينة لرشيد الدين لتولي منصب الوزارة ، ولكن في هذه المرة قرر غازان خـان أن يـولي إحدى الشخصيات ويدعى سعد الدين الساوجي إلى جانب رشيد الدين في منصـب الـوزارة بسبب توسع إمبراطورية غازان خان وبسبب تعقد الأمور وتشعبها ، ولكي يخفف من وطـأة (الدكتاتورية) التي تفشت بين الوزراء والأمراء لذلك قرر تعيين وزيرين في آن واحـد وفـي أثناء تولي هذين الوزيرين لمنصب الوزارة تعرضا لعدد كبير من الوشايات من قبل الأمـراء الذين كان وجود الوزيرين يعيق وصولهم إلى مبتغاهم ، ولتشكل هذه الوشايات بعدها مرحلـة من الصراعات بين الوزراء على السلطة انتهت بمقتل سعد الدين الساوجي وبدايـة صـراع جديد بين رشيد الدين وبين الوزير الجديد ويدعى علي شاه الجيلاني.

أما الفصل الرابع الذي جاء بعنوان ((دور الوزراء في الصراع على السلطة في عهد أبي سعيد وخلفائه)) فيه تناول الباحث بالدراسة تولي عدد من الشخصيات لمنصـب الـوزارة والصراعات السياسية بينهم وبين الأمراء والتي أدت في كثير منها إلى مقتل الوزراء وإحلال آخرين محلهم وبالتالي أدت إلى إضعاف الدولة بسبب مقتل أكثر الوزراء كفئاً والـذين كـان وجودهم يشكل عنصراً مهماً لقوة الدولة منهم الوزير رشيد الدين الذي قدم الكثير من الخدمات الجليلة للدولة المغولية الايلخانية وبعد مقتله خلال الجو لعلي شاه لينفرد بالسلطة إلى أن توفي وبعد وفاته تولى عدد من الوزراء كانت مدة حكم الواحد منهم لا تتجاوز السـنة أو السـنتين وكانوا على درجة كبيرة من الضعف ، بعد ذلك اشتد الصراع ليذهب ضحيته الوزير دمشـق خواجة والأمير جوبان وأبنائه ، تلت ذلك مدة من الهدوء ابتدأت بتولي غياث الدين بن رشـيد الدين لمنصب الوزارة وانفراده بها على عهد أبي سعيد خان ولكن وفاة أبو سعيد خـان سـنة (٧٣٦هـ/١٣٣٥م) أدخلت البلاد في فوضى عارمة انتهت بسقوط الدولة المغولية الايلخانيـة، وبقيام الدولة الجلائرية على أنقاضها بقيادة الشيخ حسن بن حسين الجلائري ، وهكذا بسـقوط الدولة الايلخانية انتهى دور الوزراء في الصراع على السلطة.

تحليل المصادر والمراجع:

تاريخ فاتح العالم جهانكشاي لمؤلفه علاء الدين ابو المظفر عطا ملك بن الصـاحب محمد بن محمد بن علي الجويني ولـد سـنة (٦٢٣ه/١٢٢٥م) وتـوفي فـي بغـداد سـنة

(٦٨١هـ/١٢٨٣م) ، وعلاء الدين واحد من أبرز السياسيين الذين تناول الباحث حياته بالدراسة كواحد من ابرز الوزراء الذين اضطلعوا بدور مهم في العراق عقب الغزو المغولي لها ، فضلا عن مكانة اسرته السياسية والادبية في الدولة اذ نال اغلب افراد اسرته مناصب سياسية عليا في الدولة ، اضافة الى كونه شاهد عيان على الاحداث التاريخية التي رافقت هولاكو في رحلته المشؤومة لغزو العالم الاسلامي ويعد كتابه من الكتب القيمة التي افادت الدراسة كثيراً ، ويشتمل الكتاب على مجلدين ، اولهما يتحدث عن اصل المغول وفتوحات جنكيز خان ، والثاني عن ملوك خوارزم المعروفين باسم خوارزمشاه ، ويعد كتابه وثيقة معاصرة ، يأخذ قيمته من منصب صاحبه الرفيع ، ومن أنه كتاب جامع عن المغول.

جامع التواريخ لمؤلفه ابي الفضل فضل الله ابي الخير بن عالي الهمذاني ولد سنة (٦٣٨هـ/١٢٤٠م) وقتل سنة (٧١٨هـ/١٣٢٠م) ، وكان جده يهودياً يعيش مع الإسماعيلية في جبال قوهستان ، وحين سلمت قلاعهم للمغول اتصل بهم ودخل في خدمتهم ومن هنا كان رشيد الدين متهماً في عقيدته ، وكان أبوه عطاراً يهودياً وقد نشأ هو على هذا الدين لكنه درس علوم الاوائل (المختصين بالعلوم العقلية من غير المسلمين ومن الامم الاخرى) والطب ثم اسلم ، بدا رشيد الدين يتسلم المناصب الحكومية في عهد اباقا فقد كان يعمل طبيباً حتى تبوأ اعلى المناصب وأضحى في عهد غازان من ابرز الوزراء وقد تناوله الباحث بالدراسة كونه من اكفأ الوزراء في دولة المغول الايلخانيين ترك وراءه الكثير من الاعمال العمرانية والادبية ابرزها كتابه جامع التواريخ الذي كتب باللغتين العربية والفارسية وهو كتاب جامع للتواريخ المعروفة في ذلك الزمن ، وكان مشروع الكتاب بناءاً على اقتراح غازان خان الذي كان عارفاً بتاريخ قومه وقبائلهم وايامهم فزود رشيد الدين بمعلوماته لأنه اراد تخليد ابائه واجداده قبل ان يفرض عليها النسيان ، اضافة الى ان المغول كانوا يحتفظون في خزائنهم وثائق مدونة باللغة المغولية عن تاريخهم الا انها لم تكن مرتبة فاراد غازان البحث عن كاتب ليجعل منها كتاباً شاملاً عن تاريخهم ، وقد اعان رشيد الدين على عمله معرفته للغة المغول وحياتهم الماضية ومشاهير رجالهم الشيء الكثير ، اضافة الى أنه عرف بجذور القوم ، وعن تاريخ اسلامهم وما قاموا به من الفتوحات ، ومن الاحداث التي هزت العالم الاسلامي ، وتناول اداراتهم ومدى تدخلهم فيها ، وان قانون الياسا الذي وضعه جنكيز خان ظل المنهج الذي

اتبعوه وبهذا الشكل زاد الكتاب في معلوماتنا عن المغول كثيراً ، وقد انجز رشيد الدين كتابه بحدود سنة (٧١٠هـ/١٣١٢م) باللغة الفارسية الى ان ترجم بعد سنوات طويلة الى اللغة العربية على يد الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد وتضمن الكتاب عدة مجلدات واجزاء ، افادت الدراسة إفادة جمة.

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة لمؤلفه كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن ابي المعالي محمد الشيباني البغدادي الاصل والمعروف بالفوطي ولد في بغداد سنة(٦٤٢هـ/١٢٤٤م) وتوفي سنة (٧٣٣هـ/١٣٣٤م) ، وقد عمل ابن الفوطي مع الدولة المغولية الايلخانية في مراغة مدة طويلة بوصفه عاملاً في مرصدها ، وقد كان له المام في المنطق والفلسفة ، وبعد مدة تمكن علاء الدين الجويني من اعادته الى بغداد بوصفه حاكم بغداد وفوض اليه كتابة التاريخ والحوادث رسمياً وكتب له الاجازة بجميع مصنفاته ، ولكنه فقد الرعاية بعد وفاة علاء الدين واخذ يتنقل كثيراً في محلات بغداد الى ان اشرف على دار الكتب في المدرسة المستنصرية وقد بقي في عمله هذا حتى وفاته ، وخلال المدة الطويلة من عمله سافر الى بلاد فارس واذربيجان عدة مرات وقد تلقى العناية من رشيد الدين الهمذاني الى وفاة الاخير سنة (٧١٨هـ/١٣٢٠م) ، ويعد ابن الفوطي مؤرخاً وترك ثروة من الكتب التاريخية التي ألفها في عمره الطويل واطلاعه الواسع وقد افادنا كتابه بشكل كبير في الفصل الاول والثاني والثالث حيث اعطانا تفاصيل دقيقة عن الوزير علاء الدين الجويني وأخيه شمس الدين وعن الوزير سعد الدولة اليهودي وعن عدد كبير من الوزراء موضوع دراستنا.

ويعد تاريخ **مختصر الدول** لمؤلفه غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري المتوفي سنة (٦٨٥هـ/١٢٨٧م) وكتابه تاريخ الدول السرياني من الكتب التي أفادت الدراسة كون المؤلف كان راعياً لكنيسة السريان التابعة لأملاك الدولة المغولية الايلخانية فسجل الكثير من الأحداث التاريخية من مصادر اطلع عليها عن القبائل المغولية وعن وزراء المغول وايلخاناتهم وجلوسهم على كرسي الايلخانية والصراع بينهم حتى وفاته سنة (٦٨٥هـ/١٢٨٧م).

ومن المصادر الأخرى التي أفادت البحث كثيراً **تاريخ ابن خلدون** المتوفي سنة(٨٠٨ ه/١٤٠٦م) **المسمى بالعبر وديوان المبتدأ والخبر** من جلوس ايلخانات المغول على

سدة الحكم ومن تعيين بعض الوزراء ومقتل البعض الاخر ويجاريه في الأهميـة كـل مـن المقريزي المتوفي سنة (٨٤٥هـ/١٤٤١م) في كتابه **السلوك لمعرفة دول الملـوك** والعينـي المتوفي سنة(٨٥٥ه/١٤٥١م) في كتابه **عقد الجمان** وابن تغري بردي المتوفي سـنة (٨٧٤ ه/١٤٢٦م) في كتابيه **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، والنجوم الزاهرة فـي ملـوك مصر والقاهرة.**

وهناك مجموعة اخرى من المصادر افادت البحث ايضا منها كتاب **مآثر الأناقة فـي معالم الخلافة** للقلقشندي المتوفي سنة (٨٢١هـ/١٤١٨م) الذي امد الرسالة بمعلومـات عـن ايلخانات المغول ووزرائهم وكتاب **مختصر التاريخ من أول الزمان الى منتهى دولـة بنـي العباس** لمؤلفه ابن الكازروني المتوفي سنة(٦٩٧ه/١١٨٣م) وهو كتـاب مختصـر يتنـاول التاريخ الاسلامي بدءاً من الرسول الاعظم (ﷺ) الى اخر الخلفاء العباسيين واعطانا معلومات عن سقوط بغداد وعن الوزير ابن العلقمي وعن حصار المغـول للمـدن ، وامـا المصـادر الفارسية فتضمنت عدة كتب كانت ثروة في المعلومات منها كتاب **تاريخ وصـواف** ، لمؤلفـه عبد الله الشيرازي المتوفي سنة (٧١٩ه/١٣١٩م) الذي قدم معلومات قيمة عن المغول وعـن وزراء المغول وقد عاصر الوزير رشيد الدين وأرّخ له وألّف للوزراء من جاء بعده ، وكتاب تاريخ **كزيدة** لمؤلفه القزويني المتوفي سنة (٨٥٠هـ/١٤٤٦م) ايضا تضمن معلومـات قيمـة عن وزراء المغول ودورهم في الحياة السياسية وكتاب **حبيب السير في اخبار خيـر البشـر** لخواندمير المتوفي سنة (٩٤٢ه/١٥٣٨م) ، الذي وضع كتاباً اخر ايضا بعنوان **دسـتور الوزراء** وفي كلا الكتابين أرّخ لوزراء المغول من بداية حياتهم الى وفاتهم وقد افاد الرسـالة افادة جمة وكتاب **روضة الصفا** لميرخواند المتوفي سنة (٩٠٣ه/١٤١٠م) وكتاب **ذيل جـامع التواريخ** لحافظ ابرو المتوفي سنة (٨٣٣ه/١٤٢٩م) وكلاهما من الكتب القيمة لدراسة احداث وزراء المغول ونهاية كل من وزير منهم وفيه معلومات قيمة عن ايلخانات المغول غاية فـي الاهمية.

ومن المصادر التي اغنت الرسالة كتاب **سيرة جلال الدين منكبرتي** لمؤلفـه النسـوي المتوفي سنة (٦٣٩ه/١٢٤١م) الذي أمد الرسـالة بمعلومـات عـن حـروب المغـول مـع الخوارزميين على عهدي علاء الدين وجلال الدين وكتاب **دول الاسلام** للذهبي المتوفي سـنة

(٧٤٨هـ/١٣٤٧م) اضافة الى كتابيه **تاريخ الاسلام والعبر** وهما من الكتب المهمة للدراسة ، فضلا عن كتاب **البداية والنهاية** لابن كثير المتوفي سنة (٧٧٤هـ/١٣٧٢م) الذي أمدنا بمعلومات عن اصول المغول وعاداتهم ومعتقداتهم وعن المراسلات بين المغول والخليفة العباسي المستعصم بالله وعن حروب المغول وحملاتهم على العالم الاسلامي وعن قوانينهم ، وقدم معلومات عن بعض وزراء المغول ويجاريه في الاهمية كتاب **عيون التواريخ** للكتبي المتوفي سنة (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) وكتاب **فوات الوفيات للمؤلف نفسه** حيث قدم في كلا الكتابين معلومات قيمة عن وزراء المغول ، وكتاب **الوافي بالوفيات** للصفدي المتوفي سنة (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) وكتاب **شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد** افادتنا في موضوع الدراسة.

ومن المصادر التي افادتنا ايضا كتاب **رحلة ابن بطوطة** المسماة **تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار** لابن بطوطة المتوفي سنة(٧٧٩هـ/١٣٣٧م) الذي دوّن مشاهداته لرحلته التي جاب فيها اجزاء واسعة من بلاد الامبراطورية المغولية وكتاب **المختصر في أخبار البشر** لابي الفداء وكتاب **الدرر الكامنة** لابن حجر العسقلاني المتوفي سنة (٨٥٢هـ/١٤٤٨م) **وكنز الدرر وجامع الغرر** للدواداري المتوفي سنة (٧٢٥هـ/١٣٢٤م) **وذيل مرآة الزمان** لليونيني المتوفي سنة (٧٢٦هـ/١٣٢٥م) وغيرها من الكتب التي أغنت الدراسة بالمعلومات المفيدة .

اما بخصوص المراجع الحديثة فيعد كتاب **تاريخ المغول** من حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية للمؤرخ الإيراني عباس إقبال من الكتب المهمة التي قدمت معلومات وافرة عن المغول ووزرائهم ولا يقل عنها في الأهمية مؤلفات الصياد الثلاث **الشرق الإسلامي في عهد الايلخانيين والمغول في التاريخ ومؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني** الذي يتقن اللغة الفارسية والذي ساهم في ترجمة الكثير من النصوص الفارسية لمصادر مهمة وكتب أغنت الدراسة ، وكذلك كتاب **تاريخ الدولة المغولية في إيران** لمؤلفه عبد السلام عبد العزيز فهمي من الكتب المهمة.

ويأتي في الاهمية كتاب **حياة تيموتشجين** لمؤلفه كيتشانوف من المراجع المهمة لاحتوائه على وثائق مهمة عن الجذور التاريخية للمغول وعن قبائلهم وعن حياة تيموجين من

اجل الزعامة وكثير من التفاصيل وكتاب **جنكيز خان وجحافل المغول** لهارولد لامب الذي قدم معلومات وافرة عن حياة جنكيز خان وتأسيس إمبراطوريته.

وهناك مجموعة أخرى من المصادر لا يسع المجال لذكرها هنـا مثبتـة فـي ثبـت المصادر والمراجع .

التمهيد

تكوين دولة المغول الايلخانيين

يمكن ان نعد العصر المغولي واحداً من أكثر العصور التاريخية إثارة للفزع والرعب في نفوس الناس ، وقد جذب هذا العصر أنظار المؤرخين والباحثين قياساً إلى غيره من العصور التي تتعلق بتاريخ العالم [١] ، فهو كما قال عنه السيوطي ((هو حديث يأكل الأحاديث وخبر يطوي الأخبار ، وتاريخ ينسي التواريخ ، ونازلة تصغر كل نازلة))[٢] ، فقد كانت حملاتهم المدمرة على مراكز الحضارة في الصين وإيران والعراق واسيا الصغرى وسوريا وشرق أوربا تمثل أهم الفترات في تاريخ البشرية [٣] ، فهم حقاً كما وصفهم انستاس الكرملي: ((متلفون للعمران ، مهلكون للمجتمع البشري ، فعلوا من الأفاعيل ما يرتعد لها فرائص الإنسانية من قتل ونهب وإفساد وإحراق ومنكرات))[٤].

ظهر المغول على مسرح التاريخ أواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، ثم برزوا كقوة عالمية ذات شهرة واسعة النطاق خارج موطنهم منغوليا في العقد الأول والثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، وقد استطاعوا تأسيس اكبر إمبراطورية عالمية عرفها تاريخ البشرية في اقصر مدة ، حيث تكونت إمبراطوريتهم المترامية الأطراف من الجزر اليابانية والمحيط الهادي شرقاً إلى قلب القارة الأوربية غرباً ، ومن سيبريا وبحر البلطيق شمالاً إلى الحدود الشمالية للجزيرة العربية وبلاد الشام جنوباً[٥].

---

(١) الصياد، فؤاد عبد المعطي، الشرق الإسلامي في عهد الايلخانيين، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، (جامعة قطر: ١٩٨٧م)، ص ١١.

(٢) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة للطبع والنشر، (القاهرة: ١٩٧٥م)، ٤٤١ .

(٣) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ١١ .

(٤) الكرملي، انستاس ماري، خلاصة تاريخ العراق منذ نشوئه إلى يومنا هذا، البصرة، ١٩١٩، ص ١٣٤ .

(٥) الصلابي، علي محمد محمد،المغول بين الانتشار والانكسار، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والكتابة، ط١ (القاهرة: ٢٠٠٩م)، ص ٢٤ ؛ سليمان، أحمد السعيد، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، (مصر:١٩٧٢م)، ج٢ ، ص ٤٦٥ ؛ حسن، محمد عبد الغني، صراع العرب خلال العصور، مؤسسة المطبوعات الحديثة، (القاهرة: د:ت)، ص ٦٦ ؛ القصاب، محمد يونس، مغول القفجاق وعلاقتهم السياسية

وقد وردت معلومات عن المغول قبل عصر جنكيز خان في نقوش اروخون في القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد (١) تبين انتمائهم إلى العنصر التركي (٢).

نشأ المغول في منطقة الهضاب المعروفة اليوم بهضبة منغوليا (٣) شمال صحراء جوبي (٤) ، والتي تمتد من أواسط آسيا بين سيبريا شمالاً وشمال التبت ، ومن منشوريا غرباً إلى شرقي التركستان (٥)

=بالمماليك والايلخانيين، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى عمادة كلية الاداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٤م، ص ١٢.

(١) نقوش اورخون: هي اقدم اثار تركية انشأها الترك انفسهم عن تاريخهم فاصحاب هذه الاثار قد سموا انفسهم لاول مرة في التاريخ بالترك وهم قوم ظهروا في القرن الثامن الميلادي، واسسوا لهم دولة امتدت في هذه الفترة من حدود الصين الى ايران، نقوش ارغون، ينظر: القلقشندي، ابو العباس أحمد بن علي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: ابراهيم الابياري، الناشر دار الكتب اللبناني، ط٢، (بيروت، لبنان، ١٩٨٢م)، ص ٢٨، ٢٩ ؛ الكاشفري، محمود بن حسين بن محمد، ديوان لغات الترك، دار الخلافة العلمية، المطبعة العامرة، ط٥، ١٣٣٣هـ/ مج١/ ج٢/ ص ٣- ٢٧-٢٨-٥٦ ؛ بارتولد، فاسيلي فلاديمير وفنتش، تاريخ الترك في اسيا الوسطى، ترجمة: أحمد السيد سليمان، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٤-١١ – ٣٤ ؛ بارتولد، مادة ترك، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية /م٥ / ص ٤٦ ؛ النجار، رغد عبد الكريم: صراع الأسرة الملكية الحاكمة على السلطة في إمبراطورية المغول، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى عمادة كلية الاداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٨م ، ص ١٧.

(٢) ابن العميد، المكيه جرجيس، أخبار الأيوبيين، تحقيق: كولد كاهن، (دمشق، ١٩٥٨م)، ص ٢٨ ؛ بابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، التعريف بابن خلدون رحلته غرباً وشرقاً، تعليق: محمد بن تاويت الطنجي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص ٣٥١ ؛ العيني، بدر الدين ابو محمد محمود بن محمد، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧ ، ص ٢١ ؛ الرمزي، م.م. تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج١، ص ٣٣٧ ؛ سرخنك، الميرالدي إسماعيل، حقائق الأخبار عن دول البحار، المطبعة الأميرية ببولاق، ط١، مصر، ١٣١٤هـ، ج٢ ، ص ١٦٥.

(٣) منغوليا: تقع شمال السور الصيني وغرب منشوريا الممتد شمالاً إلى الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتي السابق، ينظر: ديزهو ويلد وآخرون، جغرافية العالم الإقليمية، آسيا، إفريقيا، أمريكا، (بيروت، بيروت: ١٩٦٤م)، ج٢/ ص ١٤٨-١٤٩ .

(٤) صحراء جوبي، هي سهول فسيحة من الأراضي الصحراوية والمراعي الجافة، وتحتل معظم منغوليا، ينظر: ويلد، جغرافية العالم، ج٢/ ص ١٤٩ .

(٥) بدر، مصطفى طه، محنة الإسلام الكبرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، (مصر: ١٩٩٩م)، ص ٧٣ ؛ الجبوري، طارق موسى عبد الله، دور الفئات الاجتماعية في العراق وبلاد الشام في التصدي

بين جبال التاي غرباً وجبال خنجان شرقاً [1] وهذه المنطقة مناخها قارٍ قاسٍ إذ تصل درجات حرارتها صيفاً إلى (٦٠° م) ، في حين تنخفض في فصل الشتاء الطويــل إلــى دون درجة التجمد ، مع قلة الأمطار المتساقطة التي تكفي لنمو الحشائش القليلة [2] وهــذا بــدوره انعكس على حياتهم الاجتماعية والاقتصادية ، إذ كانوا كثيري التنقل والهجرة من مكان إلــى آخر بحثاً عن الماء والكلأ [3] ، ولم يكونوا يرغبون في الاستقرار وبناء المدن الكبيرة وغيــر ذلك من مظاهر الحضارة المستقرة ، بل أخذت جموعهم تضرب في الأرض بــين أطــراف الصين ومنشوريا إلى بحيرة بايكال القريبة من تركستان الإسلامية[4].

تكون شعب المغول من قبائل كثيرة العدد غلب عليهم اسم التتر [5] ، يصعب التمييــز بينها لاتساع رقعة اراضيهم المفتوحة ولكثرة بطونهم ومن هذه القبائل قبيلة اويرات التي تعــد من القبائل الكثيرة العدد ومناطق انتشارهم بين نهر اونون وبحيرة بايكال [6] ، وكذلك قبيلــة

للاحتلال المغولي، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠١٠م ، ص ٥٧ .

(١) رانسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: الباز العريني، دار الثقافة، (بيروت، ١٩٦٩م)، ج٣، ص ٤١٠ ؛ الصياد، المغول في التاريخ، (بيروت: ١٩٨٠م)، ج١/ص ٣٠-٣١ ؛ بدر، محنــة الإســلام، ص ٧٣ .

(٢) حسن ابو العينين، جغرافية العالم الإقليمية، آسيا الموسمية وعالم المحيط الهادي، (بيروت: ١٩٨١م)، ج١ ، ص ١٨١-٥٠٧ .

(٣) حمدي، حافظ أحمد، الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، (مصر: ١٩٥٠م)، ص ١٣٧ .

(٤) العدوي، إبراهيم أحمد، العرب والتتار، دار القلم، ١٩٦٣م، ص ٢٥ ؛ عبــد الحميــد العبــادي، محمــد مصطفى ، الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها، (القاهرة: د:ت)، ص ١٣٠ ؛ قداوي، عــلاء محمــود، المغول في الموصل والجزيرة، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى عمــادة كليــة الاداب، جامعــة الموصل، ١٩٨٥م)، ص ٤٦ ؛ الحنون، مصطفى هاشم عبد العزيز، الصــراع بــين المماليــك والقــوى السياسية في المشرق الاسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى عمــادة كليــة الاداب، جامعــة الموصل، ٢٠٠٧م، ص ١٩ .

(٥) الجويني، عطا ملك، تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، نقله عن الفارسية محمد التونجي، دار الملاح للطباعــة والنشر، ط١ ، ١٩٨٥م، مج ١/ ص ٦٩ و ص ٣٣٧ .

(٦) الجويني، تاريخ جهانكشاي، مج١ / ٣٣٧.

وابكراس وبارين وقيسلق وايثلان وجاجيرات ودوريان وسالجيوت وجلاير [١] ، وقيان التي ينتمي اليها جنكيز خان [٢].

اما صفاتهم الجسمية فهم كما وصفهم السيوطي بقوله: ((عراض الوجوه ، واسعوا الصدور ، خفاف الاعجاز، صغار الاطراف، سريعوا الحركة في الجسم والراي، ونساؤهم تقاتل كرجالهم))[٣]، وهم قبل ظهور جنكيز خان كانوا متفرقين ليس لهم حاكم يجمعهم، ولم يكن هناك سلم بينهم بل كانت العلاقة بينهم قائمة على الفرقة والخصومة والبغضاء.

فالمغول على هذا شعب متنقل مفكك، يرفض الاستقرار، يرفض الحضارة وكان عيشهم مقصوراً على الرعي والصيد[٤]، الكبار يصطادون الحيوانات المفترسة، والصغار يلاحقون الجرذان والارانب لغرض الاكل ، وطعامهم يعتمد على الصيد والبهائم [٥]، ومنها لحوم الخيل والبانها [٦]، وخاصة ما يعرف بلبن القمز[٧]، وفي الحروب كانوا اذا نفذ طعامهم طعامهم يعتاشوا على حليب الخيول أو مص الدم من وريد الخيل[٨] ، في حين ان نسائهم كن يصنعن اوتار الاقواس من امعاء هذه الحيوانات، ويثقفن النبال للرجال، وكان من عادات المغول انهم لا يغيرون ملابسهم طوال فترة الشتاء، واما في الصيف فيكتفون بتغييرها مرة واحدة كل شهر، ومن عاداتهم ان لا يغسلوا ملابسهم أبداً بل يلبسونها حتى تبلى، وكانوا

---

(١) العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة بغداد، ١٩٣٥م، ج١ / ص٦٥-٦٨ .

(٢) ثيان: اختلف لفظ هذه القبيلة لدى المؤرخين فمنهم من يسميها قيان ومنهم من يسميها بقيات، ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، مج١ / ص٦٩ ؛ ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل، البداية والنهاية، مطبعة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م ، ج١٣/ ص ١١٨ ؛ القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، دار الكتب العلمية، ط١ ، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ج٤/ ص ٣١٠ .

(٣) تاريخ الخلفاء، ص ٤٤١ .

(٤) الجويني، تاريخ جهانكشاي، مج١/ ص ٢٠.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣/ ص ٨٧ .

(٦) ابن العبري، غريغوريوس الملطي، تاريخ الدول السرياني، منشور مجلة المشرق اللبنانية، بيروت، ١٩٥٤، ص ٤١٨ ؛ حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي، القاهرة، ١٩٦٧م، ج٤، ص ١٣٢ .

(٧) القمز: نبيذ من حليب الخيل واللفظ تتري الاصل، ينظر: المقريزي، تقي الدين ابي العباس أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، (القاهرة، ١٩٤١م)، قسم ١، ج٢ / ص ٧٠٦.

(٨) القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص٢٤٤.

يطلون اجسادهم بالشحم اتقاء البرد والرطوبة [١]، اما لهوهم فعواصف من الصخب والخلاعة والمبارزة وسباق الخيل ومغازلة النساء والإباحية [٢]، اما حياتهم الزوجية فقد كانت بدائية متخلفة ، فلقد كان لديهم تعدد الزوجات والتي تصل في بعض الحالات الى احدى وعشرين زوجة ، ولكن المكانة المتميزة للزوجة الاولى ، وكانوا يقومون بخطف النساء من اجل الزواج سواء أكانت متزوجة ام لا وكانت اسباب الخطف اما ثأرية او انتقامية [٣] ، والمعروف عندهم ، عند وفاة الاب يستطيع الابن ان يتخذ لنفسه زوجات ابيه الا امه ، ولذلك نرى الوفرة في الذرية لديهم اكثر من أي شعب اخر [٤].

اما بشأن معتقداتهم الدينية فإن الدارس لتاريخ هؤلاء الاقوام يجد صعوبة في التعرف على مبادئهم الصحيحة بسبب اتخاذهم ديانات شتى ، فمنهم من كان يعبد الكواكب ويسجد للشمس عند طلوعها [٥] ، وبعضهم يعبد الاصنام ، والبعض الاخر يعبد النار [٦] ، ومنهم من من كان مسلماً او مسيحياً او نسطورياً او مانوياً او يهودياً [٧]، ولكن الاعتقاد الاكثر شيوعاً عندهم هو الاعتقاد بالشامانية وهي ديانة بدائية قديمة تشتمل على عبادة كل قوى الطبيعة [٨] من برق ورعد ورياح وحيوانات مفترسة ونهر وجبل وشمس وقمر ، حيث كان المغول

---

(١) الجويني، تاريخ جهانكشاي، مج١ / ص ٢٠ .

(٢) العمري، شهاب الدين أبو العباس ابن فضل الله، التعريف بالمصطلح الشريف، (القاهرة، ١٣١٢هـ)، ص ص ٣٩٣ .

(٣) بردي، ادوارد، تاريخ الحضارات العام، (بيروت، د.ت)، ج٣ / ص ٣٦٥ .

(٤) الجاف، حسن، الوجيز في تاريخ إيران، بيت الحكمة، ط١ ، بغداد، ٢٠٠٣م ، ج٢/ ص ٢٤٥ .

(٥) ابن الأثير، عزالدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت، ١٩٦٦م، ج١٢ / ص ٣٦٠ ؛ ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص ١٢٩ ؛ الغساني، الملك الاشرف، المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث، بيروت، ١٩٧٥م ، ج٢/ ص ٤٣٠ .

(٦) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات، تحقيق: قسطنطين زريق، المطبعة الامريكية، (بيروت، ١٩٤٢م) مج٥ / ج١ / ص ٢١٠ .

(٧) ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص ١٢٩ .

(٨) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج١ ، ص ١٨ ؛ الجاف، الوجيز، ج٢/ ص ٢٤٥ .

يتقربون اليها تجنباً لشرها وجلب رضاها [1] عن طريق تقديم القرابين ، وهذه الديانة تستقطب حول شخصية الكاهن الذي عرف في سيبريا ، ومن هذه العبارة اشتقت التسمية ، والشامان تصير اليه وظيفته عن طريق الوراثة او باختيار سماوي ويمر بعدة اطوار حتى يتمكن من ممارسة وظيفته التي تجعله رجل دين ورجل سحر وطب وسياسة وحرب [2] ، ولعل منكوخان (٦٤٩-٦٥٥هـ/١٢٥١-١٢٥٧م) خير من عبّر عن عن معتقدات المغول في لقائه الأول إلى بعض القسس بقوله: ((نحن المغول نعتقد بأن هناك الها واحداً له نحيا وله نموت وعندنا قلب يخفق بحبه ، لكن الله الذي أعطى اليد أصابع مختلفة كذلك أعطى الناس طرقاً مختلفة فقد أعطاكم الكتاب المقدس ، لكن المسيحيين لم يحافظوا عليه وقد أعطانا الشامان ونحن نفعل ما يأمروننا به ونعيش بسلام))[3] ، كذلك عبد المغول أرواح أجدادهم حيث كانوا يعتقدون بأن لها القدرة على التملك والسلطان ، وقدرة على حياة أعقابهم [4] ، وقد كان عندهم القوي مستبد والضعيف مستبعد [5] ، ولكن الصفة التي ميزتهم هو هو أنهم متسامحون مع أصحاب الديانات الأخرى [6].

لقد قدر لهؤلاء المغول أن يبرزوا على مسرح التاريخ عندما تولى قيادتهم تيموجين جنكيزخان (ولد ٥٤٩ه/ت ٦٢٤ه) الذي ينتمي إلى قبيلة قيان المغولية [7] ، وقيان هو الجد

---

(١) شبوللر، بارتولد، العالم الاسلامي في العصر المغولي، ترجمة: خالد أسعد عيسى، (دمشق، ١٩٨٢م)، ص ٢١ .

(٢) سبولر، العالم الإسلامي، ص ٢١ .

(٣) القزاز، محمد صالح داؤد، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، النجف، ١٩٧٠م ، ص ٢٠-٢١ .

(٤) حسن، تاريخ الإسلام، ج٤/ ص ١٣٣ .

(٥) رشاد، عبد المنعم، الموصل في عهد السيطرة المغولية الايلخانية، موسوعة الموصل الحضارية، (الموصل، ١٩٢٢م)، مج ١٢/ ص ٢١٤.

(٦) مؤنس، حسن، الشرق الإسلامي في العهد الحديث، (القاهرة، ١٩٣٨م)، ص ٣٩.

(٧) الجويني، تاريخ جهانكشاي، مج١ / ص ٦٩ ؛ صفا ذبيح الله، تاريخ أدبيات درايران، تهران، ١٣٣٨هـ، ج٥/ م١/ ص ٤ ؛ عبد الحكيم، منصور، جنكيز خان إمبراطور الشر وقاهر العالم، دار الكتاب العربي، (دمشق، ٢٠٠٨م)، ص ٥٧ .

الأعلى لهذه القبيلة التي سميت باسمه، ويرجع نسبه إلى اوغوز خان من سلالة يافث بن نـــوح عليه السلام فهو البطل الأسطوري للأتراك الذين نسب إليهم المغول [١].

ولد تيموجين سنة(٥٤٩هـــ/١١٥٥م) [٢] ، في الجانب الأيمن من نهر روبـــون فـــي منطقة دولون بوداق [٣] ، وكان والده يسوكاي بن برتان زعيماً لقبيلة قيان [٤] ، ويسيطر على على ثلاث عشرة قبيلة مغولية متحالفة معه [٥] ، وقد قضى حياته في قتال مستمر دفاعاً عـــن أملاكه ونال شهرة واسعة بين أقرانه من زعماء القبائل وقد كانت العديد من القبائل تؤدي لـــه الضرائب [٦].

لقد كان لدى تيموجين ثلاثة إخوة من أمه اولون ايكي واخوين آخـــرين مـــن زوجـــة اخرى لأبيه ، وقد أطلق والد تيموجين هذا الاسم عليه تخليداً لذكرى انتصاره علـــى خصـــمه الذي كان يحمل هذا الاسم [٧] الذي يعني الحديد [٨] ، وتذكر الروايات التاريخية الاســـطورية أنه عند ولادة تيموجين وجدت إحدى يديه مقبوضة على قطعة متجمدة من الدم فلمـــا تـــداول

---

(١) قداوي، تاريخ العراق في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى عمادة كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٣، ص ٤٥ .

(٢) الرمزي، تلفيق الأخبار، ج١/ ص ٣٤٧ ؛ فامبري، ارمينوس تاريخ بخارى، ترجمـــة: أحمـــد محمـــود الساداتي، شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ١٦٢ ؛ هوخام، هيلدا، تاريخ العين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة: اشرف محمد كيلاني، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، (الثقافـــة، ٢٠٢م)، ص ٢١٩ .

(٣) الجاف، الوجيز، ج٢/ ص ٢٤٧.

(٤) صفا، تاريخ أدبيات، ج٥/ م١/ ص ٤ .

(٥) الصدفي، رزق الله منقريوس، تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهـــلال بمصـــر، ١٩٠٧م)، ج٢/ ص ٢٦٧ ؛ اليوسف، عبد القادر أحمد، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، المكتبة العصرية، (بيروت، ١٩٦٩م)، ص ١٩٠ ؛ لامب، هارولد، جنكيز خان إمبراطور الناس كلهم، ترجمـــة: بهاء الدين نوري، مطبعة سكك الحديد العراقية، بغداد، ص ١٠ ؛ العريني، الســـيد البـــاز، المغـــول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٦٧م / ص ٤٤ .

(٦) لامب، جنكيز خان، ص ١٠ .

(٧) بروي، تاريخ الحضارات، ج٣/ ص ٣٦٠.

(٨) لامب، جنكيز خان، ص ٩ ؛ صفاء، تاريخ أدبيات، ج٥/م١/ ص ٤ .

الحاضرون الحديث عن غرابة ذلك فقال أحدهم إن هذا الطفل سوف يكـــون ملكـــاً عظيمـــاً ، وسوف تظهر على صفعة جبينه آثار الغزو والسيطرة والاستعداد على سفك الدماء [١].

كان تيموجين يرافق والده أثناء رحلاته ، وعندما بلغ التاسعة من عمره ذهب مع والده لزيارة أقاربه ، فالتقى في أثناء الرحلة بأحد زعماء المغول الذي تنبأ لتيموجين بمستقبل زاهر وحرص أن يزوج ابنته بورقة لتيموجين التي كانت لا تتجاوز العاشرة من العمر وهكذا تمت الخطبة في اليوم التالي [٢].

ولما بلغ تيموجين الثالثة عشرة من عمره قُتل والده يسوكاي بن برتـــان فـــي إحـــدى المعارك مع القبائل التترية [٣] ، ونظراً لصغر سنه فقد انصرف عنه الأقارب والأتباع الـــذين أحاطوا بوالده وفقدت أسرته سلطان الزعامة [٤] ، وتذوقت مرارة الجوع والفقر والحرمان بعد بعد أن كانت ذات سيادة وسلطة [٥].

لقد عانى تيموجين وامه وإخوته بعد وفاة يسوكاي ، فقد اصبح من الصـــعب علـــيهم ايجاد طعام كافٍ ففي إحدى المرات اصطاد تيموجين سمكة بعد عناء طويل ثم خبأها ، ولكن أخوه اكتشف مكان السمكة واكلها فقام تيموجين بقتله ممـــا جعـــل والدتـــه تصـــفه بـــالوحش الضاري[٦].

([١]) خواندمير، غياث الدين بن همام الديني الحسيني، حبيب السير في أخبار أفراد البشـــر، كتبخانـــة، خـــام، طهران، ١٣٣٣ مش، ج٣/ ص ١٦ ؛ كيتشانوف، حياة تيموجين جنكيز خان الذي فكر في السيطرة على العالم، ترجمة: طلحة الطيب، منشورات مركز جمعية ماجد للثقافة والتراث، دبـــي، ٢٠٠٥م ، ص ٨٥-٨٧؛ عكاشة، ثروت، إعصار من الشرق (جنكيز خان)، دار الشـــروق، ط١ ، (القـــاهرة، ١٩٩١م)، ص ٣١.

([٢]) الجويني، تاريخ جهانكشاي، مج١/ ص ٣٣٧ ؛ لامب، جنكيز خان، ص ١٤-١٥ .

([٣]) الرمزي، تلفيق الأخبار، ج١ / ص ٣٤٨ ؛ أبو مقلي، محمد وصفي، إيران دراسة عامة، منشورات مركز مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٥م ، ص ٢٢٣ .

([٤]) الجويني،، تاريخ جهانكشاي، مج١/ ص ٢١ .

([٥]) عبد الحكيم، جنكيز خان، ص ٥٧ .

([٦]) لامب، جنكيز خان، ص ١٠.

ازداد وضع تيموجين وأهله سوءاً أكثر من ذي قبل اذ تخلى عنه بقية الأتباع واخـذوا معهم قطعانهم وانضموا لخصوم والده قبيلة التايجوت رغم مساعي والدته ورجاحة عقلها[١] ، لتثبيت مركزه لكنها فشلت في مساعيها [٢] ، وقد كانت مبرراتهم تكمن في أنّ الربـاط الـذي يربطهم والذي كان يمنحهم القوة والمنعة ذهب [٣] ، وبدأوا بجر عرباتهم خارج المخيم ، لأنهم خشوا أن يتركوا مصائرهم ومصائر أسرهم بين يدي امرأة وصبي صغير مثل تيموجين [٤].

لم يسيطر الياس والقنوط على نفس تيموجين رغم ما واجهه من ظروف قاسـية بـل أبدى ضروباً من الشجاعة والإقدام [٥] ، وقرر ان يحل محل والده في الزعامة ، والدفاع عن أسرته واستعادة الزعامة عن طريق محاربة خصومه [٦] ، ومن قبل تلك الظـروف رفـض الالتجاء إلى صديق والده المقرب طغريل (اونك خان)[٧] زعيم قبيلة الكرايت الذي سـبق أن ساعده يسوكاي في تثبيت زعامته حيث كان بين يسوكاي وطغريـل قسـم يمـين الصـداقة والتعاون ويتضمن هذا القسم ان يطلب ابناء كلا الطرفين المعرفة من الطرف الاخر ، ولكـن تيموجين رفض الاستعانة بطغريل معللاً ذلك بقوله: ((اني في ذهابي مستعطفاً فراغ اليد لـذل لا قوة))[٨].

اثبت تيموجين أنه جدير لهذه المسؤولية عندما تعرض مخيم اسـرته لسـرقة ثمانيـة افراس من اصل التسعة التي كانوا يملكونها ، فأصر تيمـوجين علـى مطـاردة اللصـوص واسترداد الافراس ، وفي اثناء رحلته التقى بشخص يدعى بورتشو الذي قرر الانضمام الـى

---

(١) الرمزي، تلفيق الأخبار، ج/ ص ٣٤٨ ؛ عبد الحكيم، جنكيز خان، ص ٥٧ .

(٢) الجاف، الوجيز، ج٢/ ص ٢٤٧.

(٣) لامب، جنكيز خان، ص ١٦.

(٤) الصياد، المغول، ص ٢٣-٣٠ .

(٥) الجاف، الوجيز، ج٢/ص ٢٤٧.

(٦) شبولر، العالم الإسلامي، ص ٢٢ .

(٧) طغريل: (اونك) (وانج) يذكر بهذه الأسماء وهناك من يطلق عليه اسم يوحنا المسـيحي الكريتـي كـابن العبري في كتابه تاريخ الدول السرياني، ص ٤١٩ ؛ تاريخ مختصر الدول، دار الرائد اللبناني، ١٩٨٣م ، ص ٣٩٤ ؛ أما ابن كثير والقلقشندي فيذكروه باسم اوزبك ؛ ينظر: البداية والنهايـة، ج١٣/ ص ١١٨ ؛ صبح الأعشى في صناعة الانشا ، القاهرة، ج٢/ ص ٢٢٠ .

(٨) لامب، جنكيز خان، ص ١٦ ، ص ١٧ ، ص٢٣ ؛ صراع الاسرة الملكية، ص ٢٩ .

تيموجين ومساعدته في ايجاد اللصوص واسترداد الافراس ، وبعد عدة ايام تمكن الاثنان من ايجاد اللصوص وقتل عدد منهم ولاذ الباقون بالفرار ، وبذلك تمكن تيموجين من استعادة افراسه وساقها الى مخيمه ، وقد اظهر تيموجين بذلك براعة فائقة حتى بدا الناس يتحدثون عن قوته وبراعته وبذلك ازداد عدد اتباعه وانضم اليه عدد من المحاربين تجاوزوا المائة محارب مجهزين باسلحة كاملة ويمتطون خيولاً سريعة يستخدمونها في الاغارة على الاعداء (١).

وهكذا بعد ان اصبح لدى تيموجين اتباع ، وبدأت مكانته ترتفع قرر الزواج وكان وقتذاك يبلغ السابعة عشرة من العمر ، بعد ان قام برحلة طالب فيها بخطيبته بورتة ، تلك الصبية التي سبق ان خطبها واتفق على الزواج منها ، الا ان وفاة والده حالت دون ذلك ، فوافق والدها وجرت مراسيم الزواج ثم أخذ تيموجين زوجته وبدأ يواصل مشواره من أجل تثبيت زعامته وجذب كبار الشخصيات في قبيلة واحدة تحت لوائه (٢) ، ثم اخضع من رفض الانصياع له من قبيلته عن طريق القتال وتمكن من تحقيق الانتصار عليهم وبذلك تمكن من جعل قبيلته تحت حكمه (٣).

قرر تيموجين بعد ان استعاد الزعامة على قبيلته اجراء تحالف مع طغريل زعيم قبيلة الكرايت (٤) ، تلك القبيلة التي تشتهر بالنفوذ الواسع والعدد الكبير من الرجال ولكن في هذه المرة جاء تحالفه مع هذه القبيلة من موضع قوة لا ضعف بعد ان اصبح زعيماً لقبيلته وبعد ان كسب عدداً كبيراً من الاتباع ، وقد هدف تيموجين في هذا التحالف تعزيز موقفه من قبيلته والقبائل الاخرى الطامعة بمناطق نفوذه ، كما ان هذا التحالف سيؤمن ظهره في حال اراد توسيع نفوذه خارج نطاق اراضيه ، كما سيؤمن له الحماية في أي محاولات انتقامية قد

---

(١) العريني، المغول ، ص ٤٥-٤٦ ؛ كيتشانوف، حياة تيموجين، ص ٩-١٠ ؛ لامب، جنكيز خان، ص ٢٣-٣٠ .

(٢) الصياد، المغول، ص ٤٥-٤٦ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ج١ ، ص ٧٥ .

(٣) ميرخواند، محمد حميد سيد برهان الدين، تاريخ روضة الصفا، تهران، ١٣٣٩هـ، مج٥، ص ٤٨ .

(٤) بروي، تاريخ الحضارات، ج٣ ، ص ٣٦٠ ؛ للتفاصيل عن كافة قبائل المغول ينظر : النجار، امبراطورية المغول ، دار غيداء، ٢٠١٢م، ص٢٩-٤٠ .

يلجأ اليها حكام الصين الشمالية ضده لأنه سبق ان تمرد عليهم والــده يســوكاي ورفض دفع ضريبة التبعية لهم [١].

تمكن تيموجين من كسب احترام طغريل الذي شمله بعطفه ورعايته وكذلك لم يــنسَ طغريل فضل يسوكاي والد تيموجين في تثبيت حكمه على قبيلته ضد منافسيه على الزعامة ، وبذلك توطدت اواصر الود والصداقة بينهما [٢] ، ورفض غريل التعرض له حــين اســتعداه عليه امبراطور الصين لما رأى من تيموجين من الشجاعة والاقدام وبعد النظر ، فاعجب بــه وبالغ في اعزازه وتكريمه [٣] ، وساعده في الكثير من المواقف الصعبة التي تعــرض لهــا ، منها عندما خطفت قبيلة المركيت المتوحشة برجالها الاشداء [٤] زوجة تيموجين الاولى بورتة للأخذ بالثأر من قبيلته عندما قام والده يسوكاي بخطف امرأة من هذه القبيلة وتزوجها وهــذه المرأة هي ويلون والدة تيموجين [٥] ، وفي تلك الظروف اسرع تيموجين وطلب العــون مــن اوتال خان (طغريل) الذي امده بقوة كبيرة ساعدته في الاغارة على قبيلة المركيــت فــتمكن خلالها من استعادة زوجته [٦] ، ولم تقتصر مساعدة طغريل لتيموجين بهذا القدر بل ساعده في في التصدي لثلاثين الف مقاتل من قبيلة التايجوت التترية عن طريق امداده بعدد كبيــر مــن الفرسان وبدوره اظهر تيموجين براعة فائقة في القتال في هذه المعركة الحامية رغم الفرق في العدد والعدة حيث بلغ عدد جنوده ثلاثة عشر الف مقاتل بينما بلغ عدد مقاتلي قبيلة التــايجوت ثلاثين الف مقاتل ، وفي النهاية تمكن تيموجين من احراز النصر وقتل من التــايجوت اكثر من ستة الاف مقاتل كما تمكن من اسر عدد كبير منهم سبعون اميرا ، فامر تيموجين بقتلهم عن طريق رميهم بالماء المغلي وهم احياء [٧].

---

(١) اقبال، عباس، تاريخ المغول من حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة: عبد الوهاب علوي، منشورات المجمع الثقافي، (ابو ظبي، ٢٠٠٠م)، ص ٥٧ .

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٣٢٠ ؛ العريني، المغول، ص ٥٠ .

(٣) الصياد، المغول، ص ٤٦ .

(٤) الجزويني، تاريخ جهانكشاي، مج ١/ ص ٣٤٠ .

(٥) لامب، جنكيز خان، ص ٢٣-٢٤ ؛ رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٣/ ص ٤١٢ .

(٦) كيتشانوف، حياة تيموجين، ص ١١١ ، ص ١١٢ ، ص ١١٧ .

(٧) الصدفي، تاريخ دول الاسلام، ج٢ / ص ٢٦٧ ؛ لامب، جنكيز خان، ص ٢٣ ، ص ٢٦ .

اثار ارتفاع مكانة تيموجين حسد ابناء طغريل والمقربين اليه على ما بلغه من جاه ومنزلة ، فعملوا على الايقاع به عند طغريل وكانوا دائماً يحذرونه منه ويوحون اليه بأن بقائه يعد خطراً على دولته ، وهذا الامر ادى الى تغير موقف طغريل منه ، وصار يخشاه ويعمل على التخلص منه ، فعمل مكيدة للقبض عليه لكن معرفة صبيان من ابناء طغريل المقربين من تيموجين بهذه المؤامرة حال دون تحقيق نجاحها [1] ، حيث هرب تيموجين مع اتباعه في الوقت المناسب ، ولما تعقبه طغريل بقواته وقعت الحرب بينهما والتي انتهت بهزيمة طغريل [2] الذي هرب ملتجئاً الى بلاد تايانك خان (رئيس قبائل النايمان) لكنه اغتيل في الطريق على يد اتباعه سنة (٥٩٩هـ/١٢٠٢م) [3].

لقد كان الانتصار الذي حققه تيموجين مستهل عصر جديد اعده البعض عهد استقلال تيموجين والحكم المغولي [4] ، حيث سارعت بعض القبائل الانضواء تحت لوائه طوعاً منهم قبائل الاينور الذي قدم زعيمهم ايدي قوت فروض الطاعة والخضوع لتيموجين لينجو بنفسه وقبيلته من الدمار فاصبح من اتباعه ومناصريه [5] ، بينما ترددت القبائل الاخرى الانضمام اليه منهم زعيم قبيلة النايمان ويدعى تايانك خان الذي ضم اليه عدد من زعماء القبائل الذين سبق ان تحالفوا مع تيموجين [6] ، وفي اثناء ذلك وشى زعيم قبيلة اونغوت الى الاخير هذا الاتفاق ، فاستعد تيموجين للمواجهة، وجرت المعركة بينهما سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٣م) انتهت

---

(1) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٤١٨ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣/ ص ١١٨ ؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤ / ص ٣١٠ ، ص ٣١١ .

(2) الصدفي، تاريخ دول الاسلام، ج٢/ ص ٢٦٧- ص ٢٦٨ ؛ عمران، محمود سعيد، المغول واوربا، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩، ص ٣٣ ؛ عبد الحكيم، جنكيز خان، ص ٥٨، ص ٦٢.

(3) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٤١٨ ؛ ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، دار صادر (بيروت، ١٩٦٦م)، ص ٢٢ ؛ الرمزي، تلفيق الاخبار، ج١/ ص ٣٤٨.

(4) القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص ١٢- ص١٣ .

(5) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٣٩٩ ؛ كيتشانوف، حياة تيموجين، ص ٢٠٣- ص ٢٠٤ ؛ صفا، صفا، تاريخ ادبيات، ج٥/مج١/ص ٤.

(6) برنباوي، محمد بيك النقشبندي، ملحق خلاصة السير، تحقيق: ظهور أحمد، (لاهور، ١٩٢٠م)، ص ٣٥ ؛ ؛ الصياد، المغول، ص ٤٨ ؛ العريني، المغول، ص ٥٢ .

بانتصار تيموجين على خصمه الذي وقع اسيرا بيد تيموجين فقام بقتله واسر زوجتـه التي سيقت اليه فتزوجها [1].

بعد ذلك قام تيموجين بالقضاء على القبائل التترية منها قبيلة تشاغات والتشي ودوتاوت والوخاي بعد قتال بينه وبينهم واباد عدد كبير منهم ولم يسلم من ذلك النساء والاطفال الذين لقوا نفس المصير [2].

وبعد تلك الانتصارات التي حققها تيموجين ، أخذ يجمع شمل القبائل المتفرقة لجعلها تحت سلطته منها الاديرات والقنفرات والماركيت [3] ، وبذلك اصبحت الاراضي الممتدة من جبال وسهول وصحاري منغوليا تحت سيطرة تيموجين ، ثم سعى تيموجين لتنظيم العلاقة بينه وبين هذه القبائل التي دانت له بالطاعة والولاء فدعى زعماء القبائل المغولية وابناء اسرته البالغين والخواتين وقواده الى اجتماع قوريلتاي [4] سنة (٦٠٣هـ/١٢٠٦م) تقرر فيه اعمام تسمية المغول على كافة القبائل التي دانت لـه بالتبعية [5] ، كما تضمن الاجتماع التأكيد على زعامته ، واطلق عليه لقب جنكيز خان [6] الذي يعني ابن السماء [7]

---

(١) الهمذاني، رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيز خان، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣م، مج١/ج١/ ص ٩٧.

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج١/ج١/ ص ١٠٦ ؛ الصياد، المغول، ص ٢٧.

(٣) فامبري، تاريخ بخارى، ص ١٦٣ ؛ بروي، تاريخ الحضارات، ج٣، ص ٣٦٠ ؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص ١٣.

(٤) القوريلتاي: وهو مجلس يضم مجموعة من زعماء القبائل والامراء وكبار رجال الدولة يجتمع فيه من اجل اجل تعيين أحد اعضاء الاسرة الحاكمة امبراطورا او حاكماً، ينظر: جامع التواريخ، مج٢/ج١/ص٢٣٤ هامش رقم (١).

(٥) ستانلي، لين بول، الدول الاسلامية، ترجمة: محمد صبحي وزات، (دمشق، ١٩٧٤م): قسم٢ ، ص ٥٠٤ ؛ الامين، حسن، الغزو المغولي، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت، ١٩٧٦م)، ص ٣٠- ص ٣١ ؛ شبوار، العالم الاسلامي، ص ٢٤ ؛ العدوي، العرب والتتار، ص ٣٠ ؛ لامب، جنكيز خان، ص ٥٥ .

(٦) الجويني، تاريخ جهانكشاي، مج١/ ص ٧١ ؛ عبد العزيز، جنكيز خان، تركستان قلب اسيا، منشورات الجمعية الخيرية التركستانية، ١٩٤٥م، ص ٦٢ ؛ ف – يان، جنكيز خان سفاح الشعوب، (القاهرة، ١٩٥٢م)، ص ١٠٠ ؛ رشاد عبد المنعم، الرعب الذي احدثه الغزو المغولي، مجلة آداب الرافدين، (الموصل، ١٩٧١م)، ج٢/ص ٥ ، ص ٦.

(٧) بارتولد، مادة جنكيز خان، دائرة المعارف الاسلامية، مج٧/ ص ٣٠.

وخان صفة للسلطة العليا [1] وبذلك اكتسب تيموجين الصفة الشرعية من السماء بالحكم على شعبه وعلى الشعوب الاخرى ، وقرر تيموجين في هذا الاجتماع ان تكون قراقورم [2] عاصمة له [3] ، بعد ذلك طلب جنكيز خان بالتشاور مع الحاضرين ان يضع راية للمغول يقاتلون تحت لوائها عندئذ قرر وضع راية بيضاء عليها صورة قمر في المحاق ويتدلى من الراية اذيال تسع افراس بيضاء [4] ، ثم عمل جنكيز خان على تنظيم جيش هجومي ضارب ليحقق طموحاته بان يكون سيداً للعالم [5] ، كما نظم جنكيز خان في هذا المؤتمر كافة شؤون الدولة ولكن أهم امر اصدره الياسا [6] القانون الاساسي الذي نظم الحياة العامة المغولية والذي والذي حل محل الاعراف القبلية وحدد علاقة الحاكم بالمحكوم وفي هذا الشأن تحدث المؤرخ الجويني قال: ((حين منح الله تعالى جنكيز خان العقل والمعرفة وفاق اقرانه ، ووهبه القدرة والتسلط على ملوك الدنيا شرع يبحث عن عادات الاكاسرة والجبابرة ... وأخذ يقتضي في نفسه عن قانون وعرف يحفظ بها نظام مملكته))[7] ، كما تحدث ايضا بقوله ((لكل عمل قانون قانون ولكل مصلحة دستور ، ولكل جرم حد))[8] ، وقد تضمن هذا القانون مجموعة من

---

(1) المقريزي، السلوك، ج1/ قسم 2 / ص 307، حاشية رقم (4) ؛ باشا، حسن، الالقاب الاسلامية، (القاهرة، 1377هـ)، ص 171.

(2) قراقورم: وهي سلسلة جبلية ضخمة بآسيا الوسطى تقع في الجزء الشمالي من جبل قراقورم في منغوليا؛ الجويني، تاريخ جهانكشاي، مج1/ ص 80 ؛ ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل، تقويم البلدان، مكتبة المثنى، بغداد، ص 505 ؛ وقراقورم تعني الرمل الاسود، ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج4/ ص 487 .

(3) القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص 87 ؛ لامب، جنكيز خان، ص 80 ؛ سلطان، طارق فتحي، التاريخ الاسلامي في العصر العباسي، مطبعة محمد، الموصل، 2006م، ج2/ ص 203.

(4) بارتولد، تركستان، ص 549 ؛ بارتولد، مادة جنكيز خان، دائرة المعارف الاسلامية، مج7/ص 130-131 ؛ سلطان، التاريخ الاسلامي، ج2/ص 203 ؛ النجار، صراع الاسرة الملكية، ص43 .

(5) لامب، جنكيز خان، ص 90 ؛ النجار، شراع الاسرة الملكية، ص 46 .

(6) الجويني، تاريخ جهانكشاي، مج1/ ص61-62 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13/ ص 118-119؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2/ ص 220-221 ؛ لامب، جنكيز خان، ص 51- ص 57 .

(7) الجويني، تاريخ جهانكشاي، مج1/ ص61 .

(8) الجويني، تاريخ جهانكشاي، مج1/ ص 62 ؛ صفا، تاريخ ادبيات، ج5/ م1/ ص 11 ؛ النجار، صراع الاسرة الملكية، ص 49.

العقوبات الصارمة على المخطئين والخضوع لجنكيز خان والاتحاد في قبيلة واحدة [1]. لــذلك اقتصر دور جنكيزخان على اختيار الصالح من تعاليم الياسا بشكل يلائــم تطــور المجتمــع المغولي الجديد.

وبعد هذه الاجراءات شرع جنكيز خان في توسيع مملكته خارج منغوليــا ، فســيطر على معظــم اجــزاء الامبراطوريــة الصــينية واســتوى علــى العاصــمة بكــين ســنة (٦١٢هــ/١٢١٥م) [2] ليتوجه بعد ذلك غرباً صوب الدولة القرةخطائية[3] التي سحقت علــى يد جيوش الدولة الخوارزمية التي اجتاحها المغول سنة (٦١٦هــ/١٢١٩م) [4] رغم ما كــان بينهما من علاقات ودية الا ان هناك اسباباً دعت جنكيز خان لاجتياحها ، ونستطيع ان نقــول الحجة التي تذرع لها جنكيز خان لغزو الدولة الخوارزمية (في الوقت الحاضر اوزبكســتان وتركمانستان وفيها بخارى وسمرقند) ، الا وهي حادثة التجار، فقد كانت هناك معاهدة تجارية بين الدولتين الا انها لم تدم طويلاً بسبب مذبحة اوترار حيث ارسل جنكيز خان جماعــة مــن

---

(١) حمدي، حافظ أحمد، الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، مصــر، ١٩٤٩م، ص ٢١٢ ؛ حسن، نزار، مدى تطبيق القوانين المغولية في السلطة المملوكية، بحث منشــور فــي مجلــة دراسات تاريخية، العدد ٩٣ لعام ٢٠٠٦م ، ص ٨٥ – ص٨٦ .

(٢) العريني، المغول، ص ٦٤– ص ٦٥ ؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب، ص ٣٨٤ ؛ عاشور، فايد حماد، مصر مصر في عصر المماليك البحرية، مكتبة النهضة العربية، القاهرة ١٩٥٩م، ص ٢٩ .

(٣) الدولة القرةخطائية: وهي من الشعوب الصينية من التونغوز نزحوا في ق٦ه من مــوطنهم واســتقروا غرب اقليم التركستان حيث كونوا دولتهم التي عرفت بالدولة القرةخطائية، ينظر ابن العبري، تــاريخ الدول السريانية ، ص١٣٤؛ النجار، صراع الاسرة الملكية، ص١٨ .

(٤) الدولة الخوارزمية، وهي من اعظم الدول الاسلامية تأسست سنة ٤٩٠هــ على يد خوارزم شاه محمد بن انوشكتين، اجتاحتها الجيوش المغولية عام ٦١٦هــ ؛ النسوي، محمد بن أحمد، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ١٤ – ص ١٥ ؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد =الوهاب، نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق محمد عبد الهادي، الهيئــة المصــرية العامــة للكتــاب، ١٩٩٠م، ج ٢٧، ص ١٣٧ ؛ السبكي، تاج الدين تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، مجلة دار المعرفة، بيروت، مج١/ ص ١٧٩– ص ١٨٠ ؛ الشافعي، عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم، نزهة المقلتين في سيرة الدولتين العلائية والجلالية، تحقيق: سهيل زكار، منشورات التكوين للتــاليف والترجمــة والنشــر، ٢٠٠٨م ، ص ٣٠– ص ٣٣ .

التجار الى مدينة اوترار [1] احدى ولايات خوارزم شاه ليشتروا له ثياباً للكسوة وكان عـددهم اربعمائة وخمسين رجلاً محملة بانواع البضائع [2] ، وقد جرى اعتقال هؤلاء التجار على يـد الوالي اينالجق الملقب بغاير خان على انهم جواسيس فامر بقتلهم [3] وقد تناقضت الروايـات التاريخية عن مدى مسؤولية السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه في هذا الشـأن ، فـابن الاثير يقول ان الوالي اينالجق ابلغ السلطان خبر وصول التجار وما معهم من تجـارة فـامره السلطان على الفور بقتلهم وبارسال متاعهم اليه [4] ، اما الجويني فيشير الى ان اينـالجق قـد اثار حفيظته مسلك أحد التجار وهو من اصل هندي وكانت له معرفة سـابقة بـالوالي فأخـذ يدعوه باسمه من غير تكلف وقد دفعه هذا مقروناً بطمعه في مالهم الى القبض عليهم ثم ارسل الى السلطان يتهمهم بالتجسس فامره السلطان بقتلهم وبمصادرة اموالهم [5] ، والمهم في الامر ان التجار ذهبوا ضحية جشع الوالي وارتياب السلطان ، اما جنكيز خان حالما وصله الخبـر بقتل التجار ارسل الى خوارزم شاه علاء الدين محمد يستوضحه ويقول: ((من المعهود مـن الملوك ان التجار لا يقتلون لأنهم عمارة الاقاليم وهم الذين يحملون الى الملوك ما فيه التحـف والاشياء النفيسة ، ثم ان هؤلاء التجار كانوا على دينك فقتلهم نائبك ، فإن كان امرا امرت به طالبنا بدمائهم ، والا فانت تنكره ، وتقتص من نائبك ، ولكن خوارزم شاه قتل الرسول حامل الرسالة [6].

استاء جنكيز خان أشد الاستياء لما بلغه مما فعله خوارزم شاه بالرسول فقال: ((تقتلون اصحابي وتجاري وتاخذون اموالي منهم استعدوا للحرب فإني واصل اليكم بجمع لا قبل لكـم

---

(1) اوترار، مدينة عظيمة من مدن الترك تسمى فاراب واوترار، هي اخر ولايات الدولة الخوارزمية شـرقاً، ينظر: الذهبي، الحافظ شمس الدين، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: عمر عبد السـلام التدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٩٨٧م، ج ٤٤/ ص ٣٩.

(2) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج١/ ص ٦١.

(3) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج١/ص ٦١ ؛ بارتولد، تاريخ الترك في اسيا الوسطى، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٥٨م)، ص ١٥٩.

(4) الكامل في التاريخ، ج١٢، ص ٣٦١، ص ٣٦٤ ، ص ٣٦٣.

(5) الجويني، تاريخ جهانكشاي، مج١/ ص ٦١ .

(6) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣/ ص ١١٩ .

به))[1] ، وفعلاً بدأ الصدام العسكري بين الطرفين ففي سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م)، حشد جنكيز خان جيشاً بلغ تعداده ٢٠٠,٠٠٠ مقاتل للتوجه صوب املاك خوارزم شاه [2] ، وقد قسم جنكيز خان جيوشه الى عدة اقسام حيث قاد ولده جوجي جيشه باتجاه القسم الجنوبي من بلاد ما وراء النهر وتمكن من الاستيلاء عليه [3] ، ثم استولى قواده على خجندة [4] ، اما جنكيز خان فقد زحف بالجيش الرئيس نحو بخارى [5] فوصلها سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م) وأحدث فيها فيها مجزرة رهيبة ولم تلبث سمرقند ان وقعت في ايديهم بعد حصار قصير ولقي معظم سكانها مصرعهم[6]،

ثم ما لبثوا ان سيطروا على خوارزم [7] ونخشب [8] ، وترمذ [1] ، وبلخ [2] ، ومرو ومرو [3] ، وهروب علاء الدين خوارزم شاه سلطان الخوارزميين امام جيوشهم والتجائه الى

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ج١٢/ ص ٣٦٣ ؛ حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية والادارية للعصور العباسية السابقة، (لبنان، ١٩٧٨م)، ج٣/ ص ٤٧٣.

(٢) القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص ٣٦ ؛ عمران، المغول واوربا، ص ٣٨.

(٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٥/ ص ٥٠٦ .

(٤) خجند: وهي بلدة كبيرة على طرف نهر سيحون من بلاد الشرق ويقال لها خجندة ، ينظر: ابن الاثير ، اللباب في تهذيب الانساب، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م ، ج١/ ص ٤٢٥؛ السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور، الانساب، دار الجنان، ط١، (بيروت، ١٤٠٨هـ)، ج٢/ ص ٣٢٨ ؛ ابي الوفاء، عبد القادر بن ابي الوفاء القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانة (كراتشي، د/ت)، ج٢/ ص ٣٠٢ ؛ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، لبنان، (بيروت: د/ت)، ج ١١/ ص ١٩٩.

(٥) بخارى: من بلاد ما وراء النهر تقع في اقليم الصغد كانت قاعدة للمملكة السامانية وهي في الوقت الحاضر من مدن اوزبكستان، الحموي، ياقوت شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان، دار احياء التراث الاسلامي، بيروت، ج١/ ص ٣٥٣ .

(٦) سمرقند: من بلدان ما وراء النهر خربها المغول سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م ، المقدسي، محمد بن أحمد، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، تحقيق: غازي طليمات، وزارة الثقافة والارشاد القومي، سوريا، دمشق، ١٩٨٠م، ج١/ ص ٢٢٣ ؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، (بيروت: ١٩٦٠م)، ج١/ ص ٢١٩.

(٧) خوارزم: غرب اقليم الصغد وتعرف اليوم بإقليم خيوة يقع جنوب بحيرة آرال وهي نهاية حوض نهر جيجون وعاصمتها جرجانية، ينظر: الاصطخري، المسالك والممالك، ج١/ ص ١٣٥ ؛ الحموي، معجم البلدان، ج٢ / ص ٣٩٥- ص٣٩٨ ؛ الحميري، الروض المعطار، ج١/ ص ٢٢٥.

(٨) نخشب: من مدن بلاد ما وراء النهر بين نهر جيحون وسمرقند الحموي، معجم البلدان، ج٥/ ص ٢٧٦ .

إحدى جزر بحر قزوين ليتوفى هناك وذلك سنة (٦١٧هـ/١٢١٩م)[٤]. وبوفاته اصبح الطريق سالكاً امامهم نحو غرب ايران والعراق واستهدفوا العراق بثلاث عشرة غارة عسكرية [٥] بين سنة (٦١٧- ٦٤٩هـ/ ١٢١٩-١٢٥١م) ، كان الهدف منها اثارة الرعب في نفوس السكان والوقوف على وضع الخلافة العباسية من الناحية العسكرية ومدى استعدادها للدفاع [٦] وكانت اولى هذه الهجمات في سنوات (٦١٧هـ/١٢١٩م أو ٦١٨هـ/١٢٢٠م) [٧] متوجهة نحو مراغة في اذربيجان ونحو اربيل وبادر الخليفة الناصر لدين الله الى تحصين بغداد ، وكتب الى امير الموصل بدر الدين لؤلؤ وامير اربيل مظفر الدين كوكبري بالانضمام الى عساكره في داقوق ، ولما وصلت هذه القوات هناك فوجئت بقلة عسكر الخلافة الذين كانوا لا يتجاوزون الثمانمائة رجل في الوقت الذي كان الخليفة قد وعدهم بارسال عشرة الاف رجل ، ولم تجسر القوات المتجمعة على ملاحقة المغول واكتفت بالقبول بانسحابها [٨].

وتلا ذلك فترة من الهدوء دامت قرابة العشر سنين كان سببها وفاة جنكيز خان سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٧م) [٩] ، وتولي اوكتاي خان بن جنكيزخان العرش سنة(٦٢٤ه/١٢٢٧م) [١٠]

---

(١) ترمذ: من مدن ما وراء النهر تقع على نهر جيحون من جانبه الشرقي من منطقة الصغانيان، الحميري، الروض المعطار، ج١ ، ص ١٣٢ ؛ شاكر، التاريخ الاسلامي، الدولة العباسية، المكتب الاسلامي، ط٦ ، ٢٠٠٠م، ص ٣٣١.

(٢) بلخ: مدينة مشهورة من مدن خراسان تقع على الجانب الجنوبي لنهر جيحون وهي اليوم من بلاد الافغان، الحموي، معجم البلدان، ج١/ ص ٤٧٩.

(٣) مرو: من اشهر مدن اقليم خراسان وأقدمها وقيل بناها الاسكندر ذو القرنين ،كانت قاعدة الاقليم، اليعقوبي، أحمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، د/ت، ج١/ ص ٢١ ؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ج١/ص ٢٣١ ؛.

(٤) النسوي، سيرة جلال الدين، ص ١٤- ص ١٥ ؛ النجار، صراع الأسرة الملكية، ص ٥٠ .

(٥) الجميلي، المورد، ص ٦٠ – ص ٦١ .

(٦) الجميلي، المورد، ص ٦٠ – ص ٦١ .

(٧) مراغة: من اكبر مدن اذربيجان تقع جنوب شرق بحر قزوين كانت ايام الحكم المغولي قاعدة بلاد اذربيجان، الحموي، معجم البلدان، ج٥ / ص ٩٣؛ القزويني، اثار البلاد ، ج١/ ص ٢٣١.

(٨) ابن الاثير، الكامل، ج٩ / ص ٦٩٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣/ ص ٧٦.

(٩) طقوش، محمد سهيل، تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، دار النفائس، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م، ص ١٩ .

(١٠) طقوش، تاريخ مغول، ص ١٩ ؛ براون، ادوارد جرانفيل، تاريخ الادب في ايران، نقله الى العربية: الدكتور امين الشواربي، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٥٤م، ص ٥٧٣ .

، الذي قضى على المقاومة الخوارزمية بمقتل اخر زعماؤها جـلال الـدين منكبرتـي سـنة (٦٢٨هـ/١٢٣٠م) [١] ثم تجددت الهجمات المغولية على اربيل وداقوق والموصـل وحـران وماردين [٢] من بلاد الجزيرة الفراتية في اعوام (٦٣٣هـ/١٢٣٥م و٦٣٤ه/١٢٣٦م) واضطر واضطر على اثرها بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل الى مصالحتهم [٣].

وفي سنة (٦٤٩هـ/١٢٥١م) تولى منكوخان حكم المغول [٤] وخلال فترة حكمه تـم غزو بغداد بعد ان تم القضاء على الاسماعيلية في ايران [٥] ، عندئذ بدأت تهديدات المغـول لعاصمة الخلافة العباسية بغداد وذلك بارسال أخيه هولاكو لقيادة عملية الغزو [٦].

استعد هولاكو للزحف نحو بغداد في المحرم سنة (٦٥٥هـ/١٢٥٧م) وبعـث مـن همدان انذارا شديداً الى الخليفة المستعصم بالله دعاه الى تدمير جميع اسوار بغـداد والمثـول بشخصه امامه او ارسال ثلاثة من كبار رجال دولته نيابة عنه ، فرفض الخليفة ذلك واستهان بالامر ثم ارسل هولاكو نداءاً اخر الى الخليفة دعاه الى تحديد موقفه وهدده بأنه متوجه الـى بغداد بجيش (كالنمل والجراد) وقد رفض هذا النداء ايضا ظناً منه ان كل القـوى الاسـلامية سوف تسارع الى الانضواء تحت لوائه متناسياً الظروف السيئة التي كانت تحيط بهم [٧].

---

(١) اليافعي، ابو عبد الله بن أسعد بن علي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة في ما يعتبر من حـوادث الزمان، مؤسسة الاعلمي، ط٢، (بيروت: ١٩٧٠م)، ج٤/ ص ٩٣ .

(٢) ابن الفوطي، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السـابعة، المكتبة العربية، بغداد، ١٩٣٢م، ص ١٥١ – ص ١٨٨ .

(٣) الامين، الغزو المغولي، ص ٧٥ .

(٤) ابو مقلى، محمد وصفي، ايران دراسة عامة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ، ، ١٩٨٥م ، ص ٢٢٥ .

(٥) الجويني، تاريخ جهانكشاي، مج٢/ ص ٣٦٣ ؛ المنصوري الدوادار، ركن الدين بيبرس، التحفة المملوكية في الدول التركية، منشورات الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٨٧ ، ص ٣٣ ؛ الـذهبي، دول الاسـلام، تحقيق: فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القـاهرة، ١٩٧٤م ، ج٢، ص ١٥٨ .

(٦) حتى، فيليب ،العرب، دار العرب للملايين، بيروت: د/ت، ص ٢٢٧ .

(٧) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٢٦٨، ص ٢٦٩ ، ص ٢٧٠ ؛ حمـادة، الوثـائق السياسـية والادارية، ج٣، ص ٤٧٥– ص ٤٧٦ .

وفي محرم من سنة (٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م) تحرك هولاكو من همدان فوصل أسد أباد وأوفد رسولاً الى الخليفة المستعصم بالله(٦٤٠-٦٥٦ه/١٢٤٢-١٢٥٨م) للتوصل الى اتفاق لتجنب الحرب وترك للخليفة الحضور او ارسال وزيره ابن العلقمي وقائده مجاهد الدين ايبك الدويدار وسليمان شاه ، لكن الخليفة لم يملك القدرة على حمل هؤلاء الثلاثة بالخروج لملاقاة هولاكو فارسل ابن الجوزي لاقناع هولاكو بالمال ليتراجع عن بغداد غير ان ذلك لم يجدي نفعاً [١] ، حيث تحرك هولاكو سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) متوجهاً نحو بغداد ، عندئذ لم يجد الخليفة مفراً من المواجهة فأمر قائده مجاهد الدين ايبك الدويدار بالخروج والتصدي لهولاكو [٢] ، الذي وضع خطة للاطباق على بغداد من جميع جهاتها ، حيث اتجه قسم من جيشه نحو الجانب الغربي عبر دجلة ، اما هولاكو فقد قرر الاتجاه نحو الجانب الشرقي ، وكان الهدف من ذلك هو تشتيت جيش الخلافة بين هذين القسمين واضعافه ، ففي بادئ الامر نزل عسكر الخليفة من بعقوبة بقيادة الدويدار ولكنه عندما علم بتقدم قوة من المغول نحو الجانب الغربي سارع بعبور النهر ليتصدى لهم ، فادى انسحابه الى خلو الجبهة الشرقية من الجند ، مما سهل المهمة على هولاكو في الوصول الى اسوار بغداد ، والتقى جيش الخليفة بطلائع المغول [٣] الذين تولى قيادتهم ثلاثة من أكفأ قادة المغول وهم بايجو ويقتيمور وسونجاق [٤] في الضفة الغربية ، وقد تمكن الجيش المغولي من خداع جيش الخليفة عن طريق ايهام جيش الخليفة بهروبهم ليقوموا باللحاق بهم وقد كان المغول يهدفون من هذا العمل ابعاد قوات بغداد عن

---

(١) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج٢/ ص ٣٦٤ ؛ الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٢٦٩ – ص ٢٧٠ ؛ الكتبي، محمد بن شاكر، عيون التواريخ، تحقيق: فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم، دار الرشيد ،بغداد، ١٩٨٠م، ج٢٠ ، ص ١٣٢ .

(٢) الكتبي، عيون التواريخ، ج٢٠، ص ١٣٢ ؛ القلقشندي، مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٩٦٤م، ج٢ ، ص ٩١ ؛ ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، ١٩٧٠م، ج٧/ ص ٤٩ ؛ التكريتي، سلمان، بغداد مدينة السلام والغزو المغولي، بغداد، ١٩٨٨م، ص ٢١٤ .

(٣) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج٢/ ص ٣٦٥ ؛ القلقشندي، مآثر الاناقة، ج ٢/ ص ٩١ ؛ ابن تغري بردي، بردي، النجوم الزاهرة، ج٧ ، ص ٤٩ .

(٤) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج٢/ ص ٣٦٤ – ص ٣٦٥ ؛ المنصوري، الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: دونالد ريتشارد، (بيروت، ١٩٩٨م) ، ص ٣٥- ص ٣٦ .

مواقعها ليقوموا بتدمير السدود واغراق الاراضي بالمياه وحصر الجيش هنـــاك ثـــم يقومـــوا بالهجوم عليهم وهذا ما حدث فعلاً حيث حوصرت القوات هناك وغرق معظمها الا من دخـــل البرية وكان ممن نجا القائد الدويدار وبعض قواته الذين دخلوا بغداد [١] ، اما هولاكو وقائـــده كتبغا فقد اقاموا الاستحكامات على الجانب الشرقي لتطبيق الحصار علـــى بغـــداد [٢] ، وبدا المغول هجومهم الثاني في ٢٢ محرم (٦٥٦هــ / ١٢٥٨م) مما اضعف معنويـــات جيش الخليفة [٣] الذي ارسل الى هولاكو وزيره ابن العلقمي وجاثليق المسيحيين النساطرة لعقد الصلح غير ان هولاكو رفض الصلح وطلب من الوزير ان يصطحب معه القائـــد الدويـــدار وسليمان شاه الا ان ابن العلقمي حضر في اليوم التالي مع صاحب الديوان وعدد من اعيـــان بغداد ، فردهم هولاكو خائبين واستمرت الحرب بين الطرفين [٤] ، التي ادت في نهايتها الـــى انتصار المغول واستسلام الخليفة المستعصم وخروجه والدويدار وسليمان شاه مع عدد كبيـــر من الاعيان محملين بالهدايا والتحف لتقديمها الى هولاكو الذي عنف الخليفة وحمله مســـؤولية ما حدث ببغداد بسبب تهاونه في الدفاع عنها وامساكه عن الانفاق على الجيش [٥] ، ثم امـــر هولاكو الخليفة بأن يامر الدويدار وسليمان شاه بايقاف القتال ، وبعد ان تم وقف القتال ، قتـــل هولاكو القائد الدويدار وسليمان شاه [٦]

---

(١) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ١٣٢ ؛ العيني، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان حوادث ســـنة ٦٤٨- ٦٦٤هــ ، تحقيق: د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القـــاهرة، ١٩٨٧م ، ص ١٦٩ ؛ حامد، اسماعيل محمد، من يتحمل مسؤولية سقوط بغداد على يد المغول، مجلـــة آداب الرافـــدين، عدد ٤ لسنة ٢٠٠٥م، ص ٧٨.

(٢) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج٢/ ص ٣٦٨- ص ٣٦٩ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهـــرة، ج٧/ ص ٤٩.

(٣) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج٢/ ص ٣٦٨- ص ٣٦٩.

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٢٨٦- ص ٢٨٧ .

(٥) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج٢/ ص ٣٦٩ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧ ، ص ٥٠ .

(٦) العيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٦٥٦هــ، ص ١٦٩ .

ثم امر بقتل الخليفة المستعصم واولاده [١] وقد عبر اليونيني عن هذه الحادثة المؤلمة بقوله: ((وما دها الاسلام بداهية أعظم من هذه الداهية ولا أفضع))[٢].

دخلت القوات المغولية بقيادة هولاكو الى بغداد ، وانزلوا بأهلها السيف ، وقتلوهم شر قتلة ، وظل السيف معمولاً بها مدة اربعين يوماً ومنهم من قال اربعة وثلاثين يوماً وقد بالغ المؤرخون في عدد من سقط من الضحايا حيث قدروها بمليوني نسمة [٣] ، ومنهم من قال اكثر ، واحتلت بغداد في يد المغول يوم الاحد في صفر سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) وأحدثوا فيها مذبحة رهيبة ، كما طالت ايديهم المساجد والجوامع والمدارس اذ تعرضت للدمار والخراب ، واصبح في بغداد حمام دم [٤] ، ولم يراع في ذلك الا الكنائس والنصارى [٥] ، وبعد ما لحق ببغداد الدمار والهلاك امر هولاكو بايقاف القتل ونادى بالأمان ، اذ كان الناس قد اختفوا في ابار الماء والمقابر ، خشية تعرضهم لفتك المغول [٦] ، ولما خرجوا من مخابئهم وكأنهم اموات خرجوا من قبورهم ، حتى كادت الحالة تصل الى عدم معرفة أحدهم للآخر ثم اصيبوا بأمراض لحقوا ببقية قتلاهم [٧] ، وهكذا تمكن المغول من الاستيلاء على ايران والعراق واسند منكوخان حكمها لهولاكو ليؤسس فيها دولته الفتية [٨] والتي قسمها الى عدة وحدات ادارية اختلفت مساحتها حسب اهمية من اسندت اليه وانحصرت تلك الوحدات بين اقليم وبين عدة اقاليم فكان العراق وخراسان ومازندران حتى جيحون وحدة ادارية واحدة اسندت ادارتها للنجل الاكبر والافضل لهولاكو الامير اباقا ، كما انه اسند لابنه الثالث الامير

---

(١) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني ،ص ١٣٣ ؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص ٣٣٦ ؛ اليونيني، قطب الدين ابي الفتح موسى بن محمد بن أحمد ، ذيل مرآة الزمان، (الهند، ١٩٥٤)، ج ١-٢ / ص ٨٥ .

(٢) ذيل مرآة، ج ١-٢/ ص ٨٥ ؛ الجواهري، عماد، صراع القوى السياسية في المشرق العربي من الغزو المغولي حتى الحكم العثماني، (الموصل، ١٩٩٠م)، ص ١٧.

(٣) الذهبي، دول الإسلام، ج٢/ ص ١٢٢- ص ١٢٣.

(٤) الصفدي، الحسن بن ابي محمد عبد الله، نزهة المالك والمملوك في مختصر من ولي مصر من الملوك، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، (بيروت، ٢٠٠٣م)، ص ١٤٨ .

(٥) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ١٣٣ .

(٦) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٣٠، ص ٣٣١ ؛ الحسني، عبد الرزاق، العراق قديماً وحديثاً، ط٢ ، (صيدا، ١٩٥٦م)، ص ٢٢ – ص ٣٣ .

(٧) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٣٠- ص ٣٣١ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣/ ص ٢٠٣ .

(٨) ولبر، ايران، ص ٦٦ .

يشموث اقليم آران واذربيجان حتى شاطئ نهر الرس ، اما الامير تودان فقد سلم اليـــه ديـــار بكر وربيعة في اقليم الجزيرة الفراتية [١] ، بعد ذلك قسم الوحدات الادارية الى عدة ولايـــات وقسم الولايات الى اعمال ،فعلى سبيل المثال تم تقسيم العراق الى ثلاث ولايات اولها ولايـــة عراق العرب وعاصمتها بغداد ، وولاية ديار بكر وعاصمته الموصل وولاية بلاد الجبل التي تتضمن اجزاء من داخل العراق واجزاء من شمال غرب ايران [٢] ، ثم وضع على راس كل ولاية حاكم اداري اطلق عليه اسم صاحب الديوان [٣] ، وجميع هؤلاء الموظفين كانوا يتبعون يتبعون سلطة هولاكو الذي اطلق عليه لقب ايلخان التي تتكون من مقطعين الاول (ايل) التـــي تعني التابع وخان تعني الحاكم ، وبذلك اطلق على دولته تسمية الدولة الايلخانية ولقب ايلخان اصبح علماً مميزاً لحكم اسرته التي توارثت الحكم من بعده [٤].

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج١/ ص ٣٣٨ .

(٢) ابو الفداء، المختصر، ج٤/ ص ٩٩ ؛ النجار، صراع الاسرة الملكية، ص ١٥٩ .

(٣) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٣٩- ص ٣٤٦ ؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص ١٢٧ – ص ١٤٦ ؛ النجار، صراع الأسرة الملكية، ص ١٥٩ .

(٤) المقريزي، السلوك، ج١/ قسم ٢/ ص ٥٤١ حاشية رقم (١) ؛ النجار، صراع الأسرة الملكية، ص ١٥٩. .١٥٩

الفصل الأول

دور وزراء الجوينيين في الصراع على السلطة في دولة المغول الايلخانيين

حتى عهد الايلخان ارغون (٦٨٣-٦٩٠هـ/١٢٨٤-١٢٩١م)

أولاً: وزراء إمبراطورية المغول قبل قيام دولتهم الايلخانية.

ثانياً: ابن العلقمي كأول وزير للايلخانيين.

ثالثاً: الجوينيين ودورهم في الصراع على السلطة.

١- تولي شمس الدين وعلاء الدين منصب الوزارة.

٢- نجاح الجوينيين في التصدي للمنافسين لهم على مراكز الوزارة.

أ- فشل عماد الدين القزويني وعلي بهادر في الإيقاع بعلاء الدين ومقتلهما.

ب- شحنة بغداد قرابوغا ونائبه إسحاق الارمني ونقيب النقباء ابن الطقطقي يذهبوا ضحية تآمرهم على علاء الدين.

ج- فشل مؤامرات مجد الملك اليزدي في الإيقاع بالجوينيين.

٣- الصراع على السلطة بين أحمد وأرغون ودور الجوينيين في هذا الصراع.

٤- نكبة الجوينيين.

أولاً: وزراء إمبراطورية المغول قبل قيام دولتهم الايلخانية:

عرفت وظيفة الوزير منذ القدم في عصور ما قبل الإسلام كما عرف منصب الوزير عند قدماء المصريين وبني إسرائيل والفرس وكان يوسف عليه السلام يحمل لقب العزيز ويمكن اعتباره مرادف للقب الوزير [١].

وكان ملوك العرب قبل الإسلام في اليمن والحيرة والشام يطلقون على من يؤازرهم في اعباء الملك بالراهن لأنه مرتهن بالتدبير [٢] ، أما في عصر صدر الإسلام كان الصحابة يساعدون الرسول (ﷺ) في إدارة شؤون الدولة ويقومون بمهام الوزراء ولكنهم لم يتلقبوا بلقب وزير وقد كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بمثابة وزير لأبي بكر (رضي الله عنه) بينما كان عثمان وعلي (رضي الله عنهما) بمثابة وزيري عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وأصبح مروان بن الحكم بمثابة الوزير في خلافة عثمان (رضي الله عنه)[٣].

أمّا في العهد الأموي فقد توسعت الدولة الإسلامية وأصبحت الحاجة اكبر لوجود مستشارين لإدارة أمور الدولة ، لذلك اتخذوا الولاة الذين أصبحوا بمثابة وزراء من خلال الأعباء الملقاة عليهم حيث اشرفوا على الإدارة والشؤون المالية وديوان الجند ، وكذلك كان من بين موظفي الدولة الأموية من يقوم بأعباء الوزارة منهم الكتّاب الذين يتولون الكتابة للخلفاء ، فكان الكاتب يعد أمين سر الخليفة وصاحب ديوانه وسجلاته لذلك كانوا بمثابة وزراء ولكن في الوقت نفسه لم يحملوا لقب وزير رسمياً وعليه لم تظهر الوزارة رسمياً إلاّ في العصر العباسي [٤] ودليل ذلك ما ذكره ابن الطِقطقا بقوله: ((والوزارة لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلاّ في دولة بني العباس فأما قبل ذلك لم تكن مقننة القواعد ولا مقررة القوانين بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية فإذا حدث أمر استشار ذوي الحجة والآراء

---

(١) اليوزبكي، دراسات في النظم، ص ٧٦–ص ٧٧ .

(٢) اليوزبكي، الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية، (الموصل، ١٩٧٦م)، ص ١٩ ؛ اليوزبكي، دراسات في النظم، ص ٧٧– ص٧٨.

(٣) اليوزبكي، دراسات في النظم ، ص ٧٨ .

(٤) اليوزبكي، دراسات في النظم، ص ٧٩ ؛ اليوزبكي، الوزارة، ص ٢٢– ص ٢٣ ؛ الصالح، صبحي، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، دار العلم لملايين، (بيروت: ١٩٧٨م)، ص ٢٩٦ .

الصائبة فكل منهم يجري مجرى وزير ، فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة وسـمي الوزير وزيراً))[1].

أصبح بيد الوزير في العصر العباسي الحل والعقد وارتفعت منزلته في الدولة وأصبح يدير كل دواوين الدولة وكما قال ابن خلدون: ((جامعاً لخطتي السيف والقلم وسـائر معـاني الوزارة والمعاونة))[2].

وزراء إمبراطورية المغول قبل قيام دولتهم الايلخانية:

لما سقطت الخلافة العباسية على يد المغول سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) بدأ هؤلاء المغول باختيار وزرائهم وموظفيهم من المسلمين نظراً لبداوتهم وافتقارهم لمعرفة وسائل الإدارة لهذه البلدان المفتوحة [3] لاسيما وأن كثيراً من زعماء المسلمين ومثقفيهم أبدوا الرغبة في التعـاون مع المغول على اعتبار أنّ الحكم المغولي لبلادهم أصبح أمراً واقعاً ، وان تعاونهم مع هؤلاء الغزاة قد يخفف من غلوائهم في معاملة المسلمين ويكبح جماحهم ويجنح بهم في النهاية إلـى سياسة المسالمة والتعايش السلمي مع هـذه الأغلبيـة المسـلمة فيسـتفيد الطرفـان حكامـاً ومحكومين[4].

قد اصبح لهؤلاء الموظفين المسلمين نفوذ كبير في دولة المغول بعـد ان اسـتخدمهم ايلخانات المغول في وظائف الحكم والإدارة والمالية ، وأدى هذا الامر الى تحول الكثير مـن المغول الى الإسلام [5].

ولم يكن يطلق على هؤلاء الموظفين لقب وزير بل اطلق عليهم لقب اصحاب الديوان او لقب صاحب ديوان الممالك ، اما لقب وزير فقد اطلق في فترات لاحقـة [6] ، ولعـل اول

---

(1) محمد بن علي بن طباطبا، الفخري، ص ١٢١ .

(2) المقدمة، دار الكتاب العربي، تحقيق علي عبدالواحد وافي (بيروت: لبنان: ٢٠٠٦م)، ج١/ ص ٤٢٣ .

(3) القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص ٢٠٦.

(4) عبد الحليم، رجب محمود، انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٧٠- ص٧١ .

(5) عبد الحليم، المصدر والصفحة نفسها .

(6) القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص ٢٠٧ .

شخص يرد اسمه على الالسن في فترة استيلاء المغول رجل يدعى محمـود الخـوارزمي [١] الذي سنتحدث عنه في الصفحات التالية.

محمود يلواج وابنه مسعود بيك:

كان محمود يلواج خوارزمي الأصل ، ثم رحل عن وطنه الأصلي في عصر السلطان محمد خوارزمشاه والتحق بخدمة جنكيزخان[٢] وقد عرفه ابن الفوطي فـي معجمـه بقولـه: ((فخر الدين أبو القاسم محمود بن محمد ، يعرف بيلواج الخوارزمي وزير قان[٣] كـان مـن أعيان دولة جنكيز خان ، وعليه مدار الملك في المشرق واليه تدبير ممالك تركسـتان وبـلاد الخطا وما وراء النهر وخوارزم ، وكان مع هذا الحكم والدهاء كاتباً سديداً يكتـب بالمغوليـة والايغورية والتركية والفارسية ويتكلم بالخطائية والهندية والعربية ، وكان غاية فـي الفهـم والذكاء والمعرفة ...))[٤].

لقد عمل محمود يلواج سفيراً لدى جنكيز خان وكان من ضمن السفراء الذين ارسـلهم جنكيز خان الى محمد خوارزمشاه في سنة (٦١٦هـ/١٢١٨م) [٥] ، لتمهيد طريق الصلح معه معه ، حيث كان محمود يلواج على رأس هذه السفارة ، وحمـل معـه هـدايا الـى محمـد خوارزمشاه كان من بينها قطعة من الذهب من جبال الصين بحجم سنام الجمل بالإضافة الـى المعادن الثمينة والثياب الفاخرة [٦].

---

(١) الصياد، مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني، دار الكتـاب العربـي للطباعـة والنشـر، (القاهرة: ١٩٦٧م) ، ص ١١٧ .

(٢) خواندمير، دستور الوزراء، ترجمة وتعليق: حربي امين سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م ، ص ٣٣٠ .

(٣) قان: وهي بلغة المغول تعني الملك وصارت لقب من ألقابهم، مجلة جامع النجاح، مج ٢٢، ص ١٣١٠.

(٤) تلخيـص مجمع الآداب في معـجـم الألـقاب، دار الكتب الظاهـرية، دمـشق، ١٩٦٧م، ج٤ /ق٢٢/ ص ٢٩٨-ص٢٩٩.

(٥) بارتولد، تاريخ الترك، ص ١٤٥.

(٦) بارتولد، تركستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو المغولي، نقله إلى العربية: صلاح الدين عثمان هاشـم، منشورات المجلس الوطني، الكويت، ص ٥٦٦- ص ٥٦٧ .

وقد حمل محمود يلواج رسالة جنكيز خان ، وما ان اطلع محمد خوارزمشاه على محتوى الرسالة التي تتضمن التهديد والوعيد ، كما ان جنكيز خان قد أهانه في الرسالة حيث اعده بمنزلة الابن وهذا يعني التبعية للخان المغولي [١].

وقد أشار النسوي وخواندمير إلى أسماء من اشترك في هذه السفارة ومنهم علي خواجة البخاري ويوسف كنكا الارتاري [٢] وهم من التجار الذين كانوا يتاجرون مع بلاد المغول وقد نالوا ثقة جنكيز خان فأرسلهم مع محمود يلواج ، وأمّا عن تفاصيل الرسالة فقد سرد خواندمير ما دار فيها من حوار بين محمود يلواج والسلطان محمد خوارزمشاه ، حيث خص محمود يلواج السلطان بأطيب الكلمات وبدوره رحب خوارزمشاه بالرسل ثم اختلى بمحمود يلواج وقال له: ((انك رجل مسلم ويلزم ان تجيبني بصدق واخلاص عما سوف أسألك عنه ولا تخفي منه شيئاً ؟ وحينئذ اخرج من الخزانة جوهرة ثمينة وقدمها الى محمود يلواج ثم سأله قائلاً: هل استولى سلطانكم على بلاد الخطا (الصين الشمالية) أم لا ؟ فأجابه محمود يلواج بقوله: بعزة الله سبحانه وتعالى استولى جنكيز خان على بلاد الخطا: وسوف يظهر لجلالتكم عما قريب صدق حديثي))[٣] ، ثم تحدث محمود يلواج عن قوة جنكيز خان ، لكنه لما رأى غضب محمد خوارزمشاه عليه أراد تخليص نفسه بقوله: ((إنّ جنود جنكيز خان بالنسبة لجنود سلطان العالم –التي لا حصر لها– مثل نور الشمعة أمام ضوء الشمس التي تنير العالم)) ، وبذلك أمن محمود يلواج بطش محمد خوارزمشاه ، وتم إبرام عقود الصلح والاتفاق بين الجانبين ، وعاد محمود يلواج هو وباقي الرسل محققين هدفهم ، مما جعل جنكيز خان يضع محمود يلواج موضع عنايته واهتمامه ، واسند إليه منصب الوزارة [٤] ، وظل محمود يلواج في منصب الوزارة في عهود ابناء جنكيز خان الذين خلفوه على عرش الايلخانية [٥].

---

(١) الصياد، المغول، ص ٩٩ .

(٢) سيرة جلال الدين، ص ٨٣ ؛ دستور الوزراء، ص ٣٣٠–ص ٣٣١ .

(٣)خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٠ .

(٤) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٣٠– ص ٣٣١ .

(٥) عبد الحليم، انتشار الإسلام، ص ٧٦ .

ومنذ ذلك التاريخ بقى محمود يلواج في خدمة جنكيز خان وكــان بمثابــة مستشــار ووزير حتى استطاع جنكيز خان واولاده من الاستيلاء نهائياً على ممالك محمد خوارزمشاه ، وبقى محمود يلواج يتمتع برعاية هؤلاء الخانات واحترامهم [1].

ولما توفي جنكيز خان عام (٦٢٤هـ/١٢٢٦م) خلفه علــى عــرش المغــول ابنـــه اوكتاي خان (٦٢٦-٦٣٩هـ)/(١٢٢٨-١٢٣١م)[2] وقد تمكن الخان الجديد من اخضاع بلاد الخطا (الصين الشمالية) وعهد بادارتها الى الوزير محمود يلواج ثم فوض اليه ادارة بلاد مـــا وراء النهر ،وقد عمل محمود يلواج بمهارة وحذق الى اعادة تنظيم البلاد التي كان الخــراب ينتابها بسبب الغارات المدمرة للمغول ، وتمكن من اخماد العصيان الذي حدث بين الفلاحــين في بخارى عام (٦٣٦هـ/١٢٣٨م) ونجح في تنمية العمران وتشجيع الحضارة [3].

وقد استمر مقام محمود يلواج على هذا النحو من الشهرة طيلة حكم اوكتاي خان ولكنه تعرض لمؤامرة من قبل أحد اخوة اوكتاي خان ويدعى (جغتاي) حيث كتب الاخير مرســوماً مزوراً باسم اوكتاي خان ، يفوض فيه بعض بلاد ما وراء النهر التي كانت بيد محمود يلواج الى شخص اخر ، فعرض محمود يلواج هذا الامر على اوكتاي خان الــذي ارســل بــدوره مرسوماً الى اخيه خفتاي للتحقيق فيما حدث ، فرد عليه جغتاي قائلاً: ((لقد فعلت هــذا عــن جهل ، وبغير هدى ، وليس لدي أي جواب استطيع كتابته ، لكن لأن القان قد امرني بالكتابة ، تجرأت وكتبت هذا القدر ...)) فاستحسن اوكتاي خان اجابته وقبل عذره ومنحه ملكيــة تلــك الولاية [4].

بعد ذلك قدم محمود يلواج الى جغتاي وقال له: ((ان لي معك كلاماً في الخلوة))، فلما جلسا على انفراد ، قال لجغتاي: ((انا نائب القان فلن يستطيع جغتاي قتلي دون استشارته ، اما اذا انا شكوتك الى القان فسوف يقتلك ، فأنت اذا تداركت امرك ولم تتعرض لي بســوء فبهــا والا فسآتي بك في حضرة القان ، ولو تفوهت بهذا الكلام في حضرة القان فسوف انكره مهما

---

(١) الصياد، مؤرخ المغول، ص ١١٧ .

(٢) الجويني، تاريخ جهانكشاي، مج١ ، ص ١٧٤-ص ١٧٥ ؛ ابن العبري، تاريخ الدول السياني، ص ٤٥٥.

(٣) شبولر، العالم الاسلامي، ص ٨٥.

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ، ط٢، ج٢، ص ١٧٥.

سألت عنه وليس لك عليّ أي شاهد ...)) ولهذا السبب اضطر جغتاي مراجعة نفسه وكف عن الكيد لمحمود يلواج [1].

توفي اوكتاي خان سنة (٦٣٩هـ/١٢٤١م) ، فتم تفويض زوجته توراكنة خاتون لادارة شؤون البلاد لحين انتخاب خان جديد للبلاد [2] ، وتقليد الزوجة لادارة البلاد هو عرف مغولي سار عليه حكام المغول بناءاً على وصية جنكيز خان كي لا يحدث فراغ في السلطة.

عملت توراكنة خاتون على جذب الاقارب والامراء لكسبهم عن طريق الاغراءات المادية فمال معظمهم اليها ، كما ارادت ان تعاقب كبار الامراء ممن لم ينصاع الى اوامرها عن طريق مساعدة حاجبتها فاطمة التي كانت في غاية الذكاء والكفاءة ، وموضعاً للثقة ، وكاتمة اسرار المغول ، وكان عظماء الاقاليم يتخذونها وسيلة لتحقيق اغراضهم ، فاخذت توراكنة خاتون بناءاً على مشورة تلك الحاجبة بعزل الامراء واركان الدولة الذين كانوا قد عينوا في المناصب الكبرى في عهد اوكتاي خان وتولي مكانهم طائفة من الجهال [3] ، كي لا ينافسوها على مكانتها وبناءاً على هذه السياسية اخذت فاطمة تعمل على الايقاع بمحمود يلواج، حيث كانت تضمر له العداء ، فانتهزت الفرصة وعينت مكانه شخصاً يدعى عبد الرحمن ، وأوفدت في صحبته رسلاً في مقدمتهم اوقال قورجي للقبض على محمود يلواج ، وإحضاره مع أتباعه ، فلما وصل الرسل استقبلهم محمود يلواج بالبشر والترحاب ، وظل يومين مشغول بالتودد اليهم في حين أنه كان يستعد للفرار خفية وفي تلك الأثناء أمر اوقال قورجي باعتقال أتباع محمود يلواج وتقييدهم ، وكان محمود يلواج قد أعطى أتباعه تعليمات بأن يصرخوا ويصيحوا قائلين: ((نحن أتباع محمود يلواج ، فبأي ذنب اعتقلتمونا وقيدتمونا ؟ ..)) وفي الليلة الثالثة عمل محمود يلواج على إشغال اوقال قورجي وأتباعه بالشراب والسكر،

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، ط٢، ج٢، ص ١٥٧ .

(٢) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٧٤٩ . تفاصيل عن توراكنة خاتون ودورها في الصراع على السلطة ينظر:النجار، صراع الاسرة الملكية ، ص٦٠-٦٨.

(٣) الجويني، تاريخ جهانكشاي، مج١/ ص ٢٢٤ ؛ الهمذاني، جامع التواريخ، ط٢، ج٢، ص ١٧٦ .

إلى أن غرقوا في النوم ، فتمكن بذلك من الفرار مع نفر من فرسانه إلى كوتان أحـد أبنـاء توراكنة خاتون ، وبذلك أمن شرهم (١).

وفي اليوم التالي عندما علم اوقال قورجي بفرار محمود يلواج أطلق سراح أتباعـه ، وأرسل فرسان إلى كوتان يطلب فيه تنفيذ أمر والدته بتسليم محمود يلـواج ، ولكـن كوتـان رفض تسليمه وطلب له الأمان (٢) ، وبذلك تمكن محمود يلواج بدهائه وحكمته من الـتخلص من هذه المؤامرات ضده ، ولكنه لم يعد إلى منصبه إلاّ بعد أن قتل عبـد الـرحمن وفاطمـة خاتون وذلك في بداية عهد كيوك خان الذي تولى العرش سنة (٦٣٤هـ/١٢٤٥م) فأعـاد محمود يلواج على حكم بلاد الخطا (٣) .

أمّا في عهد منكو خان (٦٤٩-٦٥٥هـ)/(١٢٥١-١٢٥٧م)(٤) فقـد ازدادت مكانـة الوزير محمود يلواج الذي كلف بحكم بلاد ما وراء النهر وإقليم الخطا يساعده ابنه مسعود بيك في إدارة هذه البلاد (٥).

وقد لعب محمود يلواج دوراً كبيراً في مساعدة منكو خان في القضاء على المنـاوئين لحكمه، فكان يلواج ينصحه في القضاء عليهم وإحلال الآخرين محلهم ، وبناءاً على مشـورته أمر منكوخان بأن تضرب أعناق الأمراء المعارضون له والأشخاص الذي كانوا يحرضـون الأمراء على العصيان وكانوا (٧٧) شخصاً قتلوا جميعاً وهكذا ارتفع شأن محمود يلواج عنـد منكوخان (٦).

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، ط٢، ج٢، ص ١٧٦ .

(٢) الجويني، تاريخ جهانكشاي، مج ٢/ ص ٢٢٥ .

(٣) الجويني، المصدر والصفحة نفسها .

(٤) زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ترجمة: سـيد إسـماعيل وآخـرون، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥١م ، ص ٣٦٠ .

(٥) الجويني، تاريخ جهانكشاي، مج٢/ ص ٢٢٦ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٢٣١ ؛ إقبـال، تـاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، نقله عن الفارسية: محمد عـلاء الدين، (القاهرة: ١٩٩٠م)، ص ٤١٨ .

(٦) الهمذاني، جامع التواريخ، ط٢، ج٢، ص ١٧٨ .

وقد اهتم محمود يلواج بالأعمال العمرانية حيث ذكر بارتولد قائلاً: ((فعمرت البلاد بيده وانتعشت البلاد والعباد بعدله))[1] حيث اهتم بتعمير ما خربه المغول وإصلاح حال الناس وإدارة هذه الممالك أحسن إدارة وتوخيه العدل في التخفيف من الآم الضربة القاسية التي نزلت بالناس من جراء هجوم المغول [2] ، إلى أن توفي في شهر ربيع الأول سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م)[3]، أمّا ابنه مسعود بيك فقد استمر في منصب الوزارة وحكم ما كان قد فوض به والده لاسيما ما وراء النهر [4] وإقليم الخطا [5] ، وقد قام مسعود بيك باداء مهمته خير قيام ونهض بتلك البلاد نهضة مباركة ، فازداد العمران وانتشرت المدارس التي أسسها مسعود بيك من ماله الخاص في بخارى وكاشغر وغيرها ، والتي سميت باسم المدارس المسعودية نسبة الى بانيها ، وقد قامت هذه المدارس بدور كبير في نشر الثقافة والعقيدة الإسلامية بين المغول وحافظت على التراث الإسلامي من الضياع وذخرت بالأئمة ومشايخ الإسلام والمدرسين الذين اغرق عليهم العطايا والمنح.

وقد ذكر بارتولد نقلاً عن أحد المؤرخين عن محاسن مسعود بيك بقوله: ((الصاحب الصدر الكبير المعظم الأخير الخطير المفخم سلطان وزراء العالم مفخر أمراء بني ادم صاحب السيف والقلم ... برهان الدين والدنيا مسعود بن محمود الخوارزمي الذي هو خلاصة النقد وواسطة العقد...)) [6]

وقد استمر مسعود في منصب الوزارة في امبراطورية المغول الى ما بعد قيام دولة المغول الايلخانيين.

ثانياً: ابن العلقمي كأول وزير للايلخانيين:

---

(1) تركستان، ص ٦٥٤ .

(2) الصياد، مؤرخ المغول، ص ١١٨ .

(3) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٢٣١ .

(4) الجويني، تاريخ جهانكشاي، مج٢/ ص ١٢٤ ؛ العريني، المغول، ص ٣٣٧ .

(5) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٢٣٢ .

(6) تركستان، ص ٦٥٤.

هو محمد بن أحمد بن محمد بن علي ابن العلقمي ، وزير الخليفة العباسي المستعصم بالله [١]

وقد حصل له من التعظيم والوجاهة في ايام الخليفة المستعصم بالله مالم يحصل لغيره من الوزراء [٢].

وابن العلقمي ينتهي لقبيلة أزد العربية ، وقيل لجده العلقمي ، لأنه حفر النهر المسمى بالعلقمي [٣] ، وكان ابن العلقمي عالماً فاضلاً اديبا يحب العلماء ويسدي اليهم المعروف [٤] ، وقد كان متمسكاً بقوانين الرئاسة خبيراً بأدوات السياسية ، وقد تولى وزارة العراق اربع عشرة سنة [٥] نظم شؤونها وأحسن ادارتها ، وقد اتهم في تسهيل احتلال المغول لبغداد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)[٦] بقيادة هولاكو على رأس الوزارة كما أبقى باقي الموظفين لغرض لغرض إعادة ترتيب شؤونها فاستعان بطائفة من رجالات الدولة الذين كانوا يعملون في عهد الخليفة العباسي المستعصم بالله ، فأعاد فخر الدين بن الدامغاني إلى وظيفته ، وعهد للأمير علي بهادر بوظيفة الشحنة [٧] ، وللأمير نجم الدين أحمد بن عمران بكافة الاعمال الشرفية ، وطائفة أخرى من رجالات العهد العباسي بالوظائف الكبرى الاخرى ، وشرع الموظفون ورجال الادارة الجدد بترميم ما يمكن ترميمه من المساجد والمدارس والربط والاسواق ، واستمر الوزير ابن العلقمي في عمله وسيطاً بين المغول وأهل البلاد الى ان توفي[٨] في

---

(١) ابن الطقطقي، الفخري، ص ٣٣٧ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣/ ص ٢١٢ ؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص ٥٢٨ ؛ ابن الكازروني ظهير الدين علي بن محمد البغدادي، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق: مصطفى جواد، (د:م، ١٩٦٩م)، ص ٣٧٨ ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧١ ، ج٥ ، ص ٥٤٢ .

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣/ ص٢١٢ .

(٣) ابن الطقطقي، الفخري، ص ٣٣٧ .

(٤) ابن الطقطقي، المصدر والصفحة نفسها .

(٥) اليافعي، مرآة الجنان، ص ١٤٧ .

(٦) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٣١ ؛ الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ٢٩٥ ؛ العيني، عقد الجمان، ص ١٧٣ .

(٧) الشحنة: صاحب الشرطة، وهو متولي رئاسة الشرطة ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٣٨.

(٨) طلس، عصر الانحدار، ص ١٣.

في مستهل جمادى الاخرة سنة (٦٥٦هـ-١٢٥٨م) ودفن في مشهد موسى بن جعفر في بغداد [١].

وقد اختلفت الروايات التاريخية حول كيفية وفاته فمنهم من قال بأنه قتل على يد هولاكو دون ذكر الأسباب كابن خلدون وابن تغري بردي والدياربكري [٢] ، أمّا الفئة الأخرى الأخرى من المؤرخين أمثال الذهبي واليافعي وابن كثير الذين أوردوا نصوصاً مغايرة ذكروا فيها أن ابن العلقمي لاقى من الذل والهوان على ايدي المغول في أواخر عهده أدت إلى موته وله من العمر ثلاث وستون سنة [٣].

ويبدو أنّ الرواية الثانية هي الأقرب إلى الصحة ، ذلك لأن ابن العلقمي رأى ما حل بأهله وبلاده من ويلات بسبب القتل والتنكيل والتدمير فأثّر ذلك فيه كمداً وضيقاً حتى مات.

ولم يظهر للباحث ما يوحي بأن ابن العلقمي خلال مدة تسلمه منصب الوزارة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) وهي فترة قصيرة جداً أي دور في الصراع على السلطة بعد قيام دولة المغول الايلخانيين وقد سبق الاشارة اليه في البحث كونه أول وزير لدولة المغول في العراق.

ثالثاً: الجوينيين ودورهم في الصراع على السلطة:

١- تولي شمس الدين وعلاء الدين منصب الوزارة:

هو علاء الدين الملقب بعطا ملك الجويني وشمس الدين الجويني من أبناء الصاحب بهاء الدين [٤]

محمد بن محمد الخراساني [١] ، وقد ترجم لهما ابن الفوطي وارجع نسبهما إلى الفضل بن ربيع [٢] ، بينما ارجع خواندمير نسبهما لإمام الحرمين حجة الإسلام عبد الملك الجويني[٣].

---

(١) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٣٣ ؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج ٢٠ ، ص ١٩٣

(٢) تاريخ ابن خلدون، ج٥/ ص ٥٤٣ ؛ المنهل الصافي، ج٣/ ص ١٢٨ ؛ حسين بن محمد بن الحسن، تاريخ تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، بيروت، ص ٩٥.

(٣) دول الإسلام، ج٢/ ص ١٦١ ؛ مرآة الجنان، ج٤/ ص ١٤٧ ؛ البداية والنهاية، ج١٣/ ٢١٢ .

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٢٤٢ ؛ اليونيني، ذيل مرآة، ج٣/ ص ٢٤٢ ؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الارناؤوط وزكي مصطفى، دار إحياء التراث، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ج٢٠/ ٨٤ .

توارثت أسرة الجوينيين المناصب الرفيعة في الدولة أباً عن جد حيث تولى الجد الأعلى لعلاء الدين شمس الدين بهاء الدين محمد في خدمة السلطان اتسز خوارزمشاه (٥٢٢-٥٥١هـ/١١٢٧-١١٥٦م) في سنة ٥٨٨هـ ، وكان جده المسمى شمس الدين محمد من ملازمي السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه (٥٩٦-٦١٧هـ/١٢٠٠-١٢٢٠م) كما كان يعمل مستوفياً لديوانه ، وظل شمس الدين محمد محتفظاً بهذا المنصب حتى عهد السلطان جلال الدين منكبرتي [٤] إلى أن توفي سنة (٦٥١هـ/١٢٥٣) [٥].

عمل علاء الدين كاتباً لدى أرغون حاكم خراسان ثم عين كاتباً لدى هولاكو ومن خواصه المقربين ورافقه في رحلته المشؤمة لغزو العالم الإسلامي وكان عمره دون الثلاثين ، ومنكوخان نفسه عينه في جيش هولاكو ليهتم فيما بعد بمصالح خراسان والعراق على ان يشاركه في حكم العراق أحمد بيكتجي [٦].

لقد ساقت الأقدار علاء الدين لكي يكون كاتب هولاكو باللغتين (العربية والفارسية) ووزيره وشاعره ومستشاره ومدبر أموره ، وبالتالي فهو من المقربين جداً إليه بل أصبح مقامه عالي الشأن لديه خاصة وأن قرار تكليفه صدر من قبل الخان نفسه [٧].

تولى علاء الدين منصب الوزارة في سنة (٦٥٧هـ/١٢٥٩م) [٨] أي بعد مضي عام واحد على انقضاء الخلافة العباسية ، وصار يلقب بصاحب الديوان وهو بمثابة الحاكم الأعلى

---

(١) ابن العماد الحنبلي، أبو فلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الميسرة، بيروت، ١٩٧٩م، ج٥/ص ٣٨٢ .

(٢) الشبيبي، محمد رضا، مؤرخ العراق ابن الفوطي، العراق، ١٩٥٨م، ج١/ ص ٦ .

(٣) دستور الوزراء، ص ٣٣٧.

(٤) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٣٧ .

(٥) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص ٣٨٢ ؛ مرتضى أفندي، نظمي زادة، كلشن خلفا، نقله إلى العربية: موسى كاظم نورس، منشورات المجمع العلمي العراقي، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧١م، ص ١٥٢ .

(٦) الجويني، تاريخ جهانكشاي، مج١/ ص ١٢- ص١٣.

(٧) الجويني، تاريخ جهانكشاي، مج١/ ص ٤ .

(٨) العزاوي، تاريخ العراق، ج١/ ص ٢٣٦ .

للعراق ، وكان فيها الحاكم القوي للعراق وقد اثبت كفاءة ومقدرة في إدارته [١] ، وأما بشأن أخيه شمس الدين فقد اصدر هولاكو سنة (٦٦١هـ/١٢٦٣م) أمراً بتوليته منصب صاحب ديوان الممالك (وهذا المنصب يقابل في عصرنا الراهن منصب رئيس الوزراء)[٢] ، وأطلق يده في تصريف أمور الدولة وتسييرها [٣] ، فكان هذا إيذاناً بصعود نجم هذه الأسرة في فلك الدولة الايلخانية المغولية في بلاد فارس .

وقد سار أباقا خان (٦٦٣-٦٨٠هـ / ١٢٦٥-١٢٨٢م) على نهج سلفه في التمكين لأسرة الجوينيين ، فأبقى علاء الدين وشمس الدين في منصبيهما [٤] ، حيث كان شمس الدين يجمع بين جباية الضرائب والدخل العام والشؤون السياسية التي أدارها بحذق ومهارة ، أما أخوه علاء الدين فقد تمتع باستقلال تام في تصريف شؤون العراق ، وقد كان الأخوان السبب الرئيس في تنمية دولة المغول الايلخانية ، ودفعوا الأذى المغولي عن الأهالي والأخذ بيدهم والوقوف مرة أخرى لمسايرة الحياة العامة [٥] ، وبذلوا كل ما في وسعهم لتعمير ما دمره المغول عن طريق بناء القرى والمزارع وقنوات الري وحفر الأنهار [٦] ، ونجحوا في ذلك نجاحاً باهراً ، وكانت مجالسهم مقراً للأدباء والكتّاب والشعراء ومناط آمالهم [٧].

٢- نجاح الجوينيين في التصدي للمنافسين لهم على مراكز الوزارة:

لقد بلغت المدة التي حكم فيها علاء الدين قرابة الأربع وعشرين سنة ، منها: نحو ست سنوات في عهد هولاكو من سنة (٦٥٧هـ/١٢٥٩م – ٦٦٣هـ/١٢٦٥م) وسبع عشرة عاماً طيلة حكم أباقا خان من (٦٦٣هـ/١٢٦٥م – ٦٨٠هـ/١٢٨٢م) ونحو سنتين في عهد أحمد

---

(١) خصباك، جعفر حسين، الإدارة الايلخانية في العراق، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ١-٣ لسنة ١٩٥٩-١٩٦١م ، ص ٢٥ .

(٢) خصباك، الإدارة الايلخانية، ص ٦٧ .

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢ / ج١/ ص ٢٤٢ ؛ اليونيني، ذيل مرآة، ج٣/ ص ٢٢٥ .

(٤) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥/ ص ٣٨٢ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٠/ ص ٨٤ ؛ مرتضي أفندي، كلشن خلفا، ص ١٥٣ ؛ الطهراني، آغا بزرك، الأنوار الساطعة في المائة السابعة، تحقيق: علي تقي فنري، دار الكتاب العربي، ط١ (بيروت: ١٩٧٢م)، ج١/ ص ٣٤ .

(٥) فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٦٥ .

(٦) الشيرازي، أديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله، تاريخ وصاف، (بومباي، ١٢٦٩هـ)، ص ٥٩ .

(٧) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٣٨ ؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص ٥٩ .

تكودار من (٦٨٠هـ/١٢٨٢ – ٦٨٢هـ/١٢٨٤م) وخلال هذه المدة الطويلة من حكمه وبما تمتع به من جاه سعى أعدائه ضده ، إذ قامت طائفة من الحاسدين الحاقدين لإبعادهم عن طريقهم والخلاص منهم نهائياً والإحلال محلهم ، وهذه المؤامرات لم تقم ضد علاء الدين فقط بل استهدفت أسرة الجوينيين بصورة عامة نظراً لما بلغت هذه الأسرة من الجاه في دولة المغول الايلخانيين [١].

لقد اختلفت جنسيات هؤلاء الوشاة ومذاهبهم ، بقدر ما اختلفت وسائلهم ، وقد كانت اغلب هذه المؤامرات تحاك من قبل الموظفين الرقباء والشحنة الذين كانوا لا هم لهم سوى افتعال سلسلة من الوشايات والمؤامرات على علاء الدين وأخيه شمس الدين بهدف التقرب إلى الايلخان ولابتزازهم يشاركهم في ذلك عدد من المتزلفين من أبناء البلاد [٢].

أ- فشل عماد الدين القزويني وعلي بهادر في الإيقاع بعلاء الدين ومقتلهما:

لقد تعرض الوزير علاء الدين لسلسلة من المؤامرات جاء في مقدمتها مؤامرة عماد الدين القزويني وشحنة بغداد علي بهادر سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) وقد ساعدهم في تلك المؤامرة عدد من صدور العراق.

لقد كان عماد الدين القزويني يعمل مساعداً لعلاء الدين منذ سنة (٦٥٧هـ/١٢٥٩م) لكن الخلافات سرعان ما نشبت بينهما ، ومرد ذلك إلى اعتداد عماد الدين بنفسه واعتقاده بأنه أجدر من علاء بتولي هذا المنصب ، بل كان يرى في تقديم علاء الدين عليه هضماً لحقه من هنا جاءت تلك الخصومة [٣].

ففي سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) اتفق علي بهادر شحنة بغداد مع عماد الدين القزويني [٤] وقصدوا هولاكو خان الذي كان برحلة إلى الشام ، ورفعوا إليه معلومات ضد علاء الدين

---

(١) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٣٧- ص ٣٨ ؛ جمال الدين، محمد السعيد، علاء الدين عطا ملك الجويني حاكم العراق، ط١ ، (القاهرة: ١٩٨٢م)، ص ١٩ .

(٢) قداوي، حكومة ولاية بغداد الايلخانية، بحث غير منشور ، ص ٤ .

(٣) الشبيبي، مؤرخ العراق، ج٢/ ص ١٤٥ .

(٤) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٤٣ .

تشير إلى اختلاسه أموال الدولة ، وثبت عليه ما نسب إليه ، فأمر هولاكو خـان بقتلـه [١] ، فسأل علاء الدين هولاكو بالعفو عنه ، فلما عفا عنه بشفاعة أخيه شمس الدين إلاّ أنـه أمـر بحلق لحيته فحلقت ، الأمر الذي أثار حزن علاء الدين ولم ينسَ هذه الاهانة ، وأطلق كلمـة عبّر فيها عن حقده الكامن وتصميمه على اخذ الثأر فقال لشحنة بغداد علي بهادر: ((إنّ الشعر اذا حلق نبت والرأس اذا حلق لم ينبت))[٢].

لقد تمكن علاء الدين بجهود أخيه شمس الدين من العودة إلى ولاية العراق ، ومنذ ذلك الحين شرع يأخذ خطوط الولاة والأكابر بما ارتكبه عماد الدين القزويني في جمـع الأمـوال والثروات عن طريق عسف الناس وعرض ذلك على هولاكو خان ، الذي أصدر أمراً بإجراء تحقيق فيما رفع إليه من أمر عماد الدين ، وبعد إجراء التحقيق تم إثبات التهمة علـى عمـاد الدين ، فأمر هولاكو خان بقتله سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٢م) [٣] ، كذلك أمر هولاكو بأن يقتل من شارك عماد الدين من أصحابه ونوابه منهم علي بهادر الذي قتل سـنة (٦٦١هـ/١٢٦٣م) وعين محله قرابوغا [٤].

ب- شحنة بغداد قرابوغا ونائبه إسحاق الارمني ونقيب النقباء ابـن الطقطقـي يذهبوا ضحية تآمرهم على علاء الدين:

جاءت المؤامرة الثانية أيضاً من قبل شخص مغولي يدعى قرابوغا [٥] ، شغل منصب شحنة بغداد بعد عزل علي بهادر من منصبه ، وقد اتخذ قرابوغا لنفسه نائباً يسـمى إسـحاق الارمني ، واشترك الاثنان في التآمر على علاء الدين [٦] يحركهم شعور الحق والحسد بسبب اتساع سلطات علاء الدين التي حالت دون تمتعهم بالنفوذ الكامل ، عمل قرابوغـا وإسـحاق الارمني على الإيقاع بعلاء الدين عن طريق توجيه تهمة تعد من أشنع التهم عنـد المغـول ،

---

(١) العزاوي، تاريخ العراق، ج١/ ص ٢٣٨ .

(٢) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٤١ .

(٣) الشبيبي، مؤرخ العراق، ج٢ ، ص ١٤٧ .

(٤) خصباك، الإدارة الايلخانية، ص ٣٢ .

(٥) قرابوغا: يذكر في المصادر باسمين قرابوغا وتتارقيا.

(٦) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٩٧-٤٩٨ ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٥٢ .

للتخلص منه نهائياً ، فقد اتفقا مع أحد الأعراب على أن يشيع بين الناس أنّ حاكم بغداد عـلاء الدين قد استدعاه من البادية [1] وطلب إليه أن يكون دليلاً يدله على طريق غير مطروق يتجه نحو الشام ، لأنه اعتزم الهجرة إلى هذه البلاد هو وأولاده وكل ما يتعلق به لخدمة السـلطان المملوكي [2] بيبرس (٦٥٨-٦٧٥هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م) ، وكان من المعـروف أنّ العلاقـات بين الدولتين المغولية في إيران والمملوكية في مصر والشام في أشد حالات التوتر ، خاصـة بعد أن انتصر المماليك على المغول في معركة عين جالوت سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) تلـك المعركة التي حطمت آمال المغول في السيطرة على تلك المناطق [3] ، لذلك كانت أقل شـبهة اتصال بالمماليك كفيلة بأن تورد صاحبها مهما بلغ شأنه ، مورد الهلاك هو وكل من يمت إليه بأي صلة كانت. استغل قرابوغا وإسحاق الارمني هذه الحساسية لدى حكام المغـول للإيقـاع بعلاء الدين – فجاء هذا الإعرابي الذي اخذ يبث الإشاعات المسـمومة هنـا وهنـاك وحاصرا قصر علاء الدين ثم اعتقلاه وذهبا به وبصحبته ذلك الأعرابي إلى بلاط اباقا خـان الذي حرص لبشاعة هذه التهمة أن يحقق بنفسه في الأمر ، كي يسمع الاعتراف الكامل علـى لسان الأعرابي ، الذي اضطرب اضطراباً شديداً وتلكأ عندما طالبوه بالدليل عن صحة ما قاله ، وعندما شددوا عليه وضايقوه ، أقرّ أنّ كلامه عن علاء الدين ، إنما هو محض افتراء ، وأن المحرض له هو إسحاق الارمني ، عند ذلك أمر اباقا خان بقتل إسحاق الارمني والأعرابـي على الفور وعزل قرابوغا وأطلق سراح علاء الدين وأعاده حاكماً لبغداد أو كما كان الحـال من قبل [4].

لم تقتصر محاولات الايقاع بعلاء الدين على موظفي الديوان الطامعين في منصـبه ، وانما امتدت لتشمل بعض الاشراف الذين ينتسبون الى الاسرة النبوية الشـريفة مـنهم نقيـب

(١) ابن العبري، المصدر والصفحة نفسها ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٩٨ .

(٢) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٤٩٧- ٤٩٨ ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٩٨ – ص ٣٩٩ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ج١، ص ٢٩٠-٢٩١ ؛ جمال الدين، علاء الدين، ص ١٩.

(٣) المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٥٠ – ص ٥١ .

(٤) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٤٩٧- ٤٩٨ ؛ ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ١٤٥ ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٩٨- ص ٣٩٩ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ج١/ ص ٢٤٨ .

النقباء تاج الدين علي بن محمد بن رمضان الحسني العلوي المعروف بابن الطقطقي [١] ، الذي اراد ازاحة علاء الدين من منصبه كحاكم لبغداد والحلول مكانه.

لقد ساعدت الاقدار تاج الدين في الحصول على الاموال والعقار والضياع ما لا يكاد يحصى واصبح من اثرياء العراق اذ كان يستأجر قسماً من الاملاك الخاصة بالديوان التي يشرف عليها علاء الدين ، وحقق من وراء ذلك ربحاً كثيراً ، وكان من ضمن الاملاك التي استأجرها تاج الدين اراضي زراعية ، وفي تلك المدة اصاب الناس قحط شديد فقام تاج الدين بتسعير الغلات على الناس بأغلى الاسعار وكان يضرب به المثل في الغلاء ، فيقال غلاء ابن الطقطقي [٢].

وصل الامر بابن الطقطقي بعد ان اتسع نفوذه الى حد التجرؤ على علاء الدين حيث كتب رسالة الى اباقا خان يشير بها عليه بعزل علاء الدين عن حكومة بغداد واقامته محله [٣] ، ووعده باموال جزيلة ، فوقع كتابه بيد الوزير شمس الدين أخو علاء الدين ، فارسل شمس الدين الرسالة الى أخيه ، كما كتب اليه رسالة خاصة ضمنها بهذين البيتين:

كم لي أنبه منك مقلة نائم	**يبدي سباتاً كلما نبهته**
فكأنك الطفل الصغير بمهده	**يزداد نوماً كلما حركته** [٤]

وصلت رسائل شمس الدين الى اخيه علاء الدين ، عندئذ صمم على الفتك بتاج الدين ، عن طريق تحريض جماعة على قتله ، ففتكوا به ((وهربوا الى موضع ظنوه مأمناً ، امرهم بالمسير اليه صاحب الديوان ، فخرج صاحب الديوان من ساعته الى ذلك الموضع ، فقبض على أولئك الجماعة وأمر بهم فقتلوا ، واستولى على اموال النقيب وأملاكه وذخائره))[٥].

---

(١) هو ابو صفي الدين محمد بن الطقطقي مؤلف كتاب الفخري في الاداب السلطانية.

(٢) الحسيني، جمال الدين أحمد بن علي بن عنبه العلوي، عمدة الطالب في انساب ابي طالب، المطبعة الحيدرية، (النجف، ١٩٦١م)، ص ١٨٠- ص ١٨١ .

(٣) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٧٧ ؛ الحسيني، عمدة الطالب، ص ١٨١.

(٤) الحسيني، عمدة الطالب، ص ١٨١ .

(٥) المصدر والصفحة نفسها .

وقد ذكر ابن الفوطي في حوادث سنة (٦٧٢هـ/١٢٧٤م) حادثة مقتل تاج الدين باقتضاب ، ولا ينسب قتله الى علاء الدين [١].

لقد سببت تلك الحادثة عداءاً بين مؤلف كتاب الفخري ابن تاج الدين المقتول وبين علاء الدين ، وبدا ذلك العداء من خلال السب اللاذع من قبل مؤلف كتاب الفخري لعلاء الدين ولم يتورع عن الطعن في نسبه [٢].

ومهما يكن من أمر ، فقد بدا الوزير شمس الدين عيناً ساهرة على أخيه علاء الدين يراقب الأحداث التي تجري في بغداد بكل همة ويقظة ولا يغفل عن متابعة المؤامرات التي تحاك ضد أخيه علاء الدين ، خشية من نجاح تلك المؤامرات التي ستولد انعكاساً سلبياً على حياة علاء الدين وأسرة الجوينيين بأسرها ، لذلك حرص كل الحرص على أن لا تنجح تلك المؤامرات ، وكان منصبه كوزير للايلخان سداً منيعاً للحيلولة دون وصول تلك المؤامرات الى الايلخان [٣].

ج- فشل مؤامرات مجد الملك اليزدي في الإيقاع بالجوينيين:

لقد شاء الحظ العاثر للأخوين علاء الدين وشمس الدين أن يظهر منافس خطير لهم في الميدان أقضّ مضجعهما ، واستطاع في براعة ومهارة في مدة قصيرة أن يصبح من المقربين لأباقاخان وخاصته من كبار الأمراء ، لأن من أهم صفاته الطموح والطمع والجشع ، ولاشك ان قصة هذا الرجل ، ودأبه المتواصل في التآمر ضد أسرة الجوينيين ، والعمل على إسقاطها، يعد من الاحداث الداخلية الهامة التي حدثت في عهد اباقاخان [٤].

لم يكن هذا المنافس الخطير سوى مجد الملك اليزدي [٥] من اتابكة يزد ، الذي ينتمي الى اسرة توارثت اعمال الديوان ووظائفه ، فلقد تقلد ابوه صفي الملك الوزارة لاتابكة يزد ،

---

(١) الحوادث الجامعة، ص ٣٧٧ ؛ الحلي، يوسف كركوش، تاريخ الحلة، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٥م، ص ٧٧ .

(٢) ابن الطقطقي، الفخري، ص ١٥٩ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٣٩ .

(٣) جمال الدين، علاء الدين، ص ٢١ .

(٤) الصياد، الشرق الاسلامي، ص ١٠٦ ؛ جمال الدين، علاء الدين، ص ٢٤ .

(٥) ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب ، ج٤/ قسم ٢/ ص ١٠٣٦ حاشية رقم (١) ؛ الشبيبي، مؤرخ العراق، العراق، ص ١٥١- ص ١٥٢ .

اما هو فقد التحق اول الامر بخدمة بهاء الدين محمد بن شمس الدين حاكم اصفهان [١] ، وما لبث ان تدرج في المناصب ، وعمل مع شمس الدين الذي عهد اليه القيام بالأعمال الهامة وولاه مناصب رفيعة في الدولة ، ويصفه الهمذاني بقوله: ((كان ذا خبرة وبراعة فائقة ، كما كان فصيحاً وكفوءاً الى ابعد حد))[٢].

لقد كان مجد الملك يسعى في الباطن الى القضاء على الجوينيين ، ودبت في نفسه عوامل الحسد والغيرة ، بدلاً من ان يشكر اليد التي امتدت اليه بالعون والمساعدة ، بدأ يضمر الكيد لأصحابها ، وأخذ يتطلع الى ازاحتهم من الطريق ، ليحتل هو تلك المكانة البارزة التي يتمتعون بها في دولة المغول ، وقد ذكرت بعض المصادر كابن الفوطي والهمذاني ان هدف مجد الملك بالإضافة الى الاهداف السابقة هو الانتقام لصاحبه عماد الدين القزويني من اسرة الجوينيين لأنه فيما سبق كان يعمل لدى عماد الدين وساعده في المؤامرة ضد الجوينيين لكنه تمكن من الهرب وبدأ يخطط للمؤامرات [٣].

وقد جاءت الفرصة المؤاتية لمجد الملك للايقاع بالجوينيين عندما تحدث ذات يوم مع مجد الدين ابن الاثير نائب علاء الدين ، فسمع منه حديثاً يدور حول قوة المماليك في مصر والشام ، وما لدى سلطانهم من عظمة وشوكة ، وما لجيشه من عدة وعتاد ، فتشبث مجد الملك بذلك الحديث واتخذه ذريعة للإيقاع بالجوينيين ، حيث اتهمهم انهم على اتصال بالمصريين ، والمتضامنين معهم ، وهم يترقبون مجيء جيش المصريين كي يسلموه بغداد ، ونقل مجد الدين هذا الحديث الى أحد قادة المغول المقربين من اباقا خان ويدعى (بيسوبوقا كوركان) وهذا بدوره نقل هذا الادعاء الباطل الى اباقاخان فغضب غضباً شديداً ، وأمر بالقبض على مجد الدين ابن الاثير ، وحقق معه بخصوص هذا الحديث وتم ضربه في اثناء

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ٧٣ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٤١ ؛ خصباك، الادارة الايلخانية، ص ٨٣ .

(٢) جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ٧٤ .

(٣) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤١٢ ؛ الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ٧٤ .

التحقيق مائة عصا ، ولما لم تثبت ادانته ، سلموه لشمس الدين [١] ، وهكذا انتهت الدعوة ، ولم يصب الجوينيين بأي اذىً.

غير ان الوزير شمس الدين رأى أنه اذا بالغ في الاغداق على مجد الملـك وتناسـى فعلته التي فعلها ، فربما يؤدي ذلك الى استمالته الى جانبه ، ودفع شره ، فاصدر أمراً بتـولي مجد الملك حكومة سيواس في اسيا الصغرى ثم أمر له بمكافأة قدرها عشرة الاف دينار [٢] ، لكن مجد الملك رغم هذا الاغداق والانعام ظل يمارس المكر والخديعة ، وانتهز فرصة مواتية ، في سنة(٦٧٨هـ/١٢٨٠م) حيث تمكن من الوصول إلى الأمير أرغون ابن الايلخان اباقـا عن طريق أحد المقربين اليه ، وعرض عليه قائلاً: ((انه منذ أكثر من عام كان يريد ان يبوح بما يعرفه عن خيانة شمس الدين وأخيه للأمراء والمقربين إلاّ أنه ، كلما بادر بالكلام علم بـه صاحب الديوان ، فكان يعطيهم رشاوي كثيرة من أموال الملك لكتمان ذلك الكلام))[٣].

ومضى مجد الملك في كلامه قائلاً: ((لقد تحقق عندي ان ما يصل إلى خزانة الايلخان من كافة أرجاء البلاد لا يكاد يعادل ما حصله صاحب الديوان -يعني الوزير شمس الـدين- الذي وصل به نكران الجميل إلى حد التواطؤ مع سلاطين مصر ، فحرض معين الدين بروان آسيا الصغرى من قبل المغول على التآمر مع الظاهر بيبرس(٦٥٨-٦٧٦ه/١٢٦٠-١٢٧٧م) فأغار على أسيا الصغرى وقتل الكثير من أهلها ، وهزم الجيش المغولي هزيمة منكـرة فـي معركة الابلستين سنة (٦٧٦هـ/١٢٧٨م)[٤] ، مما أفضى إلى هلاك عدد كبير من كبار أمراء الجيش المغولي الذي كان يحمي آسيا الصغرى ، وأمّا أخوه علاء الدين فقد استخلص ممالـك بغداد ، واتخذ لنفسه تاجاً مرصعاً بالجواهر لا يلبسه إلاّ الملوك ، وجمع من الأملاك والخزائن والذخائر ما يخرج عن نطاق الحصر [٥] ، وحيث أنّ شمس الدين عرف أني مطلع على هـذه الأسرار ، فإنه منحني حكم سيلوس وسبيكة من الذهب وقطعة من حجر اللعل ، كما انه بعث

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ٧٦- ص٧٧ ؛ خواندمير، دستور الوزراء ،ص ٣٤٣ .

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ٧٦- ص٧٧.

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ٧٧- ص٧٨ .

(٤) للمزيد من التفاصيل عن معركة الابلستين، ينظر: ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مـج١/ ص ٤٢ ، ص ٤٣ ، ص ٦٥ ، ص ٦٨ ؛ المقريزي، السلوك، قسم٢/ ص ٦٣٥- ص ٦٣٦ .

(٥) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ٧٩ .

إليّ بمبلغ من المال كرشوة ، الأمر الذي اشعر أرغون بخطورة هذا الادعاء ، فابلغه على الفور لأبيه الايلخان اباقا فغضب غضباً شديداً وأمر بإحضار شمس الدين وعلاء الدين ، وأرسل الرسل إلى سائر الممالك والأقاليم ، للقبض على نوابه ، وإحضارهم مع سجلاتهم لإجراء تحقيق والتثبت من صحة اتهامات مجد الملك لهما [1].

وعند ذلك ظنّ مجد الملك أنّ جهوده الدائبة للنيل من أسرة الجوينيين قد أثمرت ، لكن شمس الدين بحكم علاقاته القوية بالأسرة الحاكمة عرف كيف يدفع التهم عن نفسه ، حيث استنجد ((بأولجاي خاتون)) الزوجة المفضلة لأباقاخان ، وكتب وثيقة يقول فيها: ((إنّ كل الأملاك التي اشتراها خلال هذه المدة –أي فترة وزارته– إنما هي حق وملك للملك– أي اباقاخان)) ، فعرضت اولجاي خاتون حاله على اباقاخان استنادا إلى تلك الوثيقة ، وتشفعت له، فلاقى تشفعها القبول لدى اباقاخان ، فنجا شمس الدين وأخوه علاء الدين من هذه الورطة[2] ، وصدرت المراسيم بعودة الرسل وعدم التعرض لنوابهما ، وأعيدت أملاك شمس الدين إليه ، وعاد إلى منصبه ، وهكذا أنقذت اولجاي خاتون أسرة الجوينيين جميعاً من تلك الورطة التي كان يمكن أن تكلفهما حياتهما [3] ، وفي نفس الوقت ارتفعت مكانة مجد الملك وأصبح شريك شمس الدين في الإشراف على ديوان الممالك وتعيين النواب وذلك بأمر من اباقاخان سنة (٦٧٩هـ/١٢٨١م)[4]

قام مجد الملك في محاولة يائسة برفع مذكرة إلى اباقاخان جاء فيها ، اذا كان السلطان قد انعم على صاحب الديوان ، فهذا يعني أنه لا أمان لي منه في أي لحظة ، وإني لأرجو ان يلحقني السلطان بخدمة واحد من أمراء الدولة ، ليدفع عني شر الصاحب ، أو يصدر أمره لي بمغادرة هذه الدولة ، فأجاب اباقاخان بقوله: اني وإن كنت اعتمدت على صاحب الديوان –أي

---

(١) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤١٥ – ص ٤١٦ ؛ الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ٧٩ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٣٢ .

(٢) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج١ ، ص م.

(٣) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج١ ، ص م.

(٤) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤١٥ – ص ٤١٢ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ج١ / ص ٢٩٧ .

شمس الدين- لم اغضب على مجد الملك ، فعليه ان يلزم البلاط مع طغاجار وجوشي واردوقيا – وهم كبار الأمراء [1].

ثم حدث بعد ذلك تطور خطير كان في صالح مجد الملك ، وذلك عندما اصدر اباقاخان أمراً بأن يتولى مجد الملك الإشراف على كافة الممالك التابعة للدولة الايلخانية من شاطئ نهر أموي حتى حدود مصر [2] ، وأن يشارك شمس الدين في الحكم ، وتم إعلان الأمر بحضور الأمراء والخواتين [3] ، كما خاطب اباقاخان مجد الملك عن كيفية إدارته لتلك المناطق ، ووعده بأنه سيكون كفيلاً بالرد على أي شخص يتعرض له بسوء [4].

ادى هذا التكريم البالغ لمجد الملك من قبل اباقاخان إلى تراجع مكانة شمس الدين لدى اباقاخان وأخذ يجلس في مكان متاخر عن مجد الملك ، فتجرع شمس الدين كأساً مريرة أمام عدوه اللدود مجد الملك ، ومع هذا فإن شمس الدين ظل واثقاً من نفسه وتعامل مع الموقف بحزم[5]

وانتظر لما ستسفر عنه الأيام ، فقد أرسل إليه مجد الملك أبيات من الشعر:

سوف اغوص في بحر غمك إن التعرض لك خطير **فإما ان اغرق، وإما ان أحرز الدر ولكني سوف أقدم عليه**

فإما ان انتصر فيحمر وجهي بالفرح **وإما أن اقهر فيحمر عنقي بالدم**

فأجابه شمس الدين أيضاً بأبيات من الشعر:

انه لا ينبغي مقاضاة الملك **وإذن يجب تجرع غصص الدهر**

([1]) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ٨٠ .

([2]) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ٨٠ ، ص ٨١ ؛ القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٥٩٣ .

([3]) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ٨٠ ، ص ٨١ ؛ الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٩٥ .

([4]) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ٨٠ ، ص ٨١ .

([5]) ميراخواند، روضة الصفا، ج٥ ، ص ٣٢٣ ، ص ٣٢٤ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٤٣ .

وإن هـــــــــــــــــــــــذا إنمــا تصــبغ بــه بالحــــــــمرة وجهــك
العـــــــــــمــــــــــل الذي وعـــــــــــــنقـــــــــــك[1]
تـــــــــصــــــر عليه

ولما وجد مجد الملك أنه عاجز عن النيل من شمس الدين ، تحول إلى إيــذاء أخيــه علاء الدين ، فصار يحرض مرؤوسيه وعماله على التمرد عليه بل استطاع تأليب نوابه عليه بواسطة الرشاوي والهبات التي كان يغدقها عليهم ،فصاروا يكيدون له ، ويخاطبونه في غلظة وفضاضة ، ويتهمونه بالاختلاس ، ويقول الهمذاني ان مجد الدين ابن الأثير الذي كان نائبــاً لعلاء الدين ، وواحداً من أخلص خواصه وقع تحت تأثير مجد الملك وأعدائه واغرائهم وانقلب ضد علاء الدين ، وأخذ يكيل له التهم ويروج حوله الإشاعات ، ويكلمه بتبجح ويسأله أمام ملأ من الناس عن الإيرادات ويقول له: ((إنّ لك في الموضع الفلاني كذا وكذا ، وعند الشــخص الفلاني كذا وكذا ...)) ، ولما رأى شمس الدين خطورة الموقف ، وتكالب الأعداء والأصدقاء على أخيه علاء الدين ارسل اليه يقول: ((لا تنكر شيئاً قط ، حتى لا يلحق بــك أذى ، فــإنهم قالوا: لا بارك الله بعد العرض في المال))[2].

وبعد مناقشة طويلة ، تعهد علاء الدين بدفع مبلغ ثلاثمائة تومان أي ما يعادل ثلاثــة ملايين دينار ، وبعد سداد هذا المبلغ طالبوه بالزيادة ، وبلغ بهم الامر الى حد ان قام الرســل باحضار علاء الدين الى بغداد مقيداً بالسلاسل والاغلال ، واخذوا يعذبونــه بشــتى الطــرق والوسائل ، حتى اضطروه الى بيع كل ما يمكله [3].

كما تحدث ابن الفوطي ضمن حوادث سنة (٦٨٠هــ/١٢٨٢م) عن مدى الاذى الــذي لحق بعلاء الدين بقوله: ((قبض السلطان على علاء الدين صاحب الديوان واصحابه ونوابــه واتباعه وسلم الصاحب الى مجد الملك فاستوفى منه أموالاً كثيرة وبيع من املاكــه واســبابه جملة طائلة ودوشخ والقي تحت دار المسنّاة التي بأعلى بغداد على شاطئ دجلة مكتوفاً عليــه

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ٢ ص ٨١ .

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ٨١ ، ص ٨٢ .

(٣) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٥١/ ص ٨١ ؛ الكتبي، فوات الوفيات، تحقيــق: احســان عبــاس، (بيــروت: ١٩٧٤م)، ج٢/ ص ٤٥٢ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٠/ ص ٨٤ .

قميص واحد وكان البرد شديداً جداً وضرب خواصه وخدمه ... واستوفيت الاموال منهم))[١] ، ثم حمل الى تبريز لكن موت اباقا خان [٢] وتولي أحمد تكودار بن هولاكو العرش سنة (٦٨٠هـ-٦٨٣هـ)/(١٢٨٢م-١٢٨٥م)[٣]

وتحوله الى الاسلام انقذ الموقف [٤]. وبمجرد ان اعتلى أحمد تكودار عرش المغول في ايران امر بفك قيود علاء الدين الجويني واطلاق سراحه [٥] ، والاسراع بمجيئه الى البلاط لكي يشارك في حفل جلوس أحمد تكودار على العرش الايلخاني.

بعد ذلك شرع أحمد تكودار يباشر سلطاته ، فقرر ان يعهد بحكومة خراسان ومازندران والعراق وآران الى شمس الدين ليحكمها بمفرده [٦].

وكلفه ايضا بأن يشترك مع سلاطين السلاجقة في حكم بلاد الروم ، وولى ابنه هارون على ديار بكر والموصل واربل ، واما حكومة العراق فقد أقر عليها علاء الدين كما كان الحال سابقاً ، وخلع عليه الخلع الكثيرة ، وبذلك ازدهر شأن اسرة الجوينيين مرة اخرى ، ولكن الى فترة محدودة [٧] ، فقد اشتعلت نيران الحسد والحقد مرة اخرى في نفس مجد الملك ، وقدم عريضة الى ارغون خان يقول فيها: ((انني من خاصتك ، وأن صاحب الديوان هو من اعطى اباك السم [٨] ، ولأنه يعلم انني مطلع على هذا الامر وملم به ، فإنه يعمل على القضاء عليّ ، فيجب ان يكون الامير على علم اذا مسني الضر))[٩].

وقد اطلع سعد الدين – ابن شقيق مجد الملك- على هذه العريضة ونظراً لأنه أوذي من عمه حيث عزله من منصبه بسبب ظهور خيانته الأمر الذي أضرّه وأفلسه مما دعاه إلى

---

(١) الحوادث الجامعة، ص ٤١٥ – ص ٤١٦ ؛ الشبيبي، مؤرخ العراق، ص ١٤٨ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ج١/ ص ٢٩٩- ص ٣٠٠، الدوشخ: الة يستخدمها المغول للتعذيب.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٥١/ ص ٨١ ؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج٢/ ص ٤٥٣ .

(٣) زامباور، معجم الأنساب، ص ٣٦٢ .

(٤) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ١٠٥ ؛ خصباك، الإدارة الايلخانية، ص ٨٣ .

(٥) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٤٧ .

(٦) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ١٢٤ .

(٧)المرجع والصفحة نفسها .

(٨) خواندمير، دستور ، ص ٣٤٨ .

(٩) الهمذاني، جامع ، مج٢/ ج٢/ ص ٩٤ .

الالتحاق بخدمة الوزير شمس الدين الذي وعده بوظيفة ، وقام بأخذ صورة العريضة وعرضها على أحمد توكودار [1] ، ولاشك ان هذا الاتصال المشبوه بالأمير أرغون ، العدو اللدود للايلخان أحمد تكودار يفتح الباب على مصراعيه للطعن في مجد الملك نفسه واتهامه بالتواطؤ مع أرغون ضد أحمد تكودار فكأنه بتصرفه هذا كالباحث عن حتفه ، وهذا ما حدث بالفعل ، فقد اصدر أحمد تكودار أمره بأن يقوم سونجاق نويان القائد الأعلى لجيوشه ، وأحد كبار الأمراء المغول ، وكان يدعى آروق بالتحقيق مع مجد الملك فيما نسب إليه ، فأجبر أولاً على رد كل الأموال التي كان قد استولى عليها من أسرة الجوينيين ، ولم يردها إلى خزانة الدولة وسلمت مع كميات كبيرة من الأقمشة والأمتعة لعلاء الدين [2].

وفي اثناء التحقيق وجد المحققون بين امتعة مجد الملك قطعة من جلد الاسد عليها خط غير مقروء ، وقد كتب عليها شيء غير مفهوم ، ولأن المغول يكرهون السحر أشد الكراهية فقد ارتاعوا من تلك الكتابة ، وقدموه للمحاكمة ، ودار التحقيق حول تلك المسألة ، واستدعي الكهنة والسحرة فقالوا: ((تنقع هذه التعويذة في الماء ، ويشرب مجد الملك عصارتها لكي يلحق به شر هذا السحر)).

ثم ألزموا مجد الملك أن يقدم على هذا العمل ، ولكنه رفض لأن تلك التعويذة كان قد أعدّها أحد المناوئين له ، ووضعها في أمتعته ، وكان يعلم تمام العلم أنها لا تخلو من مكر ومكيدة [3].

بعد ذلك امر أحمد تكودار بتسليم مجد الملك إلى أصحاب علاء الدين [4] فقتل في جمادى الأولى سنة (٦٨١هـ-١٢٨٣م) وأرسل رأسه وأطرافه إلى خمسة أقاليم من أقاليم الدولة للتشهير به ولعدم وفائه وخيانته [5] ، ويذكر خواندمير ان شخصاً اشترى لسان مجد الملك بمائة دينار من حاكم تبريز وقد نظم أحد الادباء حول هذا الموضوع فقال :

لقد صرت لبضعة ايام تعبث برئاسة الديوان

---

(١) خواندمير، دستور ، ص ٣٤٨ ؛ جمال الدين، علاء الدين، ص ٥٧ .

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ٩٤، ص ٩٥ .

(٣) الهمذاني، المصدر والصفحة نفسها .

(٤) خصباك، الادارة الايلخانية، ص ٨٤ .

(٥) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ١٠٩ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٦٨ .

واصبح هدفك هو البحث عن الملك والمال والسلطان

والان أخذ كل اقليم من الاقاليم عضواً من اعضائك [1].

وانتهى بذلك مجد الملك ، كما انتهت معه المؤامرة في ليلة الاربعاء الثامن من جمادى الاولى سنة (٦٨١هـ/١٢٨٣م)[2] ، كما اقدم المغول على الفتك بجميع افراد اسرته واعوانه ومؤيديه [3] ، اما طعناً بالخناجر ، واما رجماً بالحجارة ثم احرقت اجسادهم [4] ، فكان مقتل مجد الملك درساً لغيره وسيفاً مسلطاً على كل من يعمل مع المغول ويخونهم ، اما علاء الدين والذي ناصبه مجد الملك العداء ، فإنه استمر في منصبه وبرئ من التهم التي تقوّل بها مجد الملك ونال احترام أحمد تكودار [5] ، ويروي ابن الفوطي ان علاء الدين ارسل جماعة من اصحابه ومعهم راس مجد الملك وكتب معهم كتاب باللغة العربية يعبر فيه عن فرحته ونصره وشكره وامتنانه لله الذي خلصه من العدو الشرس ، الذي لاقى فعله السيء ، جاء فيه: ((من صاحب الديوان ، اضعف عباد الله تعالى: اما بعد الحمد لله منقذ العباد من الذين طغوا في البلاد ، فاكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب ، إن ربك لبالمرصاد ...))[6].

ولم تطل حياة علاء الدين بعد ذلك اذ توفي بعد ستة اشهر من موت خصمه وذلك في الرابع من ذي الحجة عام (٦٨٢هـ/١٢٨٤م) ، فأمر أحمد تكودار إكراماً له وتعظيماً لقدره واعترافاً بخدماته للدولة المغولية بتنصيب ابن أخيه هارون بن شمس الدين مكانه [7].

٣- الصراع على السلطة بين أحمد وأرغون ودور الجوينيين في هذا الصراع:

بعد وفاة اباقاخان أواخر سنة (٦٨٠هـ/١٢٨٢م) [8]. انقسمت الأسرة الحاكمة إلى فئتين على من يخلف اباقا على سدة الخانية ، الفئة الأولى ترغب في تنصيب أرغون بن اباقاخان

---

(١) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٤٩- ص ٣٥٠ .

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ٩٦ .

(٣) العزاوي، تاريخ العراق، ج١ / ص ٣٠٠ .

(٤) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ١٠٩ .

(٥) فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٦٨ .

(٦) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٢٠ ، ص ٤٢١ .

(٧) فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٦٨ .

(٨) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤١٦ ؛ المنصور الدوادار، التحفة المملوكية، ص ١٠٧ .

بصفته الوريث الشرعي والأحق بمنصب الايلخانية ، فضلاً عن ذلك كانت تلك رغبة اباقاخان قبل وفاته [١].

أمّا الفئة الثانية يمثلها كبار الأمراء عن الأسرة الحاكمة التي ترى ضرورة التمسك بأحكام الياسا الجنكيزية والتي تعطي اكبر أفراد الأسرة الحق في تولي العرش ، وهذا ما ينطبق على احمد تكودار اكبر أبناء هولاكو سناً من الأحياء [٢].

وأمام هذا التعارض اجتمع الأمراء والنبلاء وعظماء المغول على اثر وفاة اباقاخان ، ورأوا أنّ من الضرورة اختيار ايلخان جديد ، وذلك منعاً للخلاف وحتى لا يحصل الخلل في شؤون الدولة ، وأخيراً تم اتخاذ القرار واجمعوا على انتخاب أحمد تكودار [٣] الأخ الأكبر لأباقاخان ، ونصبوه ايلخاناً وذلك في القوريلتاي الذي عقد في ((الاتاغ))[٤] في٢٦ محرم سنة (٦٨١هـ/١٢٨٣م) [٥].

وفي يوم الأحد ١٣ربيع الأول من سنة (٦٨١هـ/١٢٨٣م) أعلن الأمراء بغياب أرغون تنصيب أحمد تكودار ايلخاناً خلفاً لأخيه اباقاخان المتوفى وقطع الأمراء العهود وكتبوا المواثيق بذلك [٦].

وكان أول إجراء اتخذه أحمد تكودار بأن عهد بحكومة خراسان التي كانت تحكم من قبل أرغون في عهد اباقاخان إلى شمس الدين وأضاف إليه مازندران والعراق وآران وأذربيجان ليحكمها بمفرده ، فولى شمس الدين ابنه هارون على دياربكر والموصل واربل ، وأمّا حكومة

---

(١) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤١٦ ؛ الشبيبي، مؤرخ العراق، ج٢/ ص ١٤٨ .

(٢) المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٢١٨ .

(٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٥ / ص ٥٤٦ ؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، مصر، ١٩٥٨م، ج٢/ ص ٢٥٤ ؛ غياث الدين، التاريخ الغياثي، ص ٤٥ ؛ البيرابونا، تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية من العهد المغولي إلى مطلع القرن التاسع عشر، دار المشرق، بيروت، ج٣ ، ص ١٤ .

(٤) الاتاغ: مدينة تقع شمال أذربيجان وجنوب القفقاز وشرق أرمينيا حالياً، الصياد، الشرق الإسلامي، ص ١٢٢ .

(٥) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٢٧١ .

(٦) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٢٦٩ .

العراق فأعطاها لأخيه علاء الدين ، وقد جاء تكريم شمس الدين بهذه المناصب نظراً لـــدوره في إيصال أحمد تكودار إلى منصب الايلخانية [١].

لقد كان أرغون يحقد على الجوينيين لأنه كان يظن أنهم دسوا الســم لوالــده [٢] ، فــأراد الانتقام منهم وأراد من أحمد تكودار تسليمهم إلاّ أن أحمد تكودار رفض تسليمهم إليه [٣] ، كما أنه استمر بملاحقتهم وطالبهم بأموال الضمان حتى انه عندما قدم إلى بغداد ولم يجــد عــلاء الدين ، سأل عن أحد نوابه ، فلما اخبروه بأنه توفي أمر بإخراجه من القبر وألقى جثتــه فــي الطريق ، ثم قبض على بقية نواب علاء الدين ، وشرع في مطالبتهم ومؤاخذتهم ، فلما بلــغ ذلك الخبر الى علاء الدين تأثر تأثراً شديداً واعتراه صداع شديد جداً أدى إلى وفاته [٤] فــي مدينة آران في ٤ من ذي الحجة سنة (٦٨١هــ/١٢٨٣م) [٥] ، وحمل الى تبريز ودفن فيها [٦] [٦] ، فأرسل احمد تكودار ابن أخيه هارون حاكماً على بغداد ، فتأثر لذلك شمس الدين وازداد إصراراً على الوقوف إلى جانب احمد تكودار ضد أرغون [٧].

كما أنّ أرغون قام بأعمال ظلم وتعسف على سكان خراسان التي اســتولى عليهــا وقــام بالاعتداء بالقتل على وجيه الدين زنكي بن عز الدين طاهر الذي كان يشرف علــى الشــؤون المالية والإدارية في منطقة خراسان ، واستولى على الأموال العامة [٨].

وزاد حقد أرغون على عمه أحمد تكودار بسبب اعتناقه الدين الإسلامي ، ونشر هذا الدين بين طوائف المغول [١] ، وتحويل معابد الأصنام إلى مساجد ، وكان أحمــد تكــودار يحتــرم

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ٧٣ .

(٢) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج١/ ص ٣٦ ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر تاريخ الــدول الســرياني، ص ٢٩٨ ؛ الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ١١٩ .

(٣) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٥١ .

(٤) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج١/ ص ٣٦ ؛ الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢/ ج٢/ ص ٩٨- ص ٩٩.

(٥) ابن الوردي، زين الدين عمر، تاريخ ابن الوردي، تحقيــق: أحمــد رفعــت البــدراوي، ط١ (بيــروت، ١٩٧٠م)، ج٢/ ص ٢٢٢ ؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج٢١/ ص ٣١٨ ؛ المقريزي، الســلوك، ج٢/ ص ١٦٤ ؛ العيني، عقد الجمان، ص ٢٩ .

(٦) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ١١٩ ؛ الشبيبي، مؤرخ العراق، ج٢/ ص ٣١٨ .

(٧) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ٩٩ .

(٨) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٠٠ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ج١/ ص ٣١٩ .

القضاة ، ويجل علماء المسلمين ، فكان هذا السلوك من جانب أحمد تكودار سبباً في نقمة الأمراء المغول عليه فاتخذ أرغون من اعتناقه للإسلام ديناً له ذريعة للصراع معه ، وأثار بذلك عشائر المغول وأزعجهم [٢] ، فشكوه إلى الخان الأعظم قوبيلاي خان الذي كان يعده المغول منذ عهد أبيهم هولاكو رئيسهم وكبيرهم [٣] ، فانحازوا إلى جانب أرغون في الصراع[٤] ، بمؤامرة أدت إلى مقتل أحمد تكودار واعتلاء أرغون عرش الايلخانية وذلك سنة (٦٨٣هـ/١٢٨٥م) ، وسيتم التطرق اليه في الفصل الثاني.

٤- نكبة الجوينيين:

بعد أن اعتلى ارغون العرش الايلخاني سنة (٦٨٣هـ/١٢٨٥م) وصلت الأخبار إلى شمس الدين بان أحمد تكودار قد قتل وان أرغون حل محله فغادر مدينة أصفهان إلى قم ، ونزل بالمشهد الشريف المعروف بمشهد فاطمة بظاهر المدينة ، ثم فكر في الرحيل الى شيراز وهرمز على ان يتخذ من هناك طريقه الى الهند [٥] ، ليقضي بقية حياته لأنه كان متأكداً بأنه هالك لا محالة وان الايلخان الجديد سوف يقتص منه لسابق موقفه في عهد أحمد تكودار ، لكنه تراجع عن هذه الفكرة خشية ان يثير أرغون جام غضبه على أفراد الأسرة ، وينزل بهم عقابه الرهيب ، ويستأصل شأفتهم. فقال شمس الدين في هذا الشأن: ((ليس من المصلحة أن ارحل واترك أولادي أسرى في أيدي المغول ، وإنما الصواب هو أن نتوجه إلى الحضرة ، فإن استطعت استرضاء خاطر أرغون خان بواسطة صديقي القديم بوقا فهو المراد ، وإلاّ فسأرضى بقضاء الله وأسلم إليه الأمر))[٦]. وقد ظل أياماً يفكر في هذا الأمر.

---

(١) المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٢٣٧ ؛ ابو الفداء، المختصر، ج٢/ ص ٣٥٠ ، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٥/ ص ٥٤٦ ؛ ارنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧١م، ص ٢٦٣ .

(٢) فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٧٠ .

(٣) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ١٣٧ .

(٤) الجاف، الوجيز، ج٢ / ص ٢٩٨ .

(٥) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٥٤ .

(٦) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ١٢٩ .

واتفق أن وصل فجأة الملك إمام الدين القزويني موفداً من قبل أرغون لتفقد أحوال شمس الدين ، كما قدم أيضاً الاتابك (يوسف شاه)[1] الذي كان صهراً له ، فقرر المسير الى الايلخان ارغون على امل ان تكون خدمته الطويلة للمغول شفيعاً له عند هذا الايلخان ، وفي ساوة قابله ايضا أحد امراء ارغون ويدعى ((قوماري)) فقام بطمئنة شمس الدين وتأمينه على حياته ، وابلغه عفو ارغون حيث قال له أنّ أرغون يقول: ((حيث أنّ الله تعالى شملني برعايته ، ومنحني تاج أبي الطيب الذكر وعرشه ، فاني قد عفوت عن ذنوب كل من أذنب ، فإذا بادر صاحب الديوان بالحضور ، شملناه بعطفنا))[2].

سر شمس الدين بذلك وذهب إلى تبريز في رجب (٦٨٣هـ/ ١٢٨٥م) ونزل ضيفاً عند صديقه أمير الأمراء بوقا ، فاصطحبه في اليوم التالي إلى بلاط الايلخان ليؤدي له فروض الطاعة والولاء ، غير ان ارغون لم يأبه به كثيراً ، كما أنه لم يبد غضباً عليه ، ولم يزاول شمس الدين بعد ذلك أي عمل سوى النيابة عن بوقا ، أملاً أن يقضي بقية حياته في أمان بعيداً عن كيد الكائدين ، لكن سرعان ما نشب خلاف بينه وبين صديقه القديم بوقا نتيجة الدس والوشاية من قبل الأتباع الذين صاروا يحذرون بوقا ، ويخوفونه من شمس الدين نظراً لاتساع نفوذه وما يتمتع به من ذكاء وفطنة [3] ، كل تلك المخاوف جعلت بوقا يتخلى عن صداقته لشمس الدين ، فاتهمه عند أرغون بأنه جرع والده اباقا السم ، وألصقت به تهم كثيرة، فأمر الايلخان بمحاكمته ، ولم ينفعه دفاعه عن نفسه [4].

ثم طالبوه بدفع الفي تومان ، لكنه عجز عن تسديد هذا المبلغ ، فأمهلوه مدة لدفعه فبدا بالاقتراض من التجار [5] ومن أصحابه وأصدقائه قريباً من أربعين توماناً من الذهب وقال: ((ليس عندي نقود قط ، لأني ما كنت ادفن الذهب كالجهال ، وكل ما كنت احصل عليه كنت ادفعه للخزانة)) ، ثم أرسل إلى بوقا مرة أخرى يقول: ((أيها الأمير لا تعمل على إيذائي ، ولا

---

(١) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٩٨ .

(٢) الهمذاني، جامع ، مج٢/ ج٢/ ص ١٣٠ .

(٣) الصياد، المشرق الإسلامي، ص ١٥٤ .

(٤) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٩٨ .

(٥) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٣٨ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ٣٢٤/١٤ .

تعلم الملك قتل الوزراء ، فإنهم اليوم يقتلونني ، وسرعان ما يقتلونك أيضاً. فتأكد من ذلك))[1].

واستمر شمس الدين في إنكار وجود أموال أخرى معه ، فتأكد انه سيقتل لا محالة وكانوا يضربونه ويهينونه ، وقبل أن يقوموا بقتله سأل المهلة ساعة يوصي بها فأمهل فكتب بخط يده وصية بالفارسية قال فيها: ((عندما تفاعلت بالقرآن: جاءت هذه الآية:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [2] فالباري تعالى بعد أن رفع قدر عبده في هذه الدنيا الفانية ، ولم يحرمه غاية من الغايات ، أراد أن يبشره بالحياة الباقية ، في هذه الدنيا الفانية ... ألا فليعلموا أنني قد قطعت كل صلة بهذه الدنيا ، واني متخذ طريقي إلى الآخرة ، فليمدوني بدعاء الخير ... وليقرأوا الأبناء – حفظهم الله– السلام. وقد أودعتهم الله تعالى ، والله لا يضيع ودائعه ...))[3].

ثم ألقى بهذه الورقة أمام الحراس ، فلما قرأوها ، لم يجدوا فيها ذكراً للأموال ، فضربه ((توقلقوق قراونا)) من قبيلة الجلاير ضرباً مبرحاً بالهراوة ، ولكن لم يجد ذلك نفعاً ، وأخيراً صدر الأمر بقتله ، فقتلوه على باب مدينة ((أهر)) بأذربيجان بعد صلاة العصر يوم الاثنين ٤ من شعبان سنة (٦٨٣هـ/١٢٨٤م) رحمه الله [4] ، ودفن إلى جانب أخيه علاء الدين في مقبرة (جرنداب) معروفة هناك [5].

وهكذا كانت نهاية هذا الرجل الكبير الذي وزر مدة تسع وعشرين سنة لوالد أرغون وعمه وجده ، وكانت الدولة كلها بيده ((وكانت هذه آخرة مثل ذلك الرجل العظيم الهيوب الحكيم التي كانت الدولة بأسرها معلقة بخنصره ، وكان عنده العقل والخبرة ، وكان كاملاً بجميع

---

(١) الهمذاني، جامع ، مج٢/ج٢/ ص ١٣١ .

(٢) سورة فصلت ، الاية ٣٠.

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ١٣٢–١٣٣ .

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ١٣٣ ؛ الجويني، تاريخ جهانكشاي، ٣٦/١ ؛ اليونيني، ذيل مرآة، ٢٢٧/٣ ؛ الكتبي، فوات الوفيات، ٤٥٣/٢ .

(٥) العزاوي، تاريخ العراق، ٣٢٤/١ .

السياسات والتدابير والتواضع الحسن. ويقولون عنه أنه ما سبقه أحد بالسلام بل هو كان يبتدئ من تقدم إليه))[١].

كان مقتل شمس الدين محمد الجويني إيذاناً بملاحقة أفراد أسرته والتخلص منهم ، يقـول ابن الفوطي في حوادث سنة ثلاثة وثمانين وستمائة : ((وفيها يسأل السلطان أرغـون عمـن تخلف من أولاد شمس الدين محمد بن الجويني صاحب الديوان ، فاخبر بهم فأمر بقتلهم ، أمّا مسعود فإنه كان قد أعرس منذ ليال ...))[٢] ، وأمّا فرج الله فإنه كان صبياً في المكتب فلمـا اخرج ليقتل توهم أنهم يريدون تأديبه فصاح ((والله ما بقيت ادع الكتاب ، فبكى الناس رحمـة له وقتل ، ثم قتل أخوه نوروز بأرض الروم ، وقتل أخوهما مسعود بتبريز [٣] ، وكذلك قتـل ابنه الأخر ويدعى شرف الدين هارون ، كان يعد أحد فضلاء عصره قتل بوشاية فخر الـدين المستوفي القزويني وكان قتله في شهر جمادي الآخرة سنة (٦٨٥هـ-١٢٨٧م) بأمر أرغـون ، ولم ينج من أبناء الصاحب إلاّ فرد واحد هو زكريا الذي كان في الابخاز [٤].

لاشك أنّ قتل هذه الصفوة المختارة من الجوينيين كان نذيراً بانحطاط السياسة الداخلية في دولة المغول في إيران. وقد لوحظ هذا الانحطاط بصفة خاصة في كـل المسـائل المتعلقـة بالشؤون المالية ، وتصادف أنّ اغلب من كانوا على رأس الإدارة الماليـة تنقصـهم الكفـاءة والخبرة ، ويعوزهم الإخلاص والنزاهة ، فلا غـرو أن كـانوا دائمـاً يغـامرون بسـمعتهم ويضحون بأنفسهم ويعدونها كفارة اخطائهم ، ولقد حدث هذا بالفعل بعد أن أودى المغول بحياة الأكفاء المخلصين [٥].

---

(١) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٩٩ .

(٢) الحوادث الجامعة، ص ٤٦٢ .

(٣) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج ٥١ ، ص ٣٨٢ .

(٤) الصياد، المشرق الاسلامي، ص ١٥٨ .

(٥) الصياد، المشرق الإسلامي، ص ١٦٠ ؛ طقوش، تاريخ المغول العظام الايلخانيين، دار النفائس للطباعـة والنشر والتوزيع، ط١ ، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م، ص ٢٣٥.

الفصل الثاني

بوقا وسعد الدولة اليهودي ودورهما في الصراع على السلطة على عهد الايلخان أرغون (٦٨٣-٦٩٠هـ)/(١٢٨٤-١٢٩١م)

أولاً: بوقا والصراع على السلطة

١- أرغون يكافئ بوقا بتقليده منصب الوزارة.

أ- دور بوقا في إيصال أرغون إلى منصب الايلخانية

ب- تقلد بوقا منصب الوزارة.

٢- بوقا والانقلاب على أرغون ومقتله.

ثانياً: سعد الدولة اليهودي والصراع على السلطة.

١- تكليف أرغون لسعد الدولة اليهودي بأعباء الوزارة.

٢- سعد الدولة يعزز مكانه في السلطة بالانقلاب على المسلمين وتقريب اليهود والنصارى.

٣- نهاية سعد الدولة ونكبة اليهود.

بوقا وسعد الدولة اليهودي ودورهما في الصراع على السلطة في عهد الايلخان أرغون

أولاً: بوقا والصراع على السلطة

١- أرغون يكافئ بوقا بتقليده منصب الوزارة.

أ- دور بوقا في إيصال أرغون إلى منصب الايلخانية (٦٨٣هـ/١٢٨٥م):

يعد بوقا من أشهر أمراء الجيش المغولي على عهد الايلخانيين وقد اضطلع بدور كبير في الصراع الذي دار بين أحمد تكودار والأمير أرغون ، حيث تمكن من خداع أحمد تكودار وإيصال أرغون إلى منصب الايلخانية ، وتفاصيل ذلك أنه في آخر معركة وقعت بين الايلخان أحمد تكودار والأمير أرغون عند قرية آق خواجة القريبة من مدينة قزوين في ٦ صفر سنة (٦٨٣هـ/١٢٨٥م) انتهت بوقوع أرغون أسيراً بيد أحمد تكودار الذي أودعه السجن ولم يقم بقتله رغم نصيحة عليناق أحد قادة جيوشه بأن يقتل أرغون إذ قال له: ((حيث أنّ العدو قد وقع في يدك فالأولى أن تجهز عليه في هذه الليلة)) فقال احمد تكودار: ((انه لا يملك جنداً ولا مالاً فماذا عساه أن يصنع)) وكان ذلك خطأ فادحاً من جانب أحمد تكودار لأنه دفع حياته ثمناً لهذا الخطأ [١]. ذلك لأن عدداً من أمرائه كانوا يميلون إلى جانب أرغون ويكيدون له منهم الأمير بوقا الذي استغل حماقة أحمد تكودار عندما غلبه الحنين إلى زوجته توداي خاتون التي كان قد تركها في مقره الأصلي ، فقرر الذهاب إليها تاركاً لعليناق مهمة حراسة أرغون [٢] ، ثم تحرك مع خاصته تاركاً أسرته وعشيرته وطلب من الأمير بوقا الذهاب معه ، إلاّ أنّ الأمير بوقا بيّت المكر والخديعة لأحمد تكودار واستأذنه في التخلف عن مرافقته بحجة أنه يريد المشاركة في حفل زواج أحد الأمراء ممن تربطه به صلة وثيقة ، فسمح له أحمد تكودار بذلك [٣].

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج٢/ص ١٢٢ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ١٤٤ .

(٢) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٢٧٢ ؛ الجاف، الوجيز، ج٢/ص ٢٩٩ ؛ الشبيبي، مؤرخ العراق، ج٢ / ص ١٥٥ ؛ طقوش، تاريخ المغول العظام، ص ٢٣٧ .

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج٢/ص ١١٢ ، ص ١١٣ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٥٢.

في تلك الأثناء كان أرغون في سجنه كئيباً يتوقع القضاء عليه في أي لحظة ، وكانت زوجته بولفان خاتون تطيب خاطره وتشجعه على التحمل والصبر وأنّ الأيام مليئة بالمفاجئات، وكان بوقا واعترافاً بما كان لأباقاخان والد ارغون من فضل عليه يخطط للإيقاع بالسلطان أحمد وإيصال أرغون للايلخانية ، وبدأ بوضع خطة وكشفها لكبار الأمراء وتتلخص في القضاء على السلطان أحمد وإطلاق سراح أرغون [1] ، وذكر للأمراء أنّ السلطان أحمد بتأثير صاحب الديوان – يوطد دعائم الإسلام ، ويقوض أسس الدولة المغولية التي أسسها جنكيز خان بل يعمل على القضاء عليها [2] ، فوافقه الأمراء على هذه الخطة ، وتركوا له التنفيذ.

استغل بوقا غياب السلطان أحمد وانشغال عليناق بالسكر ليلاً ونهاراً واتفق مع أخيه آروق وعدد من الحراس على تنظيم لقاء له مع أرغون ، على ان يقوم آروق بإقامة حفلة كبيرة للهو والشراب ويدعوا لها عليناق [3] ، فلما دعاه أجاب عليناق: ((أنّ هذه الليلة هي نوبتي في المحافظة على أرغون ، فلا استطيع أن انشغل بالشراب)) ، ولكن جوشكاب الذي كان من ضمن المتآمرين وعده بالمحافظة على أرغون ، وهذا ما سهل لبوقا مهمة الوصول إلى أرغون الذي فوجئ بالأمر وظن أنّ في الأمر مكيدة له إلاّ أنّ الفرسان اخبروه ((أنّ بوقا قياماً بالوفاء لك ، قد حمل الأمراء الأنجال والجنود على نصرتك ، وقد حضر لكي ينقذك))[4]، عندها استشعر أرغون بصدق نوايا بوقا في إنقاذه ، فأخذه بوقا إلى داره وهناك استجمع أنصاره من المتآمرين فتزود بالسلاح ثم أسرعا إلى مكان الحفل حيث كان عليناق قد أسرف في الشراب إلى حد الثمالة ، فنام في الحفل ، فهجم عليه أحد أتباع بوقا فقتله [5] ،

---

(1) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢ / ج١١٣/٢ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ١٤٤ ؛ النجار، صراع الأسرة الملكية، ص ١٨٣ .

(2) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ٣/٨ .

(3) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٣٤٨ ؛ الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج٢، ص ١١٤–ص ١١٦ ؛ المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٢٣٨ ؛ أبي الفداء، المختصر، ج٢/ ص ٣٥٠ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٢/ص ٣٣٠.

(4) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ١١٦/١٤٤ ؛ ماركوبولو، رحلة ماركوبولو، ص ٣٥٨.

(5) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢ ، ج٢/ ص ١١٦/١١٤ ؛ ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٢٧٢ ؛ أبو الفداء، المختصر، ٣٥٠/٢ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٣٣٠/٢ .

وفصل رأسه عن جسده ، وألقى به في الخارج وفي الليلة ذاتها أجهزوا على كل الأمراء وقادة الجيش ممن كان في الحفل [1] ، حدث كــل ذلــك ليلــة الثلاثــاء ١٨ربيــع الثــاني ســنة (٦٨٣هــ/١٢٨٥م)[2].

في تلك الأثناء وصلت الأخبار إلى السلطان أحمد وهو في طريقه إلــى مقــر إقامــة زوجته توداي خاتون حيث لقيه جندي من حرس عليناق ليقول له: ((أنهم قتلوا جميع أتباعــك واتفقوا على قتلك ، ولقد افلت الزمام بحيث لا يمكن تدارك الأمر ، فإذا كان لك القدرة وأمامك فرصة فلذ بالفرار وانج بجلدك))[3]. ثم انفض عنه الأمراء لمــا رأوا أنّ القتــال لــيس فــي صالحهم وتركوا السلطان أحمد يواجه مصيره المحتوم حيث التجأ إلى معسكر والدته قوتــوي خاتون وذلك في يوم الاثنين ثاني جمادى الأولى سنة (٦٨٣هــ/١٢٨٥م) لتنقض عليه فرقــة من جند القراونة التابعين لأرغون المعروفين بوحشيتهم وشراستهم ، فنهبوا المعسكر وجردوا قوتوي خاتون من ملابسها مع عدد آخر من الخواتين ثم سلموا السلطان أحمد لأرغون وبدوره سلمه لأبناء عمه قونقرتاي الذي بدورهم قاموا بقتله [4] ، انتقاماً لمقتل أبيهم من قبل على يــد السلطان أحمد.

بعد ذلك عقد الأمراء مجلس قوريلتاي في نواحي همدان لاختيار خليفة لأحمد تكودار وقد كان يرأس القوريلتاي الأميران هولاجو وجوشكاب وفي هذا المؤتمر قال بوقا: ((أنّ الملك ينتقل بالوراثة إلى الابن من أباقا إلى ابنه الأعقل والأكمل أرغون)) ثم تحدث قائلاً: ((مــا دام هذا السيف في يدي ، فلن يرتقي أحد العرش سوى أرغون))[5].

عندئذ احتدمت الخلافات بين الأمراء وكادت أن تعصف بالجميع بسبب وجود عدد من الأمراء يعارض تنصيب أرغون إلاّ أنهم عادوا في النهاية إلى رشدهم بانتخاب أرغون ايلخاناً

---

(1) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٢٧٢ ؛ المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٢٣٨ .

(2) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢ / ص ١١٦ .

(3) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢ / ج٢/ ١١٦ .

(4) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٠١ ؛ الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ١٣٥– ص ١٣٦.

(5) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ١١٧– ١١٨ ؛ ميرخواند ، روضة الصفا، ج٥ / ص ٣٤٣ .

للدولة الايلخانية [١] حيث جرت مراسيم التولية في موضع يقال له ((أب ثور)) مـن نـواحي يوزاغاج ثم قام كبير أبناء الأسرة هولاجو وأخذ بيد أرغون اليمنى ، واخذ الأمير المقرب إليه انبارجي بيده اليسرى ، وأجلساه على العرش ، وطوق الجميـع أعنـاقهم بالأحزمـة حسـب العادات المتبعة ثم ركعوا له ، وتناولوا الكؤوس ، وعمدوا إلى اللهو والشراب [٢].

ب- تقلد بوقا لمنصب الوزارة:

كافأ أرغون خان (٦٨٣هـ/١٢٨٤م) الأمير بوقا على جهوده في إيصاله إلى منصب الايلخانية بأن جعله وزير [٣] وفوضه النيابة والإمارة في كل صغيرة وكبيـرة مـن مصـالح البلاد ، وأمر بأن ينثر على رأسه مقدار كبير من الذهب ، بحيث أوشك أن يختفي تحته مكافأة له ، والحق أنّ بوقا كان يستحق هذا التكريم من قبل الايلخان الجديد ، فهو كما يقـول رشـيد الدين: ((كان من بين المغول رجلاً كفوءاً ذكياً للغاية ، كما كان ذا رأي وتدبير))[٤].

بعد ذلك اصدر أرغون خان سنة (٦٨٣هـ/١٢٨٤م) أمراً يقضي بأنه لا يحـق لأي شخص أن يقاضي بوقا مهما ارتكب من جرائم إلاّ بموافقة الايلخان ، كما منحه الخان الأكبـر قوبيلاي قان لقب جنكسانك (الأمير الكبير) تقديراً له على جهوده في خلـع السـلطان أحمـد ومحاربته عقيدة الإسلام التي اعتنقها هذا السلطان والتي أصبحت تهدد الكيان المغولي كحكـم وثني بالزوال [٥].

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢ / ج٢/ ص ١٢٠-١٢٦ ؛ اليونيني ، ذيل مرآة، ج٣، ص ٢٢٦ ؛ أبـو الفداء، المختصر، ج٢/ ص ٣٥٠ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥١/ ص ٨١ ؛ الكتبي، فـوات الوفيـات، ج٢، ص ٤٥٣ ؛ ابن تغردي بردي، المنهل الصافي، ج٢ / ص ٢٥٦ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٤٣ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ج١ / ص ٣٢٠.

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢ / ج٢ / ص ١٢٠- ص ١٢٦ .

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ ، مج٢/ ج٢/ ١٢٨ ؛ المنصوري الداوداري، زبدة الفكرة، ص ٢٣٨ ؛ مرتضى أفندي، كلشن خلفا، ص ١٥٥ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٤٢ ؛ القزاز، الحياة السياسة في العراق، ص ١٩٩ ؛ عمر، تاريخ إيران، ص ٢٠٧ .

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج٢/١٢٨ ؛ القزاز، الحيـاة السياسـية، ص ١٩٩ ؛ الصـياد، الشـرق الإسلامي، ص ١٥٢-١٥٣ .

(٥) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ١٣٥ ؛ الأمين، المغول، ص ٢٥٨ .

اخذ بوقا يتصرف في شؤون الدولة كما يشاء من دون رقيب ولا حسيب ، وازداد نفوذه يوماً بعد يوم إلى حد أن أوامر الايلخان لم تكن تنفذ إذا لم تختم بختمه الأحمر [١] ، وانفرد في الحكم ولم يعد للايلخان من سلطة سوى الاسم ، وفي هذا السياق أشار رشيد الدين الهمذاني قائلاً : ((إنّ بوقا يمهد الملك لنفسه ، إذ أنه يفعل كل ما يشاء دون إذن من الملك ومشورة من الأمراء ، وينفق الأموال وفق هواه ، ولا يعد الناس أنّ أرغون هو الملك ، بل يعترف الجميع ببوقا وحده ، وقد وصل الأمر إلى حد أنّ أمير علي والي تبريز (العاصمة) كان لا يلتفت إلى أي فرمان أو بايزة [٢] مالم يحمل بصمة خاتم بوقا الأحمر وإلاّ عاد حامل الفرمان بخفي حنين))[٣] ، وقد أشار ابن العبري إلى أنّ بوقا: ((قد ارتفعت منزلته جداً حتى أنّ أبناء الملوك والملكات والعرائس والقادة كانوا يقفون على باب داره يطلبون أرزاقهم ومعاشاتهم ، وأصبح الملوك والأمراء في بلاد التتر يأتمرون بأمره ويحملون رايته الحمراء ... وكان يهابه جميع العسكر المغولي وسائر الأمراء والسلاطين والكتّاب))[٤].

كل تلك الصلاحيات جعلت من بوقا شخصاً شديد الغرور بالمال والجاه ، وبدا ينظر بعين الازدراء والاحتقار إلى خواص أرغون خان والمقربين إليه ، فكانوا متأثرين منه لهذا السبب ، وصاروا يحقدون عليه ويبلغون أرغون عن غروره وكبريائه وما حصل عليه من مال وفير بوقت قصير ، غير أنّ أرغون خان لم يكن يأبه بذلك كثيراً مراعاة لحق بوقا عليه[٥].

وكان آروق أحد إخوة بوقا الذي عهد إليه أرغون بولاية العراق مكافأة على جهوده في إيصاله للايلخانية [٦] وكان يعيش في بغداد لا على طريقة الأمراء بل على نحو ما يعيش الملوك، ولم يكن يحترم رسل أرغون خان ، ولم يكن يرسل أموال بغداد إلى الخزانة بل كان

---

(١) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٣٨٩ .

(٢) بايزة: لوحة من الذهب أو الفضة عليها علامة تهدى إلى من يثق بهم المغول من رجال الدولة ويتمتع حاملها بامتيازات خاصة، الصياد، الشرق الإسلامي، ص ؟ .

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج٢/ص ١٤٢ .

(٤) تاريخ الدول السرياني، ص ٣٨٩ .

(٥) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج٢/ص ١٤١.

(٦) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٣٧ .

يحتفظ بها لنفسه وكانت تبلغ خمسمائة تومان أي (خمسة ملايين دينار)، فضلاً عن تعديه على الرعية وكانت الشكاوي ضده تصل تباعاً إلى أرغون ومن تلك الشكاوي ما ورد عن دياربكر مفادها أنه يتدخل في شؤونها ويفرض سلطته عليها دون موافقة الايلخان [1].

استمر خصوم الأمير بوقا في الكيد له وعلى رأسهم طوغان قهستان الذي يعد من أذكى أمراء المغول في الكيد عند الايلخان نظراً لسابق عدائهم له ، وحدث أن قص طوغان قصة خيانة بوقا للسلطان أحمد على مسامع أرغون خان وأخذ يخيفه من تصاعد قوة ذلك الوزير ومن تزايد نفوذه وقوته ، وكان صدر الدين أحمد الزنجاني نائب طغاجار نويان في عهد ولايته على إقليم فارس يذم بوقا الذي كان يطالبه ببقية أموال الإقليم علناً وكان يقول أنّ نفوذه بلغ حد إنفاق أموال الدولة حسب هواه ودون اعتبار للأوامر الايلخانية [2].

وكان أذكى خصوم بوقا طبيباً يهودياً من أهالي أبهر بزنجان ويدعى سعد الدولة بن صفي الدولة[3] ، وقد انضم إلى الأطباء الذين يعملون في البلاط الايلخاني ، وكان يعيش في بغداد وكان كثير الاختلاط بالناس ويلم بعدة لغات [4] كما كان على دراية كاملة بأوضاع موظفي العراق ومسؤوليها الماليين [5] ، وذات يوم تحدث الأطباء اليهود الآخرون المقيمون في البلاط الايلخاني إلى أرغون بحديث يوحي في ظاهره الكيد والوشاية ولكنهم في الحقيقة كانوا يهدفون إلى إدخال سعد الدولة إلى بلاط أرغون ، فقالوا للايلخان أنّ سعد الدولة قد ركن إلى حياة الدعة والراحة في بغداد وأدار ظهره عن خدمة الدولة على الرغم مما يتلقاه من مرتب من الديوان ، فلو صدر الأمر الايلخاني ، فإن عليه أن يلازم الركب ويكون له نصيب

---

(١) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٣٨٩ ؛ الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج٢/ص ١٤٣.

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج٢/ ص ١٤١-١٤٢ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٤٨ ؛ طقوش، تاريخ المغول العظام، ص ٢٤٠.

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج٢/ ص ١٣٨-١٣٩ ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٥٠ ؛ أبو الفداء، المختصر،/ ٣٥١/٢ .

(٤) إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٤٨ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٧٤-١٧٥ .

(٥) ابن الفوطي، الحوادث، ص ٤٥٠-٤٥١ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ٣٣٩/١.

مما نلقاه من عناء السفر والعمل ووجدت هذه الوشاية أذناً صاغية من أرغون ، فاستدعى سعد الدولة وأدرجه في سلك الأطباء في البلاط الايلخاني [١].

وحدث أن أصيب أرغون بوعكة طفيفة شفي منها على يد سعد الدولة فحاز ثقة أرغون خان ، ولما أطمأن سعد الدولة إلى جانب أرغون خان ولمس حبه له ، اغتنم الفرصة واخبر أرغون عن إسراف مسؤولي الدولة في بغداد ، وقال له أن بوقا وأخاه آروق يحصلان الأموال الديوانية لحسابهما فلا يصل منها إلى الخزانة الايلخانية شيء [٢].

وهكذا تأكد أرغون مما كان يصل إلى مسامعه عن أفعال بوقا ولاسيما بعد ان أوفد سعد الدولة إلى بغداد لاسترجاع ما كان قد حصل عليه آروق وأخوه بوقا من المال العام ، وإيفاء متطلبات الديوان ، والقضاء على أوجه النقص والإهمال ومكافحة الإسراف ، تمكن سعد الدولة خلال مدة وجيزة من جمع الأموال الطائلة من بقايا السنوات السابقة وحصيلة العام الجاري وأسرع بها إلى أرغون خان [٣].

لقد كان لهذا العمل تأثير كبير على أرغون خان الذي قرب سعد الدولة وخلع عليه واسند إليه تحصيل الضرائب والإنفاق في بغداد بعد أن عزل آروق كما اصدر أمراً بأن تكون الولايات الخاصة التي كانت بعهدة بوقا إلى الأمير طغاجار ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل صدرت الأوامر بنقل سجلات الديوان المالي من داره وعزل نوابه وأتباعه من الأعمال الديوانية وفي مقدمتهم الأمير علي تماغجي حاكم تبريز ، كما طولب بمائة وخمسين توماناً من المال الذي كان قد استحصله من اقليم فارس لنفسه [٤].

٢- بوقا والانقلاب على أرغون ومقتله:

أضحى موقف بوقا حرجاً بعد هذه الإجراءات وشعر بانهيار وضعه ومكانته عند أرغون خان وليس هذا فحسب بل أنّ الكثير من الأمراء اخذوا يتجنبون مصاحبته خوفاً من ان

---

(١) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٥٩.

(٢) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٥٠-٤٥١ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٤٨ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٧٥-١٧٦ .

(٣) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٣٨٩-٣٩٠ ؛ الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢ ، ج٢، ص ١٤١ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٧٥ .

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ١٤١-١٤٣ .

يتهموا بمؤازرته ، وفي محاولة يائسة من بوقا لمنع خروج الأمر من يده عمل على استمالة طائفة من الأمراء وضمهم إلى جانبه ضد أرغون وكان من جملة هؤلاء قادة لعشرة آلاف جندي وأمراء ذخيرة وكلهم لا ينتمون بصلة قربى لأرغون خان ، وكان بوقا يدرك أنّ هذا الأمر ليس كافياً فوجد أن من المصلحة كسب أحد أمراء الأسرة الحاكمة لاتخاذه وسيلة للإطاحة بأرغون ، ولما كان جوشكاب هو من سلالة هذه الأسرة [1] فهو ابن جومقور بن هولاكو وكان له طموح بالايلخانية ، لذلك أرسل إليه رسولاً يقول له: ((إن أرغون خان قد انقلب عليّ بتأثير وشايات طغاجار وسلطان ايداجي وطغان وغيرهم من الحاسدين لي ونسي حقوقي عليه وقد ثبت لديك ولدى جميع الأمراء وجملة الرعايا أنه قد ارتقى بجهودي عرش أبيه والآن رفع جماعة آخرين من خصومي وجعلهم موضعاً لأسراره ، وأنت والحمد لله من أرومة هولاكو خان ، ولك إقبال الملك ولا يمكن تنفيذ هذا الأمر إلاّ بمعونتك ، فإذا تقبلت كلامي وقمت بهذه المهمة فسوف أضحي بحياتي في خدمتك واستخلص لك العرش والتاج ذلك لأن جمعاً كبيراً من الأمراء والجنود متفقون معي في هذا الأمر)). وعندما وصلت الرسالة إلى جوشكاب تعجب وقال: ((سبحان الله إنّ هذا الرجل قد زل عقله وصار مجنوناً فمن الذي يختار ملكاً آخر غير أرغون وماذا يريد أكثر مما بلغ ؟ لاشك انه يطمع هو الآخر في العرش ويريد أن يخدعني بغرور الملك والسلطان ، وقد لعب هذه المكيدة مع أحمد ولابد أنه يريد نكث العهد معي))[2] ثم قال للرسول عد وابلغ سلامي إلى بوقا وقل له: ((إنّ ما فكرت فيه بشأني حسن جداً– لكن قلبي لا يستطيع الاعتماد على وعدك فلو صح ما تقول فدون اسمك وأسماء الجماعة المتفقين معك في هذه القضية وأرسل هذه الوثيقة حتى اطمئن كل الاطمئنان)). بهذه الطريقة استطاع جوشكاب الإيقاع ببوقا عندما أرسل إليه الأخير قائمة بأسماء جميع الأمراء الذين اشتركوا في المؤامرة ضد أرغون خان فأسرع جوشكاب واطلع أرغون على ما يحاك ضده ، فلما رأى أرغون تلك الوثيقة تأججت نار غضبه وقال: ((لقد قدمت بوقا على سائر الأمراء ووضعت إمرته وعهدت إليه بالإشراف على شؤون الرعية

---

(1) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج٢/ص ١٤٢-١٤٣.

(2) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج٢/ص ١٤٣-١٤٤ .

والجيش إلى أن مكر بي وكاد لي))[١] ، وفي الحال أمر قواته بالتحرك للقبض على بوقا الذي فر هارباً إلى دار الأمير زنكي بن نبه الذي وشى بأمره فقبض عليه في الحال واحضروه عند أرغون فأنكر التهم الموجهة إليه فابرز جوشكاب الوثيقة المكتوبة وبتوقيع اسمه وأسماء الأمراء المتعاونين معه ، عندئذ ارتعدت فرائصه وأغمي عليه وعلى الفور أمر أرغون بالقضاء عليه ، وقد التمس جوشكاب من ارغون ان يقضي عليه بنفسه فأجابه أرغون فأطاح جوشكاب برأسه بضربة واحدة وسلخ جلده وعلق رأسه ليكون عبرة لمن يتآمر على الايلخان ، ثم شرع أرغون بعد ذلك التحقيق مع بقية الأمراء المقربين من أرغون [٢].

أما مصير أروق فقد أرسل أرغون خمسمائة فارس لاعتقاله وكان أروق آنذاك حاكم ولاية دياربكر فضلاً عن ولاية العراق فوجدوه في قلعة دياربكر يطلق عليها اسم كشاف فاحضروه هو وابن بوقا المسمى بفازان ، فأمر أرغون على الفور بقتلهما وذلك في التاسع والعشرين من محرم سنة (٦٨٨هـ/١٢٩٠م) ثم بعد ذلك أمر أرغون باستئصال شأفة جميع ذرية بوقا وإخوته ونفذ على الفور أمره وكان عددهم خمسة أمراء [٣].

فبعد ان بذل هذا الأمير جهداً كبيراً في سبيل توطيد حكم أرغون، وعمل على استقراره ، عندما حاول أن يتآمر على الايلخان دفع حياته وحياة أسرته ، وحياة جميع إخوانه ثمناً لهذا التآمر [٤].

وعلى اثر القضاء على بوقا وأتباعه ، خاف الكثير من الأمراء ممن كانت تربطهم صلة صداقة ببوقا كما أشار إلى ذلك الهمذاني قائلاً : ((اشتد القلق بين الأمراء ، وتفسخت

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج٢/ص ١٤٣-١٤٤ وأشار إلى هذه الحادثة باقتضاب ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٣٩٠ .

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج٢/، ص ١٤٦-١٤٧ .

(٣) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٣٩٠ ؛ الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ١٤٧-١٤٨ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٧٥ .

(٤) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ١٦٥ .

العلاقة بينهم بسبب رواج سوق الوشاية لديهم ، وأخذهم بالشك والتهمة فخافوا على أنفسهم ، وبادروا بالهرب والتمرد))[1].

ثانياً: سعد الدولة اليهودي والصراع على السلطة:

١- تكليف أرغون لسعد الدولة اليهودي بأعباء الوزارة:

ارتفعت مكانة سعد الدولة وازدادت ثقة أرغون خان به بعد أن حصل مبالغ طائلة من ولاية بغداد ، وأودعها الخزانة العامة ، وثبت لأرغون خان كفاءته وخبرته وبعد نظره ، لاسيما بعد أن أثنى عليه الأمير أردوقيا الذي كان يرافقه لتحصيل الأموال من ولاية بغداد ، ففي حضرة أرغون خان عبر أردوقيا عن إعجابه بكفاءة سعد الدولة ، ودأبه في ضبط الحسابات ، وحسن تصريفه للأمور. فقال لأرغون خان: ((لقد ادخل سعد الدولة كل هذا المال إلى الخزانة العامرة على دفعتين ، وذلك من ولاية واحدة ، وخلال فترة قصيرة جداً ، وانتهى من مراجعة حساباتها وتنظيمها بمنتهى الدقة ... فلو توكل إليه مهمة الإشراف على جمع وتنظيم أموال جميع ولايات السلطنة ، لأوصل أموال الخزانة والدولة إلى درجة يحتار العقل الخبير أمامها ويعجز – من حيث تنظيمه أمور الرعية وتوفيره الرفاهية لأهالي كل مدينة وولاية))[2].

صدق الايلخان هذا الكلام ، واسند إليه منصب الوزارة [3] في أوائل جمادى الأخرى سنة (٦٨٨هـ/١٢٨٩م)[4] ، وفوض إليه سلطة الحل والعقد في شؤون الدولة ، وأمره بأن يعرض عليه كل ما يستجد من أمور بحرية كاملة دون الحاجة لمشورة أحد [5].

٢- سعد الدولة يعزز مكانته في السلطة بالانقلاب على المسلمين وتقريب اليهود والنصارى:

---

(١) جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ١٤٩ ؛ الشيرازي، تاريخ صاف، ص ٢٣٧ ؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص ١٥٩ .

(٢) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٦٠-٣٦١ .

(٣) ابن الفوطي، المختصر، ص ٣٥١ ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٥٤٦/٥ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٣٣٠/٢ ؛ رؤوف عبد السلام، الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء، ص ٢٣ .

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ١٥٠.

(٥) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٦١ .

انتهج سعد الدولة في بداية الأمر سياسة ماكرة ذكية بهدف السيطرة على أجهزة الدولة والتحكم بالسياسة العليا للدولة الايلخانية ، ثم رفع شأن اليهود ، فاصدر تعليمات تقضي بإجراء الأحكام وفقاً للشريعة الإسلامية ، وتوخي العدالة التامة ، وعمل على رفع الغبن عن المغبونين ، وإجراء الصدقات ، فعم الرخاء في البلاد وشعر الجميع بالأمن والاستقرار ، فلا غـــرو أن نظم شعراء العرب والعجم القصائد في مدحه والثناء عليه (١).

بعد أن اطمأن سعد الدولة إلى ثبات مركزه في الدولة وعلو مركزه عند أرغون خان ، وتمتعه بالسلطات المطلقة ، خطا خطوته التالية لتحقيق هدفه الحقيقي ، فكان رجـــلاً يهوديـــاً متعصباً لأقاربه وأبناء جلدته من اليهود فولاهم المناصب الهامة ، وعهد إليهم بعظائم الأمـــور حتى يسيطرون على كل صغيرة وكبيرة ، وارتفعوا إلى مرتبة الأمراء ، فعـــين أخـــاه فخـــر الدولة والياً على العراق ورتب معه نصر بن الماشميري وجمال الدين الدستجرداني (٢) كاتبـــاً فوصلوا بغداد وقرروا أعمالها ، كما منح شمس الدولة بن منتصب الدولة ولاية فارس ، وعهد بدياربكر إلى أخيه أمين الدولة ، وجعل مهمة الإشراف على تبريز إلى ابن عمه مهذب الدولة بن منصور الطبيب (٣) ، وهكذا سيطروا على الأمور وأرسل إلى كل قطر من أقطار الدولـــة الايلخانية أقاربه ومعارفه (٤) ، ولو لم يكن الأمير غازان وكيخاتو يحكمان خراســـان وبـــلاد الروم ، لكان سعد الدولة قد اسند الحكم في هاتين الولايتين إلى أقاربه من اليهود (٥).

وهكذا ارتفع شأن اليهود في الدولة الايلخانية إلى درجة تفوق الخيال وكما أشار ابـــن العبري في هذا السياق حيث قال: (لا يتجرأ أحد أن يقصد باب البلاط في شأن مـــن الشـــؤون المفيدة أو الضارة إلاّ إذا كان يهودياً ، ولهذا السبب تقاطر إليه جماهير اليهود مـــن مختلـــف الأقطار وجعلوا ينادون ويهتفون بحياته وهم يقولون: لقد رفع شاننا وأقام لنـــا قـــرن خـــلاس ورجاء ومجد))(٦).

---

(١) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٦٠-٣٦٣ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٥٠.

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ١٥٢ ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٢٥٨ .

(٣) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٣٩٨ ؛ الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢/ ج٢ / ص ١٥٢ .

(٤) إقبال، العراق في عهد المغول، ص ٢٠٢ .

(٥) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٣٧ .

(٦) تاريخ الدول السرياني، ص ٣٩٩.

كذلك ارتفعت مكانة النصارى ، فعندما تولى سعد الدولة منصب الوزارة ، ونهج بأساليبه اليهودية في الوصول إلى قمة السلطان ، لم ينسَ أن يحتفظ بثقة النصارى به فكان يعطف عليهم ويحميهم من الاعتداء ويسند إليهم الوظائف، وهكذا تحالف دهاء اليهود مع مكانة النصارى القوية في نفس أرغون خان فتحالفوا على العمل في استمرار سيطرتهم على الحكم من ناحية ، وعلى تهديم الإسلام عدوهم المشترك من ناحية أخرى [١].

لذلك فإنهم بعد إجلاس أرغون خان على كرسي الحكم ، دأبوا على طرد جميع الموظفين المسلمين من البلاط الايلخاني ووظائف الدولة الأخرى ، وتوزيعها بينهم [٢] ، حتى أصبحت تركات المسلمين يتولاها اليهود [٣] ، وبدأوا بالاستعلاء على المسلمين والاستهزاء بهم ، وكانوا لا يتورعون عن أهانتهم [٤] ، ومما زاد في طغيانهم أن الايلخان قد سلم القيادة كليةً لحاميهم سعد الدولة ، فلم يكن يقدر على فراقه لحظة واحدة [٥].

وكان مما قيل في تسلط اليهود وتجبرهم ما ذكره الشيرازي من قول الشاعر العراقي الذي وصف ما وصلت إليه حالة اليهود في ذلك الوقت ودعوته الناس في سخرية مريرة بأن يتهودوا كي ينالوا الجاه والمنزلة:

يهود هذا الزمان قد بلغوا	**مرتبة لا ينالها فلك**
الملك فيهم والمال عندهم	**ومنهم المستشار والملك**
يا معشر الناس قد نصحت لكم	**تهودوا قد تهود الفلك**

([١]) القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص ٣١٩ .

([٢]) فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٧٦ ؛ ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ٢/٢٦٣ ؛ الصياد، مؤرخ المغول ، ص ١١٩ ؛ سرور، محمد جمال الدين، دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي، مصر، ص ١٧٢ .

([٣]) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة،ص ٤٥٥.

([٤]) خصباك، الإدارة الايلخانية، ص ٢٠٨ .

([٥]) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٣٨ .

فانتظروا فمن صيحة العذاب قليل تراهم لهم هلكوا [1]

ثم جاءت الخطوة التالية لسعد الدولة بعد أن لمس في أرغون خان كراهيته للمسلمين ، وعرف أنه لا يطيق رؤيتهم في بلاطه ، فبدأ التشكيك في الإسلام ، فبينما كان نوابه في العراق يقومون بتعطيل المدارس والمساجد وهدمها لاستخدام أحجارها في بناء قصورهم ، شجع بعض أهل الذمة المتسترين بالإسلام ، على التأليف للطعن في الإسلام حيث قام ابن كمونة رجل الدين اليهودي بتأليف كتابه في الملل الثلاثة [2].

ولم يكتف سعد الدولة بهذا القدر للعمل ضد المسلمين بل كان يبغي القضاء على الإسلام والمسلمين بفكرة جهنمية ، أوحى بها إلى أرغون إذ قال له: ((إنّ النبوة قد وصلت إليه بالوراثة عن جنكيز خان ، وان قوام كل دين يتوقف على جهاد المغالين واستئصال شأفتهم ، ويجب عليه أن يأمر بقتل كل شخص يتخلف عن قبول ديانته ، ولا يقبل أن يحشر في زمرة الملة الجديدة))[3].

وقد مهد سعد الدولة لذلك بين الناس حيث كان يجتمع بالشخصيات البارزة من المسلمين ويجبرهم إلى القول معه بأن أرغون يمتلك من الصفات النادرة التي لا تتوافر في الأشخاص العاديين ، ثم يأخذ تواقيعهم على الاعتراف بذلك ، فكان بعضهم يوقع له رهبة أو رغبة ، واندفع البعض الآخر في تزلفه فكتب عبارة ((الناس على دين ملوكهم)) وهو ما يريده الوزير اليهودي أن يشيع بين الناس [4].

---

(1)تاريخ وصاف، ص ٢٣٨ ؛ الجواهري، صراع القوى السياسية، ص ٢١ .

(2) القزاز، الحياة السياسية في العراق ، ص ٢٨٩ .

(3) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٦٣ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٧٦- ١٧٧ .

(4) القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص ٢٨٩ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٥٢ .

وقد اشتدت كراهية أرغون للمسلمين بتأثير سعد الدولة ، واخذ يقدم على قتل الأبرياء وسفك الدماء لأتفه الأسباب ، فاستغل سعد الدولة هذه الكراهية وعرض على أرغون أن يحول الكعبة إلى معبد للأصنام [١].

ولتحقيق هذا الغرض بعث سعد الدولة برسائل ومكاتبات إلى اليهود يخبرهم أن يكونوا على استعداد لصناعة أعلام الضلال ، والتوجه بها إلى مكة ، كذلك استفسر منهم عن إمكانية إرسال جيش مغولي إلى تلك الديار [٢].

كما بعث نجيب الدين الكحال اليهودي إلى خراسان وسلمه قائمة بأسماء مـــائتين مـــن الأعيان والعلماء والأغنياء ، ليتولى القضاء على حياتهم ، ويحول أملاكهم وأموالهم إلى ديوان السلطان ، وكلف أيضاً شمس الدولة بقتل سبعة عشر شخصاً من الأئمة والخطباء من أصفهان من دون ذنب جنوه ، سوى أنهم كانوا يتمتعون بالسمعة الطيبة بين الجميع ، ويعرفون بعلـــو النسب وكثرة البذل والعطاء [٣].

كذلك كان سعد الدولة يضمر الكراهية لكل ما هو مسلم خاصة الشخصيات الإسلامية الكفوءة بجواره ، التي كانت تعمل في جهاز الدولة بالرغم من قلتهم ، فكان يود دائماً أن يكون وحده في الصورة أمام الايلخان ، ولهذا عمد إلى التخلص من كل شخصية بارزة .

ولقد روى المؤرخ القزويني رواية تعكس الدليل الواضح على النوايا الســـيئة لســـعد الدولة في التخلص من منافسيه ، لما كان سعد الدولة يرى الخواجة فخـــر الـــدين المســـتوفي جديراً بمنصب الوزارة ، ويعده منافساً خطيراً له ، فتغير عليه وصار يكيد له ويتعمد تشـــويه سمعته ، ويظهره بمظهر المخطئ دائماً أمام الايلخان ، وعلى الرغم من عدم وجود خصومة سابقة بين الاثنين ، فإن خبث سعد الدولة دعته إلى التخلص من منافسه ، وبالرغم من ذلك لم يلق الخواجة فخر الدين بالاً إلى محاولاته ، فقدم من بلاد الروم ليهنئ سعد الدولـــة بمناســـبة

---

(١) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٦٣ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٥٢ .

(٢) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٦٣.

(٣) وولتر، فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية للدول الإسلامية، دار التكوين، دمشق، م، ص ١٣٠.

تقلده منصب الوزارة ، وقدم البلاط، فتعطف عليه أرغون خان وشمله برعايته ، فتضايق سعد الدولة وعزم على التخلص منه [١].

وذات يوم طلب أرغون خان من سعد الدولة بيانات عن حسابات الدخل والخراج لكل البلاد ، فوجد سعد الدولة صعوبة في ذلك وقال لأرغون خان أن هذا يتطلب وقتاً طويلاً ، عندئذ تقدم الخواجة فخر الدين المستوفي ، وعرض على أرغون خان سجلاً مشتملاً عن حسابات جميع المبالغ في البلاد ، والمبلغ المرصود لكل ولاية ، ونفقات البلاط ، فتضايق سعد الدولة من فخر الدين إلى أقصى حد ، وقرر التخلص سريعاً منه ، واغتنم فرصة غياب أرغون خان عن وعيه في حالة سكره ، واستأذنه في قتل فخر الدين ، فقتل في رمضان سنة (٦٨٩هـ/١٢٩١م) في موضع وان [٢].

بعد كل تلك الأعمال ضاق الناس ذرعاً بتحكم اليهود واجتمع أهل العاصمة من الأمراء والعلماء المسلمين وكافة فئات الشعب في سنة (٦٨٩هـ/١٢٩١م) وكتبوا محضراً بعثوه إلى أرغون خان وقد ملأوه طعناً شديداً على سعد الدولة واليهود وضمنوه بآيات من القرآن والأحاديث النبوية التي تنص على أن اليهود طائفة أذلهم الله ومن حاول إعزازهم أذله الله عز وجل ، فرفع أرغون خان المحضر إلى سعد الدولة وحكمه في الذين وقعوا في أدناه ، ولكنه خاف مغبة الفتك بهم فلم يؤاخذ واحد منهم ، سوى انه صلب جمال الدين الحلاوي ضامن ملفات بغداد [٣] ، فأصبح الناس عاجزين عن زحزحته لأنه كان حائزاً لثقة أرغون خان الذي كان جباراً قوياً وعلى هذا أي شخص مهما علا قدره أن يمس سعد الدولة لسوء ، فلم يكن من بد أن يترقب أعداؤه الفرصة الملائمة للانقضاض عليه ، فصبروا على مضض متحملين منه كل ما يصادفهم من أذى [٤].

٣- نهاية سعد الدولة ونكبة اليهود (٦٩٠هـ-١٢٩١م) :

---

(١) تاريخ كزيرة، ص ٥٩٨-٥٩٩ .

(٢) تاريخ كزيرة، ٥٩٨-٥٩٩ .

(٣) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٦١-٤٦٢ ؛ الشبيبي، مؤرخ العراق، ١٥٩/٢ ؛ طلس، عصر الانحدار، ص ١٦ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ١٧٢.

(٤) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٤١ .

تعرض سعد الدولة اليهودي في أواخر حياته السياسية ، لنقمة عارمة بسبب أعماله السيئة والاستفزازية ، فراح أعداؤه يترقبون الفرصة المؤاتية للإيقاع به والانقضاض عليه ، وقد جاءت الفرصة للإيقاع به عندما مرض أرغون خان في تبريز وانتكست صحته ، وأعلن الأطباء عجزهم عن معالجته (١) ، فأدرك سعد الدولة أن أرغون الذي كان أداة لتنفيذ أغراضه على وشك الرحيل وان شمسه هو أيضاً قد أوشكت على المغيب ، فأراد أن يحفظ لنفسه خط الرجعة ، ويستعد لمفاجآت المستقبل ، فكان لابد من أن تعود سيرته الأولى من استمالة الناس والتكفير عن سيئاته ، لعل هؤلاء في غمرة مآثره ومكارمه ينسون ما لاقوه على يده من صنوف العذاب والذلة ويكون سلوكه شفيعاً له من هلاك محقق (٢).

وعلى هدى هذا التصميم شرع سعد الدولة يرسل الرسائل إلى عمال الدولة لرفع المظالم والفساد وإطلاق سراح المسجونين وإجراء الصدقات والخيرات والعمل نحو رفاهية الرعية ، وقيل أنه أرسل في يوم واحد سبعين مرسوماً – إلى كل ولاية تشتمل على إظهار العدل (٣) ، وتصدق على أهل بغداد بمبلغ ثلاثين ألف دينار وعلى أهل شيراز بمبلغ عشرة آلاف دينار (٤) ، وكان يتظاهر بأنه يبغي من وراء هذه الصدقات دفع البلاء عن الايلخان وطلب الشفاء له (٥) ، والحقيقة أنه كان يحاول استرداد مكانته وجلب رضا الناس ، وحتى لا يتعرضوا له بسوء عند تأزم الأمور ويموت أرغون خان ، لكن الأوان قد فات ، إذ لم تترك أعماله السيئة مجالاً لتناسي الأحقاد ودفن الضغائن (٦).

لقد كان أرغون خان يعتقد اعتقاداً راسخاً في كهنة المغول وأساليبهم ، وكان دائماً يرعى تلك الطائفة ويعمل على تقويتها ، وعندما مرض حاول هؤلاء الكهنة أن يعدوا معجوناً

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢/ ج٢ / ص ١٥٩ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٥٢ ؛ الصياد، مؤرخ المغول الكبير، ص ٦٣ .

(٢) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٦٤ .

(٣) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٦٤ .

(٤) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٤٤ .

(٥) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ١٥٩ .

(٦) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ١٧٤ ؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص ٦٤.

يطيل عمره ، ولكن هذا العمل أتى بنتيجة عكسية إذ اشتدت عليه العلة وساءت حالته [١] وكان مرتعاً خصيباً لتوزيع الإشاعات ونذيراً بما ينتظر سعد الدولة من مصـير مخيـف وهـلاك محقق[٢].

ولما أدرك سعد الدولة حرج الموقف ، أراد أن ينقذ حياته برمي آخر سهم في جعبته ، إذ أرسل الرسل على الفور إلى غازان بن أرغون خان واستدعاه إلى أذربيجان ، وظـن أنـه بذلك ربما ينال عطف الأمير غازان قبل موت أبيه ، فتكون هناك بارقة أمل في أن يدافع عنه ضد أعدائه الذين يتربصون به الدوائر ولكن أعدائه فوتوا عليه اغتنام تلك الفرصة ، واجتمعوا في منزل الأمير طغاجار قبل أن يصل الأمير غازان إلى خراسان ، واتفقوا علـى ضـرورة القبض على سعد الدولة والخلاص منه سريعاً ، وقد تم لهم ما أرادوا ، إذ قبض عليه واحضر إلى منزل طغاجار وقتل في شهر صفر سنة (٦٩٠هـ-١٢٩١م)[٣] ، وبعد فترة توفي أرغـون خان في يوم السبت ٧ ربيع الأول سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م)[٤].

وبعد مقتل سعد الدولة لاقى إخوانه وأقرباؤه الذين عملوا حكاماً على مختلف الولايات المصير نفسه ، فقد جرى اعتقال فخر الدولة حاكم بغداد ومن ثم اعدم ، والقي القـبض فـي واسط على مهذب الدولة بن الماشعيري زميله في إدارة العراق ، واعدم فيما بعد في بغـداد ، وجرى أيضاً اعتقال أمين الدولة ، أخي سعد الدولة في الموصل وواجه المصير نفسـه مثل أخيه فخر الدولة [٥].

كان لمقتل سعد الدولة صدى ايجابي في كل البلاد الإسلامية ، فقد تخلص المسـلمون من اكبر عدو لهم ، وكان موته إيذاناً بالقضاء على اليهود ، وتعقبهم بالقتل والتعـذيب أينمـا حلوا ، وجرت عليهم مذابح مروعة في جميع المدن ، ومثّل بهم أشنع تمثيـل ، وصـودرت

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج٢/ ص ١٥٨-١٥٩ .

(٢) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٤٦ .

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج٢/ ص ١٦١ ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٦٤ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٦٥.

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج٢/ ص ١٦٢ ؛ الكتبي، عيون التواريخ، ٢٣/ ص ١٠٣ ؛ الشـيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٤٦ ؛ ابن تغري بردي، ؛ المنهل الصافي، ٣١١/٢ ؛ خواندمير، دستور الـوزراء، ص ٣٦٥ .

(٥) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٦٤-٤٦٦ .

أموالهم ، وصارت طعمة للسلب والنهب [١] ، وقتل في بغداد وحدها ما يزيد عن المائة مـن زعمائهم [٢] ، وقد تحدث ابن الفوطي ، عن هجوم بغداد قائلاً: وتجمعت عامة بغداد واقتحمت بيت فخر الدولة وأماكن سكن جميع اليهود ، واستولوا على ثرواتهم ونهبوها ، واستمر هـذا العمل ثلاثة أيام ، ومع أنّ الشرطة وقفت ضد العامة وحاربتها ، فقد قامت فئة مـن العامـة بإشاعة أنّ الوالي قد سمح بالنهب ، وبناءً على ذلك سارع العصاة واللصوص والشطار ونهبوا دور اليهود ودكاكينهم [٣].

ويبدو من رواية ابن العبري أنّ هذه الهجمات لم تقتصر على بغداد حيث قال: ((سخط الله تعالى على اليهود في كل الأمصار فقد بطش المغول أولاً بسعد الدولة ... ثم وجهوا وفوداً إلى بلاد المغول كلها فقبضوا على إخوته وانسبائه وأوثقوهم بالقيود ونهبوا أشياءهم واخـذوا أبناءهم وبناتهم وخدامهم وجواريهم وكل أموالهم))[٤].

وقد أكد المؤرخ عبد الله الشيرازي أنّ مدينة شيراز وحدها هي التي سلمت من تلـك الغارات ورغم أنّ الوالي في ذلك الوقت كان هو شمس الدولة اليهودي فـإن المسـلمين لـم يتعرضوا له بسوء لأنه كان يعدل بينهم ، ويترفق بهم ، ويؤازرهم ، ويحترم أئمتهم وعلماؤهم ، وقد استمر شمس الدولة والياً على شيراز سنة أخرى بناءً على أمر كيخاتو خان الذي خلف أرغون على العرش ، ومما سبق يتبين إلى أي حد كان سعد الدولة مسـؤولاً عـن سياسـته التعسفية التي درج عليها في عهد ارغون خان ، تلك السياسة التي جعلت المسـلمين يفقـدون ثقتهم في اليهود فقداناً تاماً ، وملأت نفوسهم في الحقد عليه ، فكانت النتيجة هذا الانتقام الشنيع الذي لاقاه اليهود على أيدي المسلمين [٥].

وان التاريخ المنصف لا يعيب على المسلمين هذا الموقف لأنهم لـم يكونـوا بـادئين بالعدوان بل على العكس رأيناهم يعظمون سعد الدولة ويحترمونه ويمدحونه ، عنـدما كانـت

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢/ ج٢ / ص ١٦١ ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعـة، ص ٤٦٦ ؛ ابـن كثير، البداية والنهاية، ٣٢٤/١٣ ؛ الذهبي، شذرات الذهب، ٤١١/٥ .

(٢) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٤٦ .

(٣) الحوادث الجامعة، ص ٤٦٦ .

(٤) تاريخ الدول السرياني، ص ٣٩٩ .

(٥) تاريخ وصاف، ص ٢٤٧ .

سيرته حسنة فيهم ، ولكن لما انكشفت حقيقته البشعة سافرة جلية سحبوا تلــك الثقــة ، وفــي الوقت نفسه ، إن المسلمين حتى في وقت غضبهم وانتقامهم لم يأخذوا الصالح بجريرة الطالح ، وأنّ تصرفهم مع شمس الدولة ليعد اكبر دليــل ضــد أولئــك الــذين يرمــون المســلمين بالتعصب[1].

(1) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ١٧٦ .

الفصل الثالث

صراع الوزراء على السلطة في عهد الايلخانات الأربع كيخاتو (٦٩٠-٦٩٤هـ/١٢٩١-١٢٩٤م) وبايدو (٦٩٤هـ/١٢٩٤م) وغازان (٦٩٤-٧٠٣هـ /١٢٩٤-١٣٠٣م) واولجايتو (٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٣-١٢١٦م)

أولاً: تقلد صدر الدين الزنجاني الوزارة واتساع نفوذه .

ثانياً: دور الوزير صدر الدين الزنجاني في الصراع على السلطة بين غازان وبايدو

ثالثاً: صراع الوزير صدر الدين الزنجاني مع أمير الأمراء نوروز والقضاء عليه.

رابعاً: نكبة الوزير صدر الدين الزنجاني تفتح الطريق أمام رشيد الدين الهمداني لتقلد منصب الوزارة.

خامساً: سعد الدين الساوجي يشارك رشيد الدين بأعباء الوزارة على عهد غازان خان.

سادساً: محاولة قطب الدين الشيرازي الإيقاع بالوزيرين عند غازان خان.

سابعاً: استمرار الوزيرين رشيد الدين وسعد الدين في منصب الوزارة على عهد اولجايتو خان والوشايات ضدهما.

ثامناً: سعد الدين الساوجي يذهب ضحية استبداده بالسلطة والتطاول على رشيد الدين وعلـي شاه الجيلاني.

تاسعاً: فشل مؤامرة نجيب الدولة اليهودي للإطاحة برشيد الدين.

عاشراً: تقلد علي شاه الجيلاني لمنصب الوزارة بسعاية الوزير رشيد الدين الهمذاني.

أحد عشر: الصراع على السلطة بين الوزيرين رشيد الدين الهمذاني وعلي شاه الجيلاني على عهد اولجايتوخان.

أولاً: تقلد صدرالدين الزنجاني لمنصب الوزارة واتساع نفوذه في عهد كيخاتوخان سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م) :

يعد صدر الدين أحمد الخالدي الزنجاني من سلالة قضاة زنجان [١] ، وكان قبل توليه منصب الوزارة يعمل نائباً عن الأمير طغاجار في حكم بلاد الروم حيث اسند إليه طغاجار مسؤولية تنظيم أموال تلك البلاد ، فنظم صدر الدين أعمالها تنظيماً كاملاً [٢] ، كما ساهم بجملة أمور أثرت في الأحداث السياسية ، حيث كان من المشتركين في المؤامرات ضد أسرة الجوينيين التي تولت الوزارة في فترة سابقة [٣].

كذلك اشترك صدر الدين الزنجاني بمؤامرة ضد كيخاتو خان (٦٩٠هـ/١٢٩١م) بالتعاون مع الأمير طغاجار فاستغل الاثنان غياب كيخاتوخان في بلاد الروم الذي امتد إلى ما يقرب من عشرة أشهر ، ولم يكن قد وجد متسعاً من الوقت لاستتباب الأمور والقضاء على مخالفيه ، ولم يكن نائبه سيكتور نويان أيضاً بالشخص القوي الذي يستطيع حسم الأمور [٤] ، فاستغلوا الفرصة ، وروجوا إشاعات كاذبة مفادها أن التركمان في بلاد الروم قد تغلبوا على كيخاتوخان وقضوا عليه ، وخططوا لتولية الأمير انبارجي وحاولوا إقناع بقية الأمراء بذلك ، ثم اتضح أنّ هذه الإشاعة كاذبة وعارية عن الصحة ، وأن كيخاتوخان انتصر على أعدائه وهو بصحة جيدة ، عندئذ أسرع نائب كيخاتو وأمير الأمراء سيكتور نويان مستغلين فرصة غياب كيخاتوخان واعتقلوا صدر الدين الزنجاني وطغاجار ، وأرسلوهما إلى كيخاتوخان ، إلاّ أنّ كيخاتوخان كان رجلاً متسامحاً ، فعفا عنهما وأطلق سراحهما وصارا موضعاً لعطفه ، بل

---

(١) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٦٦ ؛ البدليسي، شرفنامة، ج٢، ص ١١ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٨٣ .

(٢) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٦٦ ؛ البدليسي، شرفنامة، ٢/ ١١-١٢ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٥٦ .

(٣) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٦٤ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٥٦ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢٠٩ .

(٤) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٦٤ ؛ البدليسي، شرفنامة، ج٢، ص ١١- ص ١٢ .

أنه رفع قدر صدر الدين الزنجاني إلى أقصى حد على النحو الذي سنعرفه بعد قليل ، وبـــذلك طمأن جميع الأمراء الذين كانوا خائفين منه وشملهم برعايته [1].

بعد انتهاء مراسيم الاحتفال شرع كيخاتوخان في تنظيم أمور دولته فوقع اختياره على الأمير اقنبوقا ليتولى منصب أمير الأمراء ، وجعل سيكتور نويان وطغاجار معاونين له [2] ، كما أنه اسند منصب الوزارة إلى صدر الدين أحمد الخالدي الزنجاني ومنحه لقب صدر جهان أي صدر العالم [3] ، ((كما أعطاه خاتماً ذهبياً وأطواقاً وطبلاً وخصص له عدد من العسكر ، ووضع في يدي صاحب الديوان مهمة التصرف في جميع مهــام الــوزارة والإدارة ، وبلــغ كوكب إقبال صدر الدنيا – في نفاذ أمره وعلو شأنه ومزيد اقتــداره وكمــال اختيــاره– أوج الرفعة والشرف ، فغرق في ماء الخجل لكثرة ما خصه السلطان من جواهر ...))[4] ، ومعنى هذا أن منصب الوزارة عاد إلى المسلمين بعد أن فقدوه طوال عهد سلفه أرغون خــان وقــد أعطى كيخاتوخــان صــدرجهان ســلطات واســعة ، فصــار هــو الشــخص الأول فــي الإمبراطورية[5]، الذي يستطيع أن يقف على قدم المساواة مع القائد العام لجيش المغول ، كما أنه نصب أخاه الخواجة قطب الدين أحمد قاضي قضاة الممالك الايلخانيــة ، وجعــل ســائر المصالح الدينية والمطالب الشرعية بيده [6].

هذه المكانة أثارت حسد بعض الأمراء ومنهم حسن وطايجو وهم من جملــة أمــراء كيخاتوخان الكبار على أن يثيروا جمعاً من أعيان تبريز وأعلامها ضد صدر الدين الزنجــاني قائلين لهم أن يرفعوا إلى كيخاتوخان أنّ صدر الدين الزنجاني يستولي لنفســه علــى معظــم الأموال الديوانــــــــــية مهــــــــــملاً مصــلحة الجــيش ومــا يلــزم لــه مــن العــــــــتاد والذخــــــــيرة ولا يمــــــــــدهم بالرواتب والعـــلف

([1]) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٦٤ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٥٥.

([2]) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٦٦ ؛ البدليسي، شرفنامة، ١١/٢ .

([3]) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٦٦ ؛ البدليسي، شرفنامة، ١١/٢ ؛ خواندمير، دســتور الــوزراء، ص ٣٦٧ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ٣٥٦/١ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٨٣ .

([4]) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧٦ .

([5]) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٦٦ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢١ .

([6]) البدليسي، شرفنامة، ١١/٢ .

كذلك لا يسدد نفقات البلاط [١] ، وانه يستولي لنفسه على مبلغ ٣٠ تومانا أي ما يعادل (٣٠٠,٠٠٠) دينار من جملة خراج تبريز البالغ ٨٠ توماناً أي ما يعادل (٨٠٠,٠٠٠) دينـــار [٢].

ورغم أنّ معظم هذه الاتهامات الموجهة إلى صدر الدين الزنجاني صحيحة إلاّ أنها لم تجد أذناً صاغية من قبل كيخاتوخان الذي اطلع وزيره على مكائد موظفيه وجعل مصيرهم في قبضته ، فخرج صدر الدين الزنجاني من لدن كيخاتوخان شاكراً وبادر إلـــى وضـــع القيـــود والسلاسل في أرجل من وشوا به عند كيخاتوخان ليعلمهم أقدارهم ، وبعد بضعة أيام قام صدر الدين الزنجاني بالعفو عنهم وإطلاق سراحهم [٣].

ثم اصدر كيخاتوخان مرسوماً بتفويض صدر الدين الزنجاني في الإبقاء على من يشاء من الأمراء والقواد والولاة في منصبهم ويقصي من يشاء ، كما أمر بأن لا يمـــنح الأمـــراء والخواتين أقطاعات قط بغير أمر صدر الدين الزنجاني ، وكان هذا الاهتمام الزائـــد بصـــدر الدين الزنجاني عاملاً مشجعاً له على إطلاق يده في تصريف كل شؤون الدولـــة ، واتســـاع نفوذه وامتداد سلطته التي أدخلت البلاد في أزمة مالية حادة نتيجة لإسرافه ، وسلوكه طريـــق الإفراط والبذخ لاجتذاب قلوب الناس خاصة الزهاد منهم [٤] ، وفي هذا الصدد يقول خواندمير خواندمير ((والحقيقة أن صدر الدين كان ينفق أمواله علـــى العلمـــاء والمشـــايخ والســـادات والفضلاء))[٥] وهذا الامر فيه مبالغة من قبل المؤرخين الفرس ، وقد ذكر أحد شـــعراء تلـــك البلاد هذه القطعة يمدحه:

- لا يستطيع شخص أن يصير صدراً في الآفاق بمجرد صدره
- فالصدر الشهير في أرجاء العالم
- هو ذلك الشخص الذي يكون أمام جوده

---

(١) البدليسي، شرفنامة، ج٢/ ١٢ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٥٦ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢١٠ .

(٢) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٦٩ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٥٦ .

(٣) دستور الوزراء، ص ٣٦٨ ؛ البدليسي، شرفنامة، ج٢/ ١٢ .

(٤) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٦٩-٢٧٠ ؛ البدليسي، شرفنامة، ج١٢/٢ ؛ إقبـــال، تـــاريخ وصـــاف، المغول، ص ٢٥٦ .

(٥) دستور الوزراء، ص ٣٦٦ .

- الجوهر والذهب مثل تراب الطريق سواء بسواء [١].

ولا يمكن القاء اللوم كله على صدر الدين الزنجاني في التسبب بهذه الأزمة لأن كيخاتوخان كان أيضاً رجلاً مبذراً ومحباً للهو ، وكان يبدد الذهب والفضة والجواهر والنفائس باعتبارها زينة للنساء ، وكان يتشبه في عطائه باوكتاي خان [٢] ، وسرعان ما خوت الخزانة ، وفي غضون عامين بلغت ديون الوزارة قرابة خمسمائة تومان ، إلى جانب أنّ وباءاً تفشى بين قطعان أغنام المغول في مستهل ولاية كيخاتوخان ونفقت معظم الأغنام [٣] في الدولة خاصة في ديار بكر والموصل وبغداد وخراسان ، ولم تكن في خزانة الحكومة اموال تكفي لمساعدة كبار أمراء المغول لتدارك الأمر ، مما أدى إلى زيادة فقر المغول وتدهور اوضاع الجيش وكان مقدار العوائد السنوية التي تدخل الخزانة في عهد صدر الدين الزنجاني وكيخاتو ١٨٠٠ تومان ، يتم انفاق ٧٠٠ منها على نفقات الديوان ورواتب موظفيه ، ولم يكن الباقي يفي بالنفقات الملكية وتبذير كيخاتوخان ، في حين لم تكن نفقات الغذاء ومطبخ الامراء والخواتين في عهدي اباقاخان وأحمد خان تزيد عن ٤٠ توماناً في حين بلغت هذه النفقات نفسها في عهد كيخاتوخان ١٦٥ توماناً ومع ذلك كان الجميع يتذمرون ويطالبون بالزيادة ، فهكذا كان نتيجة اسراف كيخاتوخان ووزيره صدر الدين ان بلغ الفقر المالي حد عدم توفر المال اللازم لشراء راس من الاغنام لمطبخ الايلخان كيخاتوخان [٤].

وفي تلك الأثناء كلف صدرالدين الزنجاني شخصاً يهودياً يدعى رشيد الدولة بأعداد لوازم المطبخ الايلخاني واسند إليه إدارته ، فاشترى رشيد الدولة عدداً كبيراً من الأغنام والأبقار من جيبه الخاص ، وعين عدداً من الطباخين ، وتقرر إعادة ما أنفقه من ماله الخاص إليه من الخزانة ، ولكن نظراً لخلو الخزانة من المال وعجز موظفي الدولة في الولايات عن

---

(١) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٦٦ .

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ٧٢-٩٤ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢١١ ؛ عمر، تاريخ إيران، ص ٢١٨ .

(٣) فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٨٣ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢١١- ص ٢١٢ ؛ طقوش، تاريخ المغول العظام، ص ٢٥٨ .

(٤) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٧١ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢١١-ص ٢١٢ .

دفع حوالات صدرجهان لعدم توفر المخصصات المالية ، فقد آثر رشيد الدولة الفرار بعد أن انفق كل ما يملك ولم يعد باستطاعته مواصلة عمله [١] .

وفي تلك الأثناء كان لابد من إيجاد حل سريع لمعالجة هذه الأزمة المالية الخطيرة ، فظهر رجل يدعى عز الدين مظفر بن محمد بن عميد الذي كان على اطلاع بالمعاملات المالية في الصين ، وكان هذا الرجل ملازماً لصدر الدين الزنجاني ، وكان بمثابة مستشار له ، فعرض عليه اقتراح وقال له: ((إنّ الخزانة خالية الآن ، وان الحاجة ماسة إلى المال لتسديد قيمة الحوالات وسائر النفقات ، كما أن الاستدانة بعد هذا ، أصبحت أمراً متعذراً ، ونحن إذا اضطررنا إلى إعداد جيش ، فإننا لا محالة عاجزون عن ذلك .... فالأفضل أن نتعامل مثل ما يجري به العمل في ممالك الخان ... بالعملة الورقية (الجاو)[٢] بدلاً من التعامل بالذهب والفضة ، حتى تنفتح أبواب المعاملات ، ويعود المال إلى الخزانة))[٣].

لقد راق هذا الاقتراح للوزير صدر الدين الزنجاني الذي كان وقتئذ مديناً بأكثر من ٥٠٠ توماناً وليس لديه رصيد ، وفي كل لحظة يزيد الدين بازدياد وجوه الصرف ، فقبل الاقتراح وبادر إلى رفعه بواسطة سفيرخان الصين في بلاط إيران بولاد جينكسانك إلى كيخاتوخان الذي رحب بهذا الاقتراح ووافق على الفور واصدر أمراً سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٣م)[٤] بإبطال التعامل بالذهب والفضة ، وألاّ يشتغل أحد بالذهب سوى رجال السلطان والصاغة ، ومنع صنع الأواني من الذهب والفضة ، ووقف كل من شانه استهلاك الذهب والفضة الا في الأغراض الصناعية والتجارية وكتبت الرسائل إلى أمراء الولايات لإعداد العملات الورقية ونشر التعامل بها [٥] ، كذلك أنشأت في كل مدينة إدارة وجهاز حكومي يسمى (جاوخانة) لهذا

---

(١) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٤٠٣- ص ٤٠٤ ؛ إقبال، تاريخ إيران، ص ٤٢٢ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٥٧ .

(٢) الجاو: وهي صكوك من الورق تقوم مقام السكة للمزيد من التفاصيل: ينظر: ماركوبولو، رحلات ماركوبولو، ص ١٦٨-١٦٩ ؛ ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٤٠٤ ؛ البدليسي، شرفنامة، ١٣/٢ ؛ اقبال، تاريخ المغول، ص ٢٥٧ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٨٣- ص ١٨٤.

(٣) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٧٢ ؛ البدليسي، شرفنامة، ١٣/٢ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٨٤- ١٨٤ .

(٤) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٧٢ ؛ البدليسي، شرفنامة، ١٣/٢ ، الجاف، الوجيز، ص ٣٠٢ .

(٥) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٧٢ .

الغرض ففي تبريز انشغل كل من الأمير طغاجار وآق بوقا وصدرجهان بإعداد العملات الورقية وتم إجبار الناس قسراً على التعامل بها [1].

وهذه العملة كانت تسمى في البداية (جاومبارك) وهي عبارة عن قطعة مستطيلة من الورق دونت على حوافها كلمات بالخط الخطائي ، والشهادتان على طرفيها من أعلى وتحت الشهادتين كتبت كلمتان (ايرنجين تورجي) وهو اللقب المغولي لكيخاتو خان ، وتراوحت قيمتها بين نصف درهم وعشرة دنانير، وكتب عليها العبارة التالية ((بأمر من ملك العالم في سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٣م) تم تداول هذه العملة الورقية في البلاد ، ومن يغيرها أو يبدل يقع تحت طائلة الياسا هو وأمرائه وأولاده ومصادرة أمواله لصالح الديوان))[2].

وفي هذا الصدد يقول ابن بطوطة: ((وأهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا بدرهم ، وجميع ما يتحصل ببلادهم من ذلك ... وبيعهم وشرائهم بقطع كاغد ... وإذا تمزقت تلك الكواغد في يد إنسان ، حملها إلى دار كدار السكة عندنا ، فاخذ عوضها جدداً ، ودفع تلك))[3].

انتشرت هذه النقود أول الأمر في تبريز سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٣م) واضطر الأهالي إلى استعمالها في البيع والشراء أسبوعاً واحداً خشية السيف ثم امتنعوا عن التعامل بالجاو بعد ذلك[4] ، ولما اجبروا على استعماله آثرت طائفة منهم الرحيل على البقاء ، وأغلق البعض دكاكينهم حتى لا يفقدوا بضائعهم مقابل الجاو الذي لا قيمة له ، فادى ذلك إلى كساد الأسواق وتوقف المعاملات [5] ، ولقد أشار إلى تلك الحادثة ابن الفوطي حيث قال: ((ووضع صدر الدين الزنجاني عملة الجاو وهو كاغد عليه تمغة السلطان عوض السكة على الدنانير والدراهم وأمر الناس أن يتعاملوا به فتعامل به أهل تبريز اضطراراً لا اختياراً بالقسر والقهر ، فاضطربت أحوالهم اضطراباً حتى تعذرت الأقوات وسائر الأشياء وانقطعت المواد من كل

(١) البدليسي، شرفنامة، ج٢/ ١٣ ؛ الصياد،/ الشرق الاسلامي، ص ٢١٥ .

(٢) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٧٢ ؛ البدليسي، شرفنامة، ج٢/ ص ١٣-١٤ .

(٣) رحلة ابن بطوطة، ص ١٣٣ .

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ١٨٣ .

(٥) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٤٠٤ .

نوع ، فكان الرجل يضع الدرهم في يده تحت الجاو ويعطي الخباز والقصاب وغيرهما خوفاً من أعوان السلطان))[1].

أخذت الأوضاع تزداد سوءاً يوماً بعد يوم وخلت المدينة ، وانتشر اللصوص والأوباش الذين اخذوا يسلبون كل ما صادفوه في الشوارع [2] وبسبب هذه الأوضاع السيئة ضج الناس بالشكوى وبدأوا يطعنون ويلعنون من أوحى بفكرة الجاو وأرادوا قتلهم إلاّ أنهم لاذوا بالفرار فنجوا من هلاك محقق .

استمرت الشكاوي والثورة في المدن ضد تداول هذه العملة ، عندئذ شعر الوزير صدر الدين أنّ الجاو زاد الحالة سوءاً واضطراباً وأن الإيرانيين قد يثورون جميعاً ضد قانون عملة الجاو مما يجعل الإطاحة بالايلخان والوزير فلذلك أوصى صدر الدين إلى الايلخان كيخاتوخان بإلغاء عملة الجاو والعودة إلى التعامل بالذهب والفضة فاصدر كيخاتوخان أمراً بذلك ، وعلى هذا النحو تمكن الوزير صدر الدين وكيخاتو خان من السيطرة على الأهالي [3] ، وبذلك استراح الناس وأطلقوا على العملة الورقية (العملة الورقية غير المباركة)[4].

ثانيا: دور الوزير صدر الدين الزنجاني في الصراع على السلطة بين غازان وبايدو:

تولى بايدو خان عرش الايلخانية في ٦ جمادى الأولى (٦٩٤هـ/١٢٩٤م) بعد القضاء على ابن عمه كيخاتوخان [5] ، لأن الأخير كان ضعيف الإرادة ومهملاً لشؤون الحكم ، وكذلك ساءت الأحوال الاقتصادية في عهده كثيراً ومما زاد الطين بلة شططه الأخلاقي فغرق في بحر الخمر والفسق إلى الحد الذي طالت نزواته أبناء الأمراء [6] ، ولم يفرق بين الحلال والحرام [7] يقول أبو الفداء عنه في حوادث سنة (٦٩٤هـ/١٢٩٤م): ((قتل كيخاتو بن ابغا بن هولاكو بن جنكيز خان وسبب ذلك: أنه لما أفحش كيخاتو المذكور بالفسق في أبناء المغول

---

(١) الحوادث الجامعة، ص ٤٧٧ .

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج٢/ ص ١٨٣ .

(٣) فهمي ، تاريخ الدولة المغولية ، ص ١٨٥ .

(٤) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٤٠٤ ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٧٧ .

(٥) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج٢/ ص ١٨٨ ؛ الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٧٩ .

(٦) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٥٤٧/٥ .

(٧) القزويني، تاريخ كزبدة، ص ٦٠٠ .

، وشكوا ذلك إلى ابن عمه ببدو بن طرغية ... فاتفق معهم على قتل كيختو المـــذكور...))[١] الأمر الذي أدى إلى نفور الأمراء منه واخذوا يخططون للإطاحة به.

كان الأمير بايدو أكثر الأمراء رغبة في الإطاحة بكيخاتو خان لأنه في إحدى الـــولائم التي كان يحضرها الأمير بايدو لعب الخمر برأس كيخاتوخان واخذ يهين الأمير بايدو اهانات بالغة ، ويوجه إليه ألفاظ نابية ، بل بلغ به الأمر أن أمر أحد أتباعه بان يضربه أمـــام أنظـــار الجميع ، وفي الصباح بعد أن أفاق كيخاتوخان من سكره ، ندم على ما فعل بحق بايدو واخـــذ يطيب خاطره ويعتذر إليه ، فتظاهر الأمير بايدو بقبول الاعتذار ، ولم يظهر تأثره لما حـــدث من كيخاتوخان [٢].

والمعروف عن الأمير بايدو أنه وقور ولديه الكثير من الأتباع كما كان أحد المرشحين لمنصب الايلخانية فاضمر الحقد في نفسه وصمم على الانتقام من كيخاتوخان [٣]. وتهيأت لـــه الفرصة عندما انضم إليه عدد كبير من الأمراء الناقمين على كيخاتو أمثال دولاداي ايـــداجي وجونجقبال وتوكال وايجيداي وبوغداي فضلاً عن الأميرين الأكثر نفوذاً في بلاط كيخاتو آق وطغاجار [٤] ، وبفضل هؤلاء تمكن بايدو من الايقاع بكيخاتو وقتله وذلـــك فـــي ٦ جمـــادى الأولى سنة(٦٩٣هــ/١٢٩٦م) [٥] وبعد ستة اشهر من مقتله تولى بايدو عرش الايلخانية [٦]. [٦].

أثار مقتل كيخاتو غضب ابن أخيه غازان الذي كان أميـــراً علـــى خراســـان وبـــدأ مشاورات مع الأمير نوروز الذي كان وزيراً له فأشار عليه أن الفرصة أصبحت مؤاتية لـــه بالوصول إلى منصب الايلخانية من خلال المطالبة بدم عمه وإقصاء الأمراء الـــذين ســـاعدوا

---

(١) المختصر، ٣/٣٦٨ .

(٢) المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٢٨٥- ص ٣٠٦ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢/ ٣٤٢ ؛ القزويني، تاريخ كزبدة، ص ٦٠٠ .

(٣) المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٢٨٥- ص ٣٠٦ ؛ إقبال، تـــاريخ المغـــول، ص ٢٦٠ ؛ عمـــر، تاريخ إيران، ص ٢٠٨ .

(٤) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٤٠٦ ؛ الهمذاني، جامع التواريخ، مج/ ج٢/ ص ١٨٤-ص١٨٧ ص١٨٧ ؛ أبو الفداء، المختصر، ج٢/ ص ٣٦٨ ؛ القزويني، تاريخ كزبدة، ص ٦٠١ .

(٥) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٧٩ .

(٦) البدليسي، شرفنامة، ج٢/ ص ١٤ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٨٦-ص ١٨٧ .

بايدو في عملية القتل [1] ، وعندما لم يستجب بايدو لهذه المطاليب تحرك جيشه الـــذي أوكـــل قيادته إلى الأمير نوروز نحو اذربيجان ووصلت الأخبار إلى بايدو خان بزحف الجــيش فلـــم يجد بداً من إرسال الأمير طغاجار وغيره من الأمراء علـــى رأس جـــيش لصـــده ، والتقـــى الجمعان يوم الخميس ٥/ رجب (٦٩٤هـ/١٢٩٦م) في ولاية مراغة ، تمكن خلالهـــا جـــيش نوروز من الانتصار على قوات بايدو خان [2] ، الذي لجأ الى المكر والخديعة حيـــث ارســـل رسالة إلى غازان يطلب فيها الصلح حتى لا تقع مذبحة بين أفراد الأسرة الواحـــدة ، فوافـــق غازان على هذا العرض ، والتقى كل من بايدو وغازان كل وسط جمع مـــن قواتـــه وتعانقـــا واتفقا على أن لا يقدم أحد منهما على حشد الجيش ضد الآخر ، وتقرر أيضاً أن يترك بايـــدو خان لغازان كرمان والعراق وإقليم فارس التي كانت تقع في نطاق حكمه منذ عهـــد ارغـــون خان وعوائد تلك المدن ترسل إلى غازان وان يتم تتويج بايدو مرة أخرى [3] ، وعلى الـــرغم من عقد هذه الاتفاقية بين غازان وبايدوخان إلاّ أنّ كلا الطرفين كان يتحين الفرص للإيقـــاع بالطرف الآخر ، وفي تلك الأثناء وصلت قوات من بغداد لمساعدة بايدوخان فازداد قوة ورأى أنّ الوقت أصبح مناسباً للهجوم على غازان وبدا يتلكأ بتقسيم الممالك لأنه كان ينـــوي إيقـــاع غازان بفخ من خلال إقامة حفل يدعى فيه غازان وقواده يتم خلالها القـــبض علـــى غـــازان وأتباعه فأحس غازان بأن هناك فخ وانتابه الخوف من كثرة قوات بايدوخان ، وقرر العـــودة ليلاً إلى زنجان تاركاً الأمير نوروز وعدداً من أمرائه في مخيم بايدو للحصول على مرســـوم حكومتي العراق وفارس ولما طالب غازان نواب بايدو خان بتســـليم عوائـــد تلـــك المنـــاطق رفضوا الأوامر ، عند ذلك أرسل غازان برسالة إلى بايدو خان يخبره بما جـــرى ، فـــاظهر بايدو تملقاً لغازان وأمر بإرسال عوائد إقليم فارس لغازان ، بعد ذلك قام بايـــدوخان بـــالقبض

---

(١) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٨٣ .

(٢) إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٦٣ .

(٣) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٦٠٣ ؛ القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، أخبار الدول وآثار الأُوَل في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، ص ٣٨٧ .

على نوروز والامراء واودعهم في السجن ولم يتمكن بالوعد والوعيد من تاليبهم على غازان[1].

في تلك الاثناء لجأ نوروز الى الخداع وتظاهر لبايدوخان بالموافقة على الانضمام الى جانبه حتى يطلق سراحه واقسم لبايدوخان بأنه سيقبض على غازان ويكبله بالأغلال فاطمئن له بايدوخان ووثق به ، وأرسله إلى غازان ففرح غازان بقدومهم وسرد عليه نوروز الأخبار عن بايدوخان وقواده [2].

بدأت الدلائل كلها تشير إلى عجز بايدوخان وضعف موقفه ، وأن دولته زائلة لا محالة وهنا يظهر الدور الكبير الذي لعبه صدرالدين في وصول غازان إلى الحكم حيث كان صدرجهان من الأمراء الناقمين على بايدو خان لأنه عزله من الوزارة وولى جمال الدين الدستجرداني [3] محله وولى صدرجهان في منصب لا يليق حتى بأقل واحد من كتّابه [4].

بدأ صدر الدين الزنجاني العمل من جانبه من خلال تحريض الأمير طغاجار على الغدر ببايدوخان والانضمام إلى غازان ، كذلك اتفقت كلمته مع أخيه قطب جهان وابن عمه قوام الملك على خذلان بايدوخان ونصرة غازان [5].

بعد ذلك استطاع صدر الدين الزنجاني من الهرب من العاصمة تبريز واتصل بالأمير غازان في ٧ شوال سنة (٦٩٤هـ/١٢٩٤م) واظهر لغازان الوفاء والطاعة وأكد له رغبة جميع أهالي العراق في الانضواء تحت لوائه ، وقال له : ((لقد حان الوقت كي تضع قدمك في الركاب وتداهم بايدو))[6] وفي تلك الأثناء كان غازان قد دخل في الدين الإسلامي بفضل

---

(١) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٤٠٨-ص ٤٠٩ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢٣٥- ص ٢٣٦ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٦٣ .

(٢) أبو الفداء، المختصر، ٣٦٨/٢ ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٥/ ص ٥٤٧ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٦٣- ص ٢٦٤ .

(٣) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٢٨٤ ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٩٠ .

(٤) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٦٨ ؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص ٧٧ .

(٥) الصياد، مؤرخ المغول، ص ٧٧ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢٣٩ .

(٦) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٣١٧ .

جهود وزيره الأمير نوروز [1] فقال له صدر الدين ((لو أنّ أمير العالم ينفض عن نفسه الطاهرة أقوال الواشين ، ويتوكل على الله – بعد هزيمة العدو والاستيلاء على العرش وينوي السعي والاجتهاد من اجل تقوية الدين المحمدي ، ورعاية شئون الأمة الإسلامية ... ويجعل الأوقاف التي قررها السلاطين محفوظة ومصونة ... ويعيد أملاك الطائفة التي قتلت إلى أولادهم ... وان لا يدمي قلوب هؤلاء المساكين بالتصرف بأملاكهم)) مقابل ذلك يقوم صدرالدين باصطحاب الأمير نوروز على رأس جيش للانقضاض على بايدوخان عن طريق جيلان ويقوم كذلك باستمالة الأمير طغاجار وبقية الأمراء إلى جانب غازان ، عند ذلك وافق غازان على هذا العرض وكتب تعهداً لصدرالدين بأن يوليه الوزارة [2].

كان انضمام صدرالدين إلى غازان عاملاً مشجعاً على خوض غمار المعركة فقد قوي موقفه واصبح واثق من النصر على عدوه وبدأت قوات غازان بالتحرك والقي القبض على كل من واجههم في الطريق وزجهم في السجون ، من ناحية أخرى أرسل صدرالدين بجاسوس إلى الأمير طغاجار يطلب منه التخلي عن بايدوخان ، ويدبر الأمر للالتحاق بجيش غازان ليلاً ، وفعلاً تخلى الأمير طغاجار عن بايدوخان وارتحل مع طائفة من الأمراء وانضم إلى نوروز فلما علم بايدوخان نبأ رحيل الأمير طغاجار مع عدد كبير من الأمراء والجنود وانضموا إلى صفوف الأعداء ، اعتراه اليأس والخوف والفزع بأنه سيخسر المعركة أمام قوات غازان واضطر إلى الفرار هو وجنوده قبل أن يشتبكوا في معركة [3].

ثم اتجه بايدوخان إلى اوجان ومرند قاصداً جورجيا ، إلاّ أنّ الأمير نوروز أسرع وراءه وألقى القبض عليه وأرسل رسولاً إلى غازان يبلغة نبأ أسر بايدو خان وانه في طريقه إليه في حراسة مشددة مكونة من مائتي فارس ، فسر غازان بسماع الخبر ، وأمر بقتل بايدوخان في ليلة الأربعاء ٢٣ من شهر ذي الحجة سنة (٦٩٤هـ/١٢٩٤م) [4] وقد علق

---

(١) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٣١٧ ؛ الذهبي، دول الإسلام، ١٩٦/٢ ؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ٢٨٢/٣ ؛ البدليسي، شرفنامة، ١٥/٢ .

(٢) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٦٨- ص ٣٦٩ ؛ الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٣٢٢ .

(٣) إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٦٥- ص ٢٦٦ ؛ الأمين، المغول، ص ٢٨٢ .

(٤) أبو الفداء، المختصر، ٣٦٩/٢ ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٥/ ٥٤٧ ؛ عاشور، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول، ص ١٣١ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢٤١- ٢٤٢ .

خواندمير عن حادثة قتل بايدوخان فقال: ((من الكأس الطافح تجرع الشراب الذي سبق أن أذاقه كيخاتوخان))[1] وكذلك قتل الأمراء المشتركين معه ودخل العاصمة تبريز بعظمة ومهابة وجلس على عرش الايلخانية سنة (٦٩٤هـ/١٢٩٤م)[2].

ثالثا: صراع الوزير صدرالدين الزنجاني مع أمير الأمراء نوروز والقضاء عليه:

بعد ان جلس غازان على عرش الايلخانية ودخل تبريز في العاشر من ذي الحجة سنة (٦٩٤هـ/١٢٩٤م)[3] أعلن ان الدين الإسلامي ديناً رسمياً للدولة ونظم الشرائع الدينية ، ونشر العدل ، وكف أيدي الأمراء والأعيان عن ظلم الرعية ، وكذلك أمر بتخريب الكنائس ومعابد اليهود والزرادشت ومعابد الأوثان وتحويل الكنائس إلى مساجد في كافة أنحاء الدولة [4] ، وألزم اليهود والنصارى بلبس زي خاص بهم ، وأشار إلى ذلك ابن الفوطي فقال : ((وأمر بإلزام أهل الذمة الغيار ، فكانت علامة النصارى شد الزنار في أوساطهم واليهود خرقة صفراء في عمائمهم واستمروا على ذلك شهوراً ثم أزيل بمجرد تسلط العوام عليهم وطمع الجهّال فيهم))[5].

بعد ذلك شرع غازان خان في تنظيم شئون وتوزيع المناصب على الأشخاص الذين أوصلوه إلى منصب الايلخانية وفي مقدمتهم الأمير نوروز [6] ، الذي ولاه منصب أمير

---

(1) خواندمير، حبيب السير، مج١/ ج٣/ ١٤٠ .

(2) أبو الفداء، المختصر، ٣٦٩/٢ ؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٨٣ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٦٩ .

(3) الحوادث الجامعة، ص ٤٨٣ ؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ٨/ ص١٩١ ؛ القرماني، أخبار الدول، ص ٢٩٧ .

(4) ارنولد، توماس، الخلافة الإسلامية حتى أواخر العهد العثماني، ترجمة: حسين حيدر اللبناني، دار العزاوي للطباعة والنشر، ط٢، بغداد، ١٩٦١، ص ٧٨ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ٣٦٨/١ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٦٧ ؛ بدر، مصطفى طه، مغول إيران بين المسيحية والإسلام، دار الفكر العربي، ص ٣٦ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٩٢ ؛ سرور، دولة بني قلاوون، ص ١٧٥ .

(5) الحوادث الجامعة، ص ٤٨٣.

(6) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٣٩١ .

الأمراء ، وفوضه الرقابة العامة على شئون الإمبراطورية [١] ، كما أعطاه غازان خان صلاحية تغيير شكل التمغا [٢] فيصبح مستديراً بعد أن كان مربعاً ، وكتب عليه عبارة ((بسم الله الرحمن الرحيم)) في بداية الرسائل والفرمانات ، وهكذا أصبح غازان خان يعمل كل ما يشير به الأمير نوروز [٣].

وفي نفس الوقت اتسع نفوذ صدر الدين الزنجاني في ذلك الوقت فاصدر غازان خان امرا بتوليته منصب الوزارة وكانت هذه المرة الثانية التي يتولى بها صدر الدين الزنجاني هذا المنصب ، الأولى في عهد كيخاتوخان والثانية في عهد غازان خان نتيجة جهوده الكبيرة في سبيل وصول غازان إلى عرش الايلخانية وبعد أن وعده غازان خان بذلك [٤].

وما أن تولى غازان خان الحكم حتى توالت الثورات عليه من اجل الاستيلاء على العرش ، مما أدى بغازان خان إلى التخلص من كل أمير يشك في ولائه ومنهم الأمير طغاجار أقوى الأمراء سطوة وكان غازان خان قد عينه قائداً للجيش في بلاد الروم وخشي أن يقوم بثورة تطيح به فأرسل ورائه من يقتله [٥] ، ثم شرع غازان خان في تأديب معارضيه ، ومنهم الإفرنج اكبر أبناء كيخاتوخان الذي اعتقله ثم عفا عنه وتوكان بن بايدوخان الذي ازداد نفوذه في كرجستان فقضي عليه وقتل هو والأمراء الذين سعوا لقتل كيخاتخان [٦] ، كما قتل غازان خان في شهر واحد ما لا يقل عن خمسة أمراء من أمراء المغول و ٣٧ شخصاً من حكامهم المنتشرين في أقاليم بلاد فارس ، ومن ابرز هؤلاء الأمراء سوكاي بن يشموت حفيد هولاكو وبرلا وارسلان اوغول حفيد جوجي بن جنكيز خان [٧].

---

(١) أبو الفداء، المختصر، ٣٦٩/٢ ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٥٤٧/٥ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢٨٠ .

(٢) التمغا: كلمة مغولية تعني الختم الأحمر يختم به الفرمانات ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢٨٠.

(٣) البدليسي، شرفنامة، ١٦/٢ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٦٨ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢٨٠ .

(٤) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٦٨- ص٣٦٩.

(٥) إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٦٨-ص ٢٦٩ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٩٤- ص ١٩٥ .

(٦) الجاف، الوجيز، ص ٣٠٥ .

(٧) خواندمير، حبيب السيرة، مج٣/ ج١/ ٨١ .

كذلك استغل مغول ما وراء النهر عدم وجود قوات ايلخانية كافية في خراسان وقاموا بالإغارة عليها ودمروا المنطقة تماماً وكان يقودهم (اوجاي بن براق خان)) فأعادوا إلى أذهان الناس ما خلفته حملة جنكيز خان من تشرد وسفك للدماء في البلاد ووصلت تلك القوات إلى إقليم مازندان ، واقتربوا من العاصمة تبريز ، فأحاط بهم الأمير نوروز وحاصرهم وقطع المدد عنهم ، وتمكن خلالها من إنزال هزيمة ساحقة بهم ، وأجبرهم على الفرار إلى بلاد ما وراء النهر لا ينوون على شيء [١].

استغل الأمير نوروز الانتصارات الكثيرة التي أحرزها على خصوم غازان لمصالحه الخاصة وبدأ يستبد بالأمور ويصدر القرارات من تلقاء نفسه دون الرجوع لغازان وبدأ يتدخل في أعمال الديوان ، وهنا يبدأ الصراع بينه وبين الوزير صدر الدين الزنجاني وبدأت الخلافات تكثر بينهما ، ومن هنا بدأت سعايات الأمير نوروز للتخلص منه واتهمه أمام غازان خان بأنه يتلاعب بأموال الديوان لحسابه الخاص ، فأعفاه غازان من منصبه وعين محله أحد أعوانه وهو الخواجة جمال الدين الدستجرداني [٢] ، وتلى ذلك تنحية الكثير من إتباع الوزير صدر الدين الزنجاني [٣] ، وفي مقابل ذلك بدأ نوروز بتعيين أقربائه في المناصب العليا في الدولة حيث اسند إدارة شؤون الديوان وإمدادات الجيش لأخيه حاجي بيك ، وترك التصديق على المراسيم وتوقيعها لأخيه الآخر ناصر الدين ساتلمش ، فاحكم بذلك بيده على الشؤون العسكرية والأمور الإدارية في الدولة [٤].

وفي تلك الإثناء حدثت مؤامرة ضد غازان خان فاستغل الأمير نوروز الأمر واتهم الوزير صدر الدين الزنجاني بالتواطؤ مع المتآمرين وشهد عليه أيضاً بعض موظفي الديوان الذين كان الوزير صدر الدين الزنجاني قد قلل تدخلهم في أعمال الديوان لخياناتهم الزائدة ،

---

(١) إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٦٩ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٩٤- ص ١٩٥ .

(٢) خواندمير، دستور الوزراء، ص٣٦٩- ص ٣٧٢ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٦٩ ؛ فهمي، تاريخ الدولة الدولة المغولية، ص ١٩٤- ص ١٩٥ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢٨٠- ص ٢٨١ ؛ بدر، مغول إيران، ص ٣٧ .

(٣) إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٦٩ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٩٤- ص ١٩٥ .

(٤) إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٦٩ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٩٤- ص ١٩٥ .

فصدر الأمر باعتقاله وقتله دون محاكمة [١] ، بعد أن عذبوه وتم تكليف شخصين بتقييده وأخذه إلى إحدى الغابات لتنفيذ العقوبة التي صدرت بحقه ، وفي المصادفة كان الشخصين الذين اقتاداه من الأشخاص الذين سبق أن أكرمهما صدر الدين الزنجاني لذلك ابقوا على حياته ، وفي تلك الأثناء كان الأمير هرقداق [٢] قد فرغ من عمله وعاد إلى المعسكر وسأل عن صدر الدين الزنجاني ، فرووا له ما حصل ، فأسرع هرقداق بإرسال فرسان وأمر حراس صدر الدين بتاجيل قتله الى الصباح ، عندئذ استطاع الأمير هرقداق بإقناع غازان ببراءة صدر الدين الزنجاني مما نسب اليه [٣] ، وفي الصباح عرضت على غازان خان قائمة بأسماء المتمردين ولم يكن اسم الوزير صدر الدين الزنجاني من بينهم فاصدر غازان خان أمراً بالعفو عنه ولم يكتف بذلك بل اصدر أمراً بإسناد منصب الوزارة إلى صدر الدين الزنجاني [٤] وكانت هذه المرة الثالثة التي يتولى فيها الوزارة بعد أن تم إقصاء الوزير الدستجرداني وتم هذا التغيير على خلاف رغبة الأمير نوروز الذي كان على خلاف دائم مع صدر الدين الزنجاني ، فنفهم من هذا الكلام أنّ نفوذ الأمير نوروز لم يعد كالسابق وكان هذا إيذاناً بنهايته كما سنرى.

بعد عودة صدر الدين الزنجاني إلى الوزارة مرة أخرى ، صمم على الانتقام لنفسه من الأمير نوروز ، نتيجة لمواقفه السابقة ووشايته [٥] ضده تلك التي أدت إلى عزله من منصبه بل كادت أن تودي بحياته لولا تدخل الأمير هرقداق الذي أنقذه من هلاك محقق [٦] ، وكان مما ساعد صدر الدين الزنجاني في القضاء على الأمير نوروز أنّ الاخير جاء بتصرفات أساءت إلى مكانته لدى غازان خان ومنها:

حدوث نفور بينه وبين شخصية مغولية يدعى (نورين آفا) من قبيلة قيات وهذه الشخصية كانت موضع ثقة وسر غازان خان وكان غازان خان يعتمد عليه في كثير من

---

(١) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٦٩ ؛ طقوش، تاريخ المغول العظام، ص ٢٧٠ .

(٢) هرقداق: أحد قادة غازان.

(٣) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧٠- ص ٣٧١ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٦٩ .

(٤) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧١ .

(٥) فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٩٦ .

(٦) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧١ .

الأمور ، كما كانت له سلطة كبيرة في خراسان ومازندان وكان (اويداتاي) أخو الأمير نوروز تابعاً له وينظر إليه نظرة احتقار وازدراء ، فشكاه إلى أخيه نوروز ، فتولد النفور بين الاثنين ، ثم تصادف أن ثار بعض المتمردين في خراسان فألقى الأمير نوروز التبعة على عاتق نورين آفا واتهمه بعدم الاكتراث والتقاعس [١] ووجه إليه نقداً بحضور أتباعه مما أدى إلى أضعاف شأن الأمير نوروز لدى غازان خان.

ثم تصادف أن ترك الأمير نوروز خراسان بسبب مرض زوجته حيث ذهب لعيادتها في وقت غير مناسب ، فأرسل غازان خان رسولاً إلى الأمير نوروز لكي يعود سريعاً إلى خراسان لكن الأمير نوروز لم يستجب لطلبه لأن زوجته كانت مريضة ولابد من زيارتها ، فأثار رفض الأمير نوروز امتعاض غازان خان وجعله يحقد على الأمير نوروز ، ومما زاد الطين بلة أنّ الأمراء حرضوا غازان خان بعدم السماح للأمير نوروز بالذهاب إلى خراسان حتى لا يفكر في اثارة الفتن والقلاقل وإعلان الثورة عليه ولكنه لم ينصت إليهم وترك الأمور تجري حتى يحين الوقت المناسب [٢].

جاءت الفرصة المناسبة التي تمكن خلالها صدر الدين الزنجاني الإيقاع بالأمير نوروز من خلال الاتهامات التي بدأت توجه إليه بأنه يراسل سلاطين مصر [٣] من خلال اتهام إرساله أحد التجار ويدعى علم الدين قيصر إلى الملك المنصور محمد سلطان المماليك في مصر والشام فاستغل صدر الدين الزنجاني هذه الاتهامات الموجهة ضد الأمير نوروز وأراد أن يشفي غليله منه فاتفق هو وأخوه قطب جهان على تزوير رسائل على لسان الأمير نوروز وأخيه حاجي بيك: تفيد أنه على الرغم من اعتناق غازان خان الإسلام فإن أمرائه لم ينالوا هذا الشرف بعد ، وان الفرصة مواتية لكي يشن السلطان المنصور محمد حملة على إيران لاجتثاث جذور الكفر وان الامير نوروز وأخويه حاجي بيك ولكزي مستعدان لمساعدة

---

(١) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦٠٤ .

(٢) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦٠٤ .

(٣) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦٠٤ ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٥/ ٥٤٧ ؛ البدليسي، شرفنامة، ١٦/٢ .

الجيش المصري وفتح أبواب إيران لسلطان المماليك واعتلاء العرش الايلخاني [١] ، ثم قـام صدر الدين الزنجاني بالتعاون مع أخيه قطب جهان بإيداع تلك الرسائل المزورة مع سـبعين ثوباً هدية ضمن متاع علم الدين قيصر عندما دعوه للشراب والسكر [٢] ، فتم إلقـاء القـبض عليه ووجدوا الرسائل في متاعه وتم التحقيق معه ، وأثناء التحقيق قام بتبرئة سـاحة الأميـر نوروز إلاّ أنّ غازان خان استثقل وطأة الدكتاتورية لدى الأمير نوروز وغضب عليه كثيـراً ولم ينصت إلى كلام علم الدين قيصر وأمر بضربه حتى الموت ، وكذلك أمر باستئصال شأفة أسرة الأمير نوروز فتم قتل أخوه حاجي بيك ولكزي وسالتمش بدون محاكمة [٣] كمـا امـر بمعاقبة أقربائه وأبنائه وإخوته الثمانية أينما كانوا ، ثم استدعى غازان خـان أخيـه خدابنـدة وقائده قتلغ شاه وعدد من القادة وأمرهم بالتوجه إلى خراسان وإلقاء القـبض علـى الأميـر نوروز [٤].

وصلت الأخبار إلى الأمير نوروز بقرار غازان خان فما كان منه إلاّ أنّه فر إلى هراة بعد أن انفض اتباعه من حوله واحتمى بحاكمها فخر الدين كرت عم زوجته وكـان لنـوروز أفضال عليه ويطلب منه إمدادات ، وبعد أربعة أيام وصلت الحملة إلى هرة بقيادة متلغ شـاه ومعه ٧٠ ألف فارس وحاصر المدينة ، وطالب فخر الدين بتسليم الأمير نوروز ، فوجد فخر الدين أنّ الأمور قد تأزمت ، وأن حياته باتت مهددة وخشي عاقبة الأمور ، فقبض على الأمير نوروز وأرسله بكل بساطة مكبلاً بالأغلال إلى قتلغ شاه فأمر هذا بقده نصـفين فـي ٢٢ ذي القعدة سنة (٦٩٦هـ/١٢٩٦م) وأرسل رأسه إلى غازان خان [٥].

---

(١) إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٧١ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٩٦ .

(٢) إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٧١ .

(٣) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦٠٤ ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٥٤٨/٥ .

(٤) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦٠٤ ؛ ابن الفوطي، الحـوادث الجامعـة، ص ٤٨٣– ص ٤٨٤ ؛ إقبـال، تاريخ المغول، ص ٢٧٢ .

(٥) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٤٩٢، ص ٤٩٣ ؛ المنصور الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٣١٨ ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٥٤٨/٥ ؛ القرماني، أخبار الدول، ص ٢٨٧ ؛ إقبال، تـاريخ المغـول، ص ٢٧٢ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٩٧ .

وهكذا تخلص الوزير صدر الدين الزنجاني من اكبر منافس له على الساحة السياسية المغولية وتنفس الصعداء ولكن لفترة قصيرة لاستبداده بالسلطة وجملة أمور سيأتي تفصيلها لاحقاً.

رابعاً: نكبة الوزير صدر الدين الزنجاني تفتح الطريق أمام رشيد الدين الهمذاني لتقلد منصب الوزارة (٦٩٧هـ-١٢٩٧م) :

اتسع نفوذ الوزير صدر الدين الزنجاني بعد مقتل أمير الأمراء نوروز وصار موضعاً لعطف غازان إلى أن جاء دوره هو الآخر ليلاقي نفس المصير حيث لم يتمتع بالسلطة لأكثر من سنة [١] ، ذلك بأنه اتهم باستغلال نفوذه وتوزيعه وظائف الدولة على غير مستحقيها [٢] ، بالإضافة إلى قيامه بأعمال لم يرضَ عنها غازان خان ومنها:

ففي جمادى الآخرة سنة (٦٩٧هـ/١٢٩٧م) اتهم جماعة من عمال الديوان وأمراء غازان [٣] منهم قطب الدين الشيرازي ومعين الدين الخراساني والوزير صدر الدين الزنجاني باختلاس أموال الدولة والتصرف بها تصرفاً غير شرعي فدنت مكانته لدى غازان خان [٤] ، ولما كان غرماء الوزير صدر الدين الزنجاني يريدون التخلص منه ، فاستغلوا الصداقة والمودة التي كانت تربطه برشيد الدين الذي كان موضعاً لثقة غازان خان وكثيراً ما كان يتناقش معه حول الدين الإسلامي وأصبح مقرباً جداً إليه ، فحاول هؤلاء الإيقاع بين الاثنين ، فبدأوا برشيد الدين وحاولوا التاثير على أفكاره بكل أنواع النميمة من جهة صدر الدين الزنجاني ورغم كل وسائلهم ليوغروا صدره ضده إلا أنهم لم ينجحوا ، فانتقلوا إلى صدر الدين الزنجاني ونجحوا بوسائلهم في التأثير عليه حيث أوحوا إليه بأن رشيد الدين الهمذاني هو من وشى به أمام غازان خان بأنه هو من اختلس أموال الديوان [٥].

---

(١) القزويني، تاريخ كزيدة، ٥٩٣/١ ؛ خواندمير، حبيب السير، مج٣ / ٨٧ .

(٢) فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ١٩٧ .

(٣) الأمين، المغول ، ص ٢٩٤ ؛ إقبال، تاريخ إيران، ص ٤٦١ .

(٤) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢٨٤ ؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص ٨١ ؛ الأمين، المغول، ص ٢٩٤.

(٥) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ١٢- ١٣ .

بعد أن سمع صدر الدين الزنجاني هذا الكلام توجه على الفور إلى غازان خان في شهر جمادى الأولى من سنة (٦٩٧هـ/١٢٩٧م) وشكا إليه رشيد الدين بحضوره فلما أراد رشيد الدين أن يدافع عن نفسه لم يسمح له غازان خان لأنه أراد أن يبين لصدر الدين الزنجاني مبلغ الجرم الذي ارتكبه باتهام رشيد الدين الذي لم يستخدم معه هذه الأساليب قط [١] ، وقال له: ((لا تدنس لسانك بالرد على هذه المفتريات ، وداوم على إتباع نفس المسلك الذي سلكته حتى هذه الساعة))[٢].

فلما سمع صدر الدين الزنجاني هذا الكلام ندم كثيراً على اتهامه لرشيد الدين بعدما اتضح له براءته وغضب على أولئك الذين اتهموه بالباطل ، لكن بالرغم من ذلك لم يعد يثق برشيد الدين واخذ يدبر له المؤامرات وحاول هذه المرة الإيقاع بينه وبين أمير مغولي يدعى قتلغ شاه الذي سبق أن حدث بينه وبين الوزير صدر الدين الزنجاني نقاش حاد بعد عودة قتلغ شاه من جرجيستان (جورجيا) إذ انَب هذا الأمير الوزير صدر الدين الزنجاني على دخل الإقليم فوجد الوزير صدر الدين الفرصة سانحة للتخلص من الاثنين [٣].

وفي أثناء ذلك كان الأمير (قتلغ شاه) في كرجستان لمحاربة ملكهم فاستغل صدر الدين الزنجاني غيابه وذهب إلى غازان خان واخبره ان الامير قتلغ شاه وعماله تسببوا في خراب ولاية كرجستان [٤] وأنهم يسيئون استخدام سلطتهم ونسب إليهم أعمال القتل والسلب والتعدي ، فلما عاد الأمير قتلغ شاه وقابل غازان خان فذكر له الشكاوي المقدمة ضده [٥] وعاتبه إلى حد أنه لم يدع فرصة تمر دون أن يظهر فيها لقلتغ شاه سخطه عليه ، فرأى قتلغ شاه أن يقابل الوزير صدر الدين الزنجاني ويسأله عمن وشى به لدى غازان خان وأوغر صدره إلى هذا الحد ، فأجابه صدر الدين أنّ الطبيب رشيد الدين هو الذي وشى به لدى غازان خان ، فلما خرج قتلغ شاه من عند غازان خان التقى صدفة برشيد الدين فعاتبه على

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ١٣.

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ١٣ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٧٣ ؛ الأمين، المغول، ص ٢٩٤ .

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ١٣ .

(٤) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢٨٤ ؛ الصياد، مؤرخ المغول،؟ ص ٨١ .

(٥) الأمين، المغول، ص ٢٩٤ ؛ إقبال، تاريخ إيران، ص ٤٦١ .

سلوكه تجاهه وقال له: ((لقد عشنا دائماً معاً على أحسن حال من المودة ، ولم يحدث بيننا مـــا يمكن أن يغضب أحداً منا ضد الآخر ، فلماذا سعيت إلى هلاكي لدى السلطان))[١].

تعجب رشيد الدين من هذا الكلام ونفى عن نفسه التهمة وأجابه قائلاً: ((انه لم ير منه ما يمكن أن يكون موضعاً للشكوى ، وأنه لذلك لم يفكر مطلقاً في اتهامه أمام الســلطان)) ثــم أضاف قائلاً: ((لابد أن تقول لي من الذي أبلغك هذا الخبر وإلاّ أبلغت السلطان)) ولكن قتلــغ شاه رفض الإفصاح عن اسم الشخص الذي وشى به [٢] ، فما كان من رشيد الــدين إلاّ أنّــه ذهب إلى غازان خان وقص عليه قصته فأمر غازان خان باستدعاء قتلغ شاه واجبــره علــى ذكر اسم الشخص الذي نسب إليه هذه الوشاية كذباً فاعترف قتلغ شاه بأن الوزير صدر الدين الزنجاني ، فاشتد غضب غازان خان وصاح قائلاً: ((لقد عملت كل ما في وسعي لأعلم هــذا الرجل إلزام السكينة والكف عن السعاية ، ولكنه غير قابل للإصلاح))[٣] ، وصدرت الأوامر بالقبض على الوزير صدر الدين الزنجاني وأحيل للمحاكمة في يوم الأربعاء ١٧رجــب ســنة (٦٩٧هــ/١٢٩٧م) [٤] ، ثم أمر غازان خان أن يضع قتلغ شاه حداً لحياته فقــام قتلــغ شــاه بشطره نصفين في ٢١ رجب سنة (٦٩٧هــ/١٢٩٧م) ، ثم اعدم أخوه قطب الدين بعد شــهر من قتل أخيه في تبريز من السنة نفسها كما قتل بعض أقاربه ولاذ البعض الآخــر بــالفرار ، وبذلك انتهت حياة صدر الدين الزنجاني الذي كان إلى جانب ذكائه وأدبه وكرمه رجلاً طموحاً يهوى الفتن والقلاقل [٥] ، ويقول رشيد الدين عنه: ((إنه قد أجهد نفسه كثيراً في ســبيل رفــع شأنه ، وأثار كثيراً من الفتن والقلاقل ، فلما وصل إلى بغيته ، لم يتمتع طويلاً))[٦].

وهكذا كان غازان خان يقوم بضرب اقرب المقربين إليه من أعوانه وممن ساعدوه في إصلاحاته إذا ما أحس بأن نفوذهم قد أصبح يشكل خطراً عليه وعلى سلطته.

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ١٣- ١٤ ؛ إقبال، تاريخ إيران، ص ٤٦٢ .

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ١٤ .

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ١٤ .

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ١٥ ؛ أما خواندمير والبدليسي فــيجعلان وفاتــه فــي ســنة ٦٩٩هــ، دستور الوزراء، ص ٣٧١ ؛ شرفنامة، ١٧/٢ .

(٥) إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٧٣ ؛ الأمين، المغول، ص ٢٩٤ .

(٦) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢٨٦ نقلاً عن الهمذاني، تاريخ مبارك غازان، ص ١٢٠ .

بعد مقتل الوزير صدر الدين الزنجاني جاءت الفرصة سانحة فتحت الطريــق امــام رشيد الدين الهمذاني لينتقل من مهنة الطب الى منصب الوزارة حيث اختاره غــازان ليتقلــد المنصب الاول في الدولة وعينه وزيراً له في ٣ من ذي الحجة سنة (٦٩٧هــــ/١٢٩٧م) [١] وكان رشيد الدين كما يقول عنه خواندمير: ((يتصف بفطنة ارسطو وحكمــة افلاطــون))[٢] وكان قبل توليه الوزارة ملماً بعدة علوم الى جانب الطب [٣] منها علوم الهندسة والميتافيزيقيــا ، كما كان يحيط احاطة كاملة بشؤون الزراعة ، بالاضافة الى هذا كان يتفقه في مسائل الدين الاسلامي ، ولقد ساعده على الاحاطة بتلك الثقافات معرفته لعدة لغات منها الفارسية والعربية والعبرية والمغولية والتركية والصينية [٤].

بالإضافة الى ذلك كان رشــيد الــدين سياســي بــارع محنــك وقــد تــولى هــذا المنصب عن جدارة واستحقاق واصبحت الفرص امامه مهيأة ليلعــب دوراً هامــاً فــي ادارة الدولة اذ استمر في منصب الوزارة بعهد ثلاثة من ايلخانات المغول وهو غــازان خــان (٦٩٤-٧٠٣هــ)/(١٢٩٤-١٣٠٣م) واوجايتوخان (٧٠٣-٧١٦هــ)/(١٣٠٣-١٣١٦م) وابو سعيد خان (٧١٦-٧٣٦هــ)/(١٣١٦-١٣٣٦م) حتى وفاته سنة (٧٣٦هــ/١٣٣٦م) [٥].

خامسا: سعد الدين الساوجي يشارك رشيد الدين بأعباء الوزارة على عهد غازان خان:

نتيجة لتوسع الدولة ، وجد غازان ان وزيراً واحداً لا يكــفِ لإدارة دولتــه المتســعة الأرجاء ، كما أنه أحس بوطأة استبداد الوزراء والأمراء بالسلطة وتدخلهم في كــل شــيء ،

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ١٢ ؛ خواندمير، دســتور الــوزراء، ص ٣٧٥ ؛ البدليســي، شرفنامة، ١٧/٢ ؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ٣١٤/٣ .

(٢) دستور الوزراء، ص ٣٧٣ .

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ١١ ؛ الذهبي، دول الإسلام، ٢٢٥/٢ ؛ ابن حجر العســقلاني، شهاب الدين أحمد، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سعيد جــاد الحــق، دار الكتــب الحديثة، مصر، ١٩٦٦، ج٣، ص ٣١٤ .

(٤) الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٠٦ .

(٥) الصياد، مؤرخ المغول، ص ٨٤ .

منهم الأمير نوروز الذي كان يتدخل في كل صغيرة وكبيرة ، كذلك الـوزير صـدر الـدين الزنجاني الذي استبد بسلطته ، فتخلص منهم عن طريق إعدامهم [1].

وقد فكر غازان خان في ان يعهد بمنصب الوزارة إلى اثنين بدلاً من واحد لكي يكون كل منهما رقيباً على عمل الاخر فبذلك يأمن استبداد الوزير بالسلطة اذا ما ترك وحده يصرف شؤون الدولة ، وكذلك لكي يخفف من الأعباء الملقاة على عاتق الوزير [2].

لقد أحس غازان خان ان هذا الامر ضرباً من الاصلاح ولكنه عقد الامور اكثر مـن ذي قبل ، لأنه لم يعد لكل وزير اختصاص يمارس بمقتضاه عملاً محدداً ، يكون مسؤولاً عنه كما كان سابقاً ، فأدى هذا الامر الى اثارة النزاع بين الوزيرين اذ اصبح يتهم كل منهما الاخر لالقاء التبعية عليه والوشاية به عند الايلخان وليظهر نفسه بمظهر المدافع عن الايلخان وينـال عنده الحضوة والسلطة.

لقد اصبح هذا النظام يشكل خطراً على الدولة لأنه ادى الى اشاعة الفرقة والانقسـام بين المرؤوسين فكل فريق يناصر وزير ويتحزب له وكثيراً ما يقع المرؤوسون فـي الحـرج ويكونون عرضة لغضب هذا او ذاك ، وادى الى انتشار الرشوة فكان الوزير يدفع الرشـاوي الى الامراء لاسكات المناوئين لسياسته ، كما كان الايلخان يطلب الاموال في أي وقـت مـن الوزير فاذا تلكأ كانت عليه الطامة الكبرى ويتهم بالقصور وتبديد الاموال والاختلاس ثم يقـاد الى المقصلة [3].

لقد اشرك غازان خان سعد الدين الساوجي الوزير رشيد الدين الهمذاني في منصـب الوزارة سنة (٦٩٧هـ/١٢٩٧م) [4] ، اما الروايات الاخرى فتفيد بانهما اشتركا في الـوزارة سنة (٦٩٩هـ/١٢٩٩م) [5] ، واشار البدليسـي فـي هـذا الصـدد فـي حـوادث سـنة (٦٩٩هـ/١٢٩٩م) بقوله: ((تكرم السلطان فاسند منصب الوزارة والنيابة الكبـرى ونظـارة

---

(١) الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٢ .

(٢) الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٢١- ص ١٢٢ ؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص ٢١٢ .

(٣) الصياد مؤرخ المغول، ص ١٢٢ .

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج١/ص ١٥ .

(٥) ميرخواند، روضة الصفا، ٥/ ص ١٣٤ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧١ ؛ البدليسي، شـرفنامة، ٢/ ص ١٧ .

الديوان الى كل من الخواجة رشيد الحق والدنيا والدين الذي كان في مقدمة علماء زمانه وحكمائه ، ولاسيما في فني الحكمة والطب ، والخواجة سعد الدين الساوجي صاحب اليد الطولى في فني الاستيفاء والسياقة ، وقد انتظمت الأمور بفضل هذين الوزيرين المدبرين))(١).

بدأ الوزيران بممارسة أعمالهما في الوزارة في صفاء ومحبة ولكن اسم الوزير رشيد الدين كان يتقدم دائماً على الوزير سعد الدين والاعمال تبرم بناءً على أمره (٢) ، كما أنه ساهم بشكل كبير في كل الإصلاحات الاقتصادية والثقافية والعمرانية والاجتماعية التي تمت في عهد غازان خان (٣) الذي يعود الفضل الاكبر لمكانته الى وجود وزير كفوء مثل رشيد الدين الهمذاني الذي وفق في إدارة ممالك غازان المترامية الأطراف بكل حكمة وتدبير وعمل على إصلاح الشؤون المالية للدولة وعمل على رفاهية الرعية وأحسن الى العلماء والفقهاء (٤).

وقد بلغ من نفوذ الوزير رشيد الدين الهمذاني أنه كان يرافق غازان خان في حملاته ليقوم بتحرير المنشورات والفرمانات باللغة العربية ولقد لقي الوزير رشيد الدين الرعاية والعطف من غازان خان الذي لم يكتفِ باعطاء رشيد الدين جميع تكاليف الرحلة الى بلاد الشام من الخزانة العامة بل منحه دابة من إسطبله الخاص ، ولم يدخر وسعاً في ان يسبغ عليه على عطف وتقدير في شتى المناسبات (٥).

كما ساهم رشيد الدين في إنقاذ مدينة الرحبة الواقعة على الجانب الأيمن لنهر الفرات بين البوكمال وديرالزور (٦) ، عندما أراد غازان خان محاصرتها أثناء حملته على بلاد الشام (٧٠٠هـ/١٣٠٠م) وكاد أن يحصل القتال لولا أن أمر غازان خان الوزيرين رشيد الدين وسعد الدين بأن ينصحوا المدافعين عن القلعة بالتسليم حقناً لدمائهم فاتفق الرأي على أن يكتب رشيد الدين منشوراً باللغة العربية ، يحث الأهالي على التسليم ، فاغتنم رشيد الدين هذه الفرصة وكتب منشوراً برهن فيه على فصاحته وبلاغته ، حيث كتبه باللغة العربية على لسان

---

(١) شرفنامة، ٢/ ص ١٧- ص ١٨ .

(٢) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٥٩٣ .

(٣) الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٢٦ .

(٤) إقبال، تاريخ المغول، ص ٢٨٦ .

(٥) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢٩٦- ص ٢٩٧ .

(٦) المنصور الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٣٦٧ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢٩٧ .

غازان خان يبين فيه أنّ المغول أرسلوا عدة رسائل إلى المصريين للوصول إلى حل سلمي إلاّ أنّ المصريين ردوا بردود غير ودية [1] ، فلذلك فإن المغول مضطرون إلى السير لاكتساح بلاد الشام ليس لأنهم يحقدون على الشاميين ويطلبون من أهل الرحبة التسليم وعدم المقاومة ، حرصاً على مصلحتهم وحقناً لدمائهم ، ثم أرسل رشيد الدين الكتاب مع أحد الرسل إلى الرحبة ، فلما وصل المنشور اثر بشكل كبير في نفوس أهل الرحبة وأعيانها وأرادوا مقابلة غازان خان وطلب الأمان منه لمدينتهم ، فوافق غازان خان على طلبهم وكتب لهم الأمان [2]، فبذلك أنقذ الوزير رشيد الدين أهل الرحبة من هلاك محقق.

سادساً: محاولة قطب الدين الشيرازي الإيقاع بالوزيرين عند غازان خان:

دبرت هذه المؤامرة ضد الوزيرين رشيد الدين الهمذاني وسعد الدين الساوجي نظراً لما كانا يتمتعان به من ثقة كبيرة لدى غازان خان ، وحدثت بعد عودة غازان خان من حملته على الشام سنة (٧٠٠هـ/١٣٠٠م) من قبل بعض رجالات القصر منهم القاضي صائب الدين السمناني ، وشيخ المشايخ محمود ومعين الدين غانجي وعلى رأسهم السيد قطب الدين الشيرازي [3] المحرك للمؤامرة ، وقد كان كل هؤلاء يشغلون مناصب كبيرة في الدولة لكنهم طامعين وسولت لهم أنفسهم أنّ باستطاعتهم الوصول إلى أسمى من مناصبهم ورأوا في الوزير رشيد الدين وسعد الدين عقبة في سبيل تحقيق آمالهم فحاولوا الإيقاع بهم أمام غازان خان [4].

وفي أثناء ذلك نجح قطب الدين الشيرازي في المثول أمام غازان خان وادعى بأنه محايد واظهر لغازان خان نزاهته وحماسته ثم عرض عليه بأن يكشف له باسمه واسم زملائه مؤامرات الوزيرين ضد الدولة ، وأنهما يستغلان سلطتهما لمصالحهم ، وبعد أن أكمل حديثه لم يجنِ شيئاً لأن غازان خان لم يكن بالشخص الذي يسهل خداعه بتلك الحيل المصطنعة ،

---

(١) المنصور الدوادار، زبدة الفكرة، ص ٣٦٩ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢٩٨ .

(٢) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢٩٨ .

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ١٦ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧٢ .

(٤) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٣٢٤ – ص ٣٢٥ ؛ الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ١٦ .

وعرف أنّ الدافع من ذلك هو الحسد والطمع ولم يعر تلك الأكاذيب أذنـــاً صـــاغية [١] ، فـــي الوقت نفسه لم يكتفِ بالإعراض عن تلك الوشاية بل اصدر أمراً بـــالقبض علـــى المتـــآمرين وحكم على اثنين منهم بالإعدام [٢] ، ولم يستطع شيخ المشايخ محمود أن ينجو بحياتـــه لـــولا شفاعة بولقان خاتون زوجة غازان خان ولكن غازان قرر طرده من القصر [٣].

وهكذا فشلت المؤامرة التي دبرت ضد الوزيرين رشيد الدين وسعد الدين واستمرا في ممارسة عملهما في الوزارة إلى بعد وفاة غازان خان وتولي اولجايتو (خدابندة) العرش ســـنة (٧٠٣هـ/١٣٠٣م) .

سابعاً: استمرار الوزيرين رشيد الدين وسعد الدين في منصب الوزارة على عهد اولجـــايتو خان والوشايات ضدهم:

بعد وفاة غازان خان سنة (٧٠٣هـ/١٣٠٣م) تولى بعده عرش الايلخانية أخوه محمد خدابندة (اولجايتو)[٤] ، وبدأ بممارسة سلطاته واصدر الفرمانات التـــي نصـــت علـــى إقامـــة الشرائع الإسلامية ، وإبقاء النظم والقوانين التي وضعها غازان خان ، ثم بدا بتوزيع المناصب على رجالات الدولة فمنح قتلغ شاه المقام الأول بين رجال مملكته ووضع تحت أمرته جملـــة من الأمراء [٥] ، كما أبقى على الوزيرين رشيد الدين الهمذاني وسعد الـــدين الســـاوجي فـــي منصبهما كما كانا في عهد أخيه غازان خان [٦] ، واستمرا في تصريف شئون الدولة ، ولكن

---

(١) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٣٢٤- ص ٣٢٥ ؛ الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ١٦ .

(٢) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧٢.

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ١٦ .

(٤) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٤٦٧- ص ٥٥٧ ؛ ابرو، ذيل جامع، ص ٦٣- ص ١٢٠ ؛ ميرخوانـــد، روضة الصفا، ج٥، ص ٤٢٤ ، ص ٤٧١ ؛ خواندمير، حبيب السير، مج١/ ج٣/ ص ١٩١- ص ١٩٧.

(٥) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٣٤٩ .

(٦) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ١٨ ؛ ابرو، ذيـــل جـــامع، ص ٤٥٢ ؛ خوانـــدمير، دســـتور الوزراء، ص ٣٧٥ ؛ إقبال، تاريخ إيران، ص ٤٧٦ .

الصدارة كانت لرشيد الدين إذ كانت مكانته ترتفع يوماً بعد يوم والدليل على ذلك أنّ اولجايتوخان سنة (٧٠٣هـ/١٣٠٣م)[١] في زواجه من ابنة الأمير قتلغ شاه اختار الوزير رشيد الدين ليكون وكيلاً عنهما ، كما عهد اولجايتو خان لرشيد الدين بتأديب ابنته ولكنها ماتت في سن مبكرة [٢].

وعندما قرر اولجايتو استكمال مشروع أخيه في بناء مدينة السلطانية شمال إقليم بلاد الجبل القريبة من زنجان سنة (٧٠٤هـ/١٣٠٤م)[٣] والتي استمر بناءها عشر سنوات ، وقد كانت من المشاريع الضخمة التي بذل فيها الوزير رشيد الدين كل جهوده ، فاختاره اولجايتو خان ليكون نائباً عنه في هذه المؤسسات السلطانية وبنى محلة على نفقته الخاصة كانت تشتمل على ألف منزل ومسجد غاية في الفخامة سماها الربع الرشيدي [٤].

وما أن حلت سنة (٧٠٥هـ/١٣٠٥م) حتى عادت الوشايات ضد الوزيرين رشيد الدين وسعد الدين وكانت بدافع الحسد والغيرة حيث كان المحرك لها نائب الأمير هرقداق (تاج الدين كور سرخسي) الذي اتهم الوزيرين باختلاس أموال الدولة والتصرف بها تصرفاً غير شرعي كما اتهمهما بعدم الأمانة في ضبط حسابات الدولة وقام بتوصيل الأمر إلى اولجايتو الذي أمر بدوره بإجراء تحقيق عاجل للنظر في التهمة المنسوبة إلى الوزيرين رشيد الدين وسعد الدين وكلف قائده قتلغ شاه بإجراء هذا التحقيق ، فنفذ قتلغ شاه الأمر ، وأسفر التحقيق عن تبرئة ساحة الوزيرين ، فابلغ قتلغ شاه اولجايتو خان بالأمر ونتيجة لذلك صار الوزيران مرة أخرى موضعاً لعطف اولجايتوخان وتمتعا برعايته ، كما اصدر اولجايتو أوامره بإيقاع أقصى العقوبات على هؤلاء الوشاة فأمر بقتل بعضهم وضرب البعض الآخر بالهراوة فكان لتبرئة الوزيرين اثر طيب في نفوس الناس ومدعاة لسرورهم [٥].

وفي العام نفسه وفد عاهل إقليم جيلان إلى اولجايتو خان ليطلب منه العفو عن حركة تمرده عليه وهنا يأتي دور الوزير رشيد الدين ويثبت مكانته وكلمته المسموعة لدى اولجايتو

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ١٨ ؛ ابرو، ذيل جامع، ص ٤٥٢ .

(٢) الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٤١ .

(٣) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٤١٧ ؛ ابرو، ذيل جامع، ص ٦٧ .

(٤) ابرو، ذيل جامع، ص ٦٩ .

(٥) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٤٧٨ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٣١١ .

حيث توسط لهذا العاهل عند اولجايتو خان ، وحازت وساطته النجاح المأمول منه ، كما أنــه في سنة (٧٠٦هـ-١٣٠٦م)[١] حدثت جملة أمور دلت على ارتفاع مكانة رشــيد الــدين لــدى اولجايتو التي أخذت تزداد يوماً بعد يوم ، فعندما قرر اولجايتو محاربة إقليم جيلان [٢] تــرك زوجاته وحاشيته أمانة عند رشيد الدين ، وتصادف أن كانت إحدى زوجاته المفضلة وتــدعى (الدرمش) مريضة فطلب من رشيد الدين البقاء إلى جانبها [٣] ، حتى تتماثل بالشفاء وأن يعمل كل ما في وسعه للحاق بالجيش ، كما حدث في سنة (٧٠٧هـ/١٣٠٧م) أن أنقذ الوزير رشيد الدين الهمذاني اثنين من كبار علماء الشافعية من هلاك محقق وهما جمال الدين العاقولي الذي اشتهر في المدينة كلها بفقهه كما كان أستاذاً في مدرسة المستنصرية بفقه الشافعية أما الآخــر فهو الشيخ شهاب الدين السهروردي ، حيث اتهم هذان العالمان لدى اولجــايتو خــان بتهمــة التجسس ضد الدولة المغولية لصالح سلطان مصر وكانت هذه من اخطر التهم التي إذا وجهت إلى شخص فإنها تقضي نحبه ، لكن بالرغم من ذلك نجح الوزير رشيد الدين بمجهوداته مــن إقناع اولجايتوخان ببراءتهما ، وبفضله رجع المتهمان إلى موطنهما بعد أن ثبتت براءتهما [٤].

وهكذا استمرت مكانة رشيد الدين على هذا المنوال حتى اتخذ اولجايتوخان المــذهب الشيعي وجعله المذهب الرسمي للدولة [٥] حيث اثر ذلك علــى مكانــة رشــيد الــدين لــدى اولجايتوخان لأن رشيد الدين كان من إتباع المذهب الشافعي الذي كان على خلاف مع المذهب الشيعي فأصبحت سلطته الدينية محدودة ، كما تعرض مركزه في الــوزارة لخطــر منافســه الوزير سعد الدين الساوجي الذي وجد في ذلك فرصة لإثبات وجوده لأنه كان وزيراً اسميا ،

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٢٠ ؛ البدليسي، شرفنامة، ٢/٢٠ .

(٢) جيلان: أو الجبل يحدها من الشرق إقليم مازندران، ومن الغرب موقان، ومن الجنوب عراق العجم، ومن الشمال بحر طبرستان، لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس، مطبعــة الرابطــة، بغداد، ١٩٥٤م، ص ٤٨٠.

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٢٠ – ص ٢١ .

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٢٢ .

(٥) خواندمير، حبيب السير، مج١/ج٣/ ص ١٩١ ؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٢/ ص ١١٦ ؛ إقبال، تاريخ إيران، ص ٤٧٩ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٣١٥ ؛ الجاف، الوجيز، ٢/ ص ٣٠٦ ؛ الاعظمــي، علي ظريف، مختصر تاريخ بغداد، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٢٦م، ص ١٤٢ ؛ كوك، ريجــارد، بغــداد مدينة السلام، نقله إلى العربية: فؤاد جميل ومصطفى جواد، ط١ (بغداد، ١٩٦٢م)، ج١/ ص ٢٥٤ .

فاستغل فرصة تشيع اولجايتوخان وصار مقرباً إلى محيط الشيعة الذين عملوا علـــى نصـــرته ومؤازرته ، فعندئذ شعر بأنه أقوى من الوزير رشيد الدين وحاول الاستفادة من ذلك الوضـــع ليقوم بالتخلص من منافسه ويتمتع بالسلطة وحده ، ولكنه في سبيل الوصول إلى هدفـــه دفـــع حياته ثمناً لمؤامراته وسوء تصرفه [1] ، وهذا ما سنبحثه في المبحث الآتي.

ثامناً: سعد الدين الساوجي يذهب ضحية استبداده بالسلطة والتطاول على رشيد الدين وعلي شاه الجيلاني:

عادت الخلافات بين الوزيرين رشيد الدين وسعد الدين والتي كانت قد ابتدأت منـــذ أن اعتنق اولجايتو خان المذهب الشيعي ولكنها في هذه المرة أخذت منحاً آخر ودخل فيها شخص ثالث وهو علي شاه الجيلاني ، وأودت في نهايتها بحياة الوزير سعد الدين الساوجي.

كانت العلاقة القائمة بين الوزيرين رشيد الدين وسعد الدين منذ أن اشتركا في منصب الوزارة على عهد غازان قائمة على أساس الصداقة والمودة والصفاء استمرت ثلاث عشـــرة سنة [2] لم تحدث فيها أية خلافات بينهما ، واستمرا بإدارة الأمور الملكية وتدبير مهامها على أحسن وجه في عهد الايلخانين غـــازان واولجـــايتو خـــان [3] ، لكـــن مـــا أن حلـــت ســـنة (٧١١هـ/١٣١١م) [4] ، حتى بدا الوزير سعد الدين يقوم بأعمال وتصرفات كانت بعيدة عن الحكمة فعجلت بسقوطه ، إضافة إلى ظهور رجل على الساحة السياسية المغولية يتميز بالفطنة والذكاء والمكر والدهاء طامحاً إلى المناصب العليا وهذا الرجل كان أمياً لا يعـــرف القـــراءة والكتابة [5] ، يدعى علي شاه الجيلاني الذي كان يعمل دلالاً للمجوهرات والأحجار الكريمـــة والنسيج وبعض السلع الأخرى [6] التي ساعدته على معرفة الكثير من الشخصـــيات الهامـــة

---

(١) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٣٧٤ ؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص ٣٠٢ ؛ الصياد، مـــؤرخ المغول، ص ١٤٩ .

(٢) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٤٧٤ ؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٥٠ .

(٣) الأمين، المغول، ص ٣٥٩ .

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج١/ ص ٣٩ ؛ البدليسي، شرفنامة، ج٢/ ص٢٢- ص ٢٣ .

(٥) القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص ١٢٠ .

(٦) إقبال، تاريخ إيران، ص ٤٨١ ؛ الأمين، المغول، ص ٣٥٩ .

واكتساب مودتها عن طريق تعامله التجاري [١] ، وتمكن من صداقة احد القواد الخمسة الذين كانوا يملكون زمام الأمور في عهد اولجايتوخان ، وهو الأمير (حسن الكوركاني) الجد الأعلى للجلائريين [٢] ، وبهذه الطريقة استطاع الوصول إلى قلب اولجايتوخان وحريم قصره [٣] ، وتمتع بعطفه ورعايته ، وتمكن علي شاه بدهائه من توطيد علاقته باولجايتوخان يوماً بعد يوم ، ونال ثقته بسرعة كبيرة ولكنه لم يكن يدري أنّ اولجايتوخان سوف يعهد إليه بالكثير من الأمور [٤].

أثار ظهور علي شاه الجيلاني في البلاط الايلخاني وتقربه الشديد من اولجايتو مخاوف الوزير سعد الدين الساوجي وبدأ ينظر إليه كمنافس له ، وبدا الشك والريبة تدخل إلى قلبه فحاول إبعاده عن القصر بأية وسيلة ، وفي سبيل تحقيق ذلك أرسله إلى بغداد لإدارة مصانعها ، فوافق علي شاه وذهب إلى بغداد وهناك أدار مصانعها ، لأنه وجد في ذلك فرصة سانحة لإظهار كفاءته ومواهبه ، فحقق في ذلك نجاحاً طيباً وادخل الكثير من التحسينات على عمل هذه المصانع وطور صناعة المنسوجات بشكل لم يعهد من قبل ، كما أنه استغل فرصة زيارة اولجايتوخان له وقدم له هدايا فاخرة أثارت إعجاب اولجايتوخان منها أقمشة أعدها بنفسه بلغت من النفاسة حداً حير اولجايتوخان كما قدم إليه سفينة فاخرة لفتت الأنظار بزخرفتها وفخامتها وزينتها كذلك قدم إليه بعض الأشياء الثمينة ، فسر بذلك اولجايتوخان لهذه العناية وازداد عطفه لعلي شاه ورفع قدره أكثر من ذي قبل [٥] ، إذ أصبح من ملازمي اولجايتوخان ورافق العسكر السلطاني ، وقام عندما وصل مدينة السلطانية بتشييد أبنية على نفقته الخاصة كانت

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٣٨ ؛ البدليسي، شرفنامة، ج٢/ ص ٢٢- ٢٣ .

(٢) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٣٧٥ .

(٣) ابرو، ذيل جامع، ص ٤١- ص ٤٢ .

(٤) الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٥٠ .

(٥) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٢٨ – ص ٢٩ ؛ إقبال، تاريخ إيران، ص ٤٨١ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٣١٨ ؛ الأمين، المغول، ص ٣٥٩- ص ٣٦٠ .

غاية في الروعة وأقام سوقاً لم يرَ في العاصمة مثله [١] فراق ذلك لاولجايتوخان ورضي عن علي شاه وصار موضعاً لعطفه .

نظر سعد الدين الساوجي إلى صعود نجم علي شاه نظرة قلق وأثار في نفسه حقداً وحسداً ، خاصة وأن مكانته قد انخفضت ولم تعد كالسابق لدى اولجايتوخان ، فبدأ بتحقير علي شاه ، ويظهر له عدم الاحترام ، ولا يلق عليه التحية أثناء حضوره ويتحين الفرصة لكي يبدي له أنه لا يكن له أي اهتمام أو احترام وكان يعلل موقفه بأن علي شاه في منزلة ابنه فلا يجوز احترامه أو القيام له [٢].

لكن رشيد الدين كان على العكس من ذلك تصرف تصرفاً مغايراً مع علي شاه لما راى عطف اولجايتوخان تجاهه ، فأخذ يعامله بكل احترام وتعظيم ويتحين الفرص لاطرائه وكيل المدح له ، فكان هذا التصرف تجاه علي شاه يروق لاولجايتوخان [٣] ، وقد كان رشيد الدين يهدف في هذا التصرف ارضاء اولجايتوخان لأنه يعرف ان علي شاه اصبح من المقربين له ومن حاشيته ، وايضا اراد رشيد الدين بتصرفه هذا الكيد لسعد الدين الساوجي الذي بدأ يطفي سلطانه منذ ان اعتنق اولجايتوخان المذهب الشيعي فاراد ان يحد من هذا السلطان [٤].

اثار هذا التصرف من لدن رشيد الدين غضب سعد الدين الساوجي وتكدرت العلاقة بينهما وازدادت سوءاً يوماً بعد يوم ، ووصل الجفاء بينهما الى درجة ان سعد الدين الساوجي أخذ يسعى لايذاء رشيد الدين وحمل جماعة من رجاله على معارضته ومضايقته [٥] ، وقد بلغ بلغ من احترام اولجايتوخان لعلي شاه وتقديره له انه كان يحضر جميع الدعوات التي يوجهها اليه ، وفي احدى هذه المجالس التي اقامها علي شاه ، والتي حضرها اولجايتوخان وجميع

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٢٩ ؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٥١ ؛ كوك، بغداد، ص ٢٥٥ .

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١ ص ٢٩ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٣١٨- ص ٣١٩ .

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١ ص ٢٩ ؛ إقبال، تاريخ إيران، ص ٤٨٢ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٣١٩ .

(٤) الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٥٢ ؛ الصياد، الشرق الاسلامي، ص ٣٧٦ .

(٥) الامين، المغول، ص ٣٦٠ .

الأمراء والعظماء والوزيرين رشيد الدين وسعد الدين الساوجي وكانت غاية في الروعة والفخامة ، وفي أثناء الحفل وزع علي شاه الهدايا الثمينة على اولجايتوخان والوزراء والأمراء ، فأعطى الوزير رشيد الدين ثلاثة أثواب قيمة ، قبل ان يعطي الوزير سعد الدين هديته ، فغضب سعد الدين لهذا الأمر واعتقد بأنه أُهين في هذا الحفل ، وفي الوقت ذاته كان سعد الدين قد سكر ولعبت الخمر برأسه ، فبدأ بإهانة علي شاه أمام الحاضرين واتهمه بسوء السلوك وتكلم معه بحدة عن السبب الذي دعاه إلى تقديم هدية رشيد الدين قبل أن تقدم إليه هديته ، ولم يكتفِ بهذا القدر بل تحدث عن رشيد الدين بأنواع السباب والشتائم [١] ، واتهمه بأنه يهودي ومزور وكيميائي وساحر وكاذب ومدلس ومشعوذ وغيرها من الألفاظ النابية التي كان يقصد بها تجريح رشيد الدين امام جميع الحاضرين، وهكذا انقلبت الصداقة إلى عداوة شديدة وتوسعت هوة الشقاق بين الوزيرين ، لكن بالرغم من تجاوز سعد الدين في الحفل على رشيد الدين فإن الاخير لم يتفوه بأي كلمة والتزم الصمت ولم يجارِ زميله في سبابه وشتائمه [٢] ، لأنه كان راسخ العلم قوي الاحتمال ، وفي الوقت نفسه اكتشف مبلغ العداوة التي يكنها له سعد الدين ، وأخذ الاحتياطات اللازمة للتخلص من مكائده.

خرج سعد الدين من الحفل واكتسب عداوة رشيد الدين وغضب اولجايتوخان الذي تألم كثيراً بسبب الاهانة التي وجهت الى وزيره رشيد الدين وحقد على سعد الدين لأنه تصرف تصرفاً بعيداً عن الكياسة [٣] ، وفي الوقت نفسه سر لموقف رشيد الدين لأنه التزم الصمت فازداد حباً له وعطفاً عليه [٤].

وبعد هذه التصرفات من قبل سعد الدين ، بدأت اخطائه تزداد يوماً بعد يوم وعجل هو بنهايته ، حيث طالبه اولجايتوخان بجمع ضرائب احدى الولايات ولكنه ماطل ولما اصر عليه اولجايتوخان بدفع الاموال قام باتهام الامراء بتبديد الاموال وانه لو ترك له حرية التصرف

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١ ص ٣٠ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٣٧٦ ؛ طقوش، تاريخ المغول، ص ٣١٩ .

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١ ص ٢٩ ؛ الأمين، المغول، ص ٣٦٠ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٣١٩.

(٣) الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٥٣ .

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١ ص ٣٠ .

لتمكن من جمع الاموال المطلوبة ، فكانت اجابته سبباً في سخط اولجايتوخان عليـه وكـذلك سخط الامراء ، اضافة الى ذلك قام سعد الدين بتحقير الامير لقمان الذي كان يحظى بعطـف اولجايتوخان واحترامه ، فكان سعد الدين يحط من قدره ولا يلتفت اليه ويوشي به دائماً امـام اولجايتوخان ، فأدى بتصرف هذا الى ازدياد غضب اولجايتوخان عليه ، وكذلك كـان سـعد الدين لا يلتفت الى شكاوي الفقراء والمظلومين ، وسيطر عليه غروره وكبريائه الى درجة انه كان يتضايق من الرد على التحية [١] ، كذلك كان سعد الدين لا يسدي خدمة لأحـد الا عـن طريق دفع الرشوة ، فعم الفساد وكسدت الاسواق ، ثم بعد فترة عاد اولجايتوخان وطالبه بدفع ٥٠٠ تومان واحتج هذه المرة بأنه لا يستطيع دفع هذا المبلغ الكبير طالمـا ان الـبلاد تحـت تصرف الخواتين والامراء والوزير رشيد الدين ، ولم يكتفِ بعدم الدفع بل طالب اولجايتوخان بأن يكف ايدي هؤلاء ، ويترك له حرية التصرف في كل الامور [٢].

اضافة الى ذلك كان عمال الوزير سعد الدين يتقاضون ما يقـرب مـن ٣,٠٠٠,٠٠٠ مليون دينار من عوائد الخزانة لنفقاتهم الخاصة ، ثم حدث ان تخاصم اتباع سعد الدين واتهـم كل منهم الاخر بأنه يختلس اموال الدولة فخشي سعد الـدين ان تصـل تلـك الانبـاء الـى اولجايتوخان والوزير رشيد الدين ، فكلف أحد علماء الشيعة ويدعى تاج الدين الاوجي ونقيب الأشراف أن يصلح بينهم فكان سعد الدين ينوي الكيد لرشيد الدين وبعد ان صالحهم تاج الدين جعلهم يقسمون أن لا يعودوا إلى الخلاف والتنازع ولا يخوضوا في هذا الحديث الذي يتعلـق بأموال الدولة ، إلاّ إنهما ذهبا إلى رشيد الدين واطلعاه على حقيقة الموقـف ، فكانـت هـذه الفرصة لرشيد الدين ليوقع بخصمه سعد الدين ، وذهب على الفور الى اولجايتوخان واخبـره بالأمر فاستشاط اولجايتوخان غضباً وتذكر كل أخطاء سعد الدين وأراد أن يضع نهاية لـه ، وعند وصوله إلى بغداد اصدر أوامره بالقبض على سعد الدين وأتباعه وصدر الأمر بإعدامه

---

(١) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٣٧٧– ص ٣٧٨ ؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٥٣ .

(٢) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٣٧٨ ؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٥٤ .

وإعدام شركائه في العاشر من شوال سنة (٧١١هـ/١٣١١م) في قرية محـول [١] ، وهكـذا وضع سعد الدين نهايته بيده نتيجة تصرفاته البعيدة عن الكياسة وتطاوله على الأمراء والوزراء.

تاسعاً: فشل مؤامرة نجيب الدولة اليهودي للإطاحة برشيد الدين:

بعد إعدام الوزير سعد الدين الساوجي بفترة قصيرة دبرت مؤامرة أخرى ضد الوزير رشيد الدين الهمذاني ، وكان المحرك لها رجل يهودي غادر، كثير الطمع، يدعى نجيب الدولة حاول الإيقاع برشيد الدين ويورده مورد الهلاك ، حيث طلب منه رجل يهودي آخر أن يكتب له رسالة بالخط العبري باسم رشيد الدين ، ويقوم بإرسالها إلى بائع جواهر يقوم مقام المندوب وكان بائع الجواهر يتمتع بنفوذ كبير لدى أحد الأمراء العظام ويدعى الأمير (لؤلؤ) وفي هـذه الرسالة يطلب الوزير رشيد الدين من هذا الرجل أن يقوم بقتل اولجايتوخان عن طريـق دس السم له ، ويؤكد نجيب الدولة لهذا الرجل اليهودي أنه لن يصاب بأي أذى إذا ما اكتشف أمره، وقد دبر الأمر بحيث وقعت الرسالة بيد الأمير (لؤلؤ) والذي أوصلها بدوره إلى اولجايتوخـان الذي استشاط غضباً عندما وقف على ما جاء بها ، وأمر باستدعاء رشـيد الـدين وإجـراء التحقيق معه ، فأنكر رشيد الدين في التحقيق معه بأنه ليس له أي علاقـة بهـذه الرسـالة ، وطالب اولجايتوخان بأن يعطيه مهلة ثلاثة أيام ليجري التحقيقات اللازمة للكشف عن مـدبري المؤامرة ، فاستدعى رشيد الدين نائبه قتلغ بوقا ، وأمره بالتحدث إلى الأمير محمـود نائـب الوزير سعد الدين الساوجي الذي كانت تربطه بقتلغ بوقا صداقة قوية ، فاستفسر منـه عـن حقيقة هذه الرسالة فاستفسر الأمير محمود وأكد لقتلغ بوقا أنّ الذي كتب هذه الرسـالة رجـل يهودي سبق أن حرضه على ذلك الوزير سعد الدين ونجيب الدولة للإيقاع برشيد الدين وبعـد انتهاء المهلة مثل رشيد الدين أمام اولجايتوخان واخبره بالقصة وأحضر له الأميـر محمـود الذي أدلى بشهادته ، كما استدعى اليهودي الذي اعترف في حضرة اولجايتوخان بأنه هو من

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١ ص ٣٠ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧٣ ؛ البدليسي، شرفنامة، ٢/ ص ٢٢– ص ٢٣ ؛ الأمين، المغول، ص ٣٦١ ؛ اقبال، تاريخ المغول، ص ٣١٩ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ٢١٧ .

كتب الرسالة بتحريض من نجيب الدولة [1] ، ويقال أنّ زوجة الوزير سعد الـدين السـاوجي كانت من المحرضين لهذه المؤامرة بعد أن قتل زوجها وكانت تتحين الفرص وتترقب حصول الخلل لتثأر من الوزير رشيد الدين الهمذاني فاستخدمت كل السبل بجد ونشاط ، وكـان جـل همها أن ترى ما يحصل بين الوزراء من نفور وتصادم واستعانت بـاليهودي نجيـب الـدين للإيقاع برشيد الدين ، وهكذا بعد أن اطلع اولجايتوخان على الحقيقة اقتنع ببراءة رشيد الـدين وأمر بقتل اليهودي ، ونفذ فيه القتل في الحال ثم بعد ذلك نفذ الأمر أيضاً بابن أخت الـوزير سعد الدين والأمير محمد رزكر وبعض الأمراء الآخرين ، لشهادة نجيب الدولة بتورطهم معه في تلك المؤامرة الشنيعة [2].

عاشراً: تقلد علي شاه الجيلاني لمنصب الوزارة بسعاية الوزير رشيد الدين الهمذاني:

شغر مكان الوزير سعد الدين الساوجي في منصب الوزارة بعد مقتله ، فأشار الوزير رشيد الدين الهمذاني على اولجايتوخان بأن يعين علي شاه شريكاً له في الوزارة [3] ورشـيد الدين بعمله هذا ظن أنّ علي شاه سوف لن ينازعه السلطان ويكون مجرد وزير اسمي لكنـه كان مخطئاً في حكمه عليه.

عمل الوزيران في الوزارة واشترط اوجايتوخان على علي شاه أن يطيع أوامر رشيد الدين وان يترك الأمور الكلية والجزئية كلها بيده [4] ، ويكتفي بـإدارة شـئون المعـاملات الديوانية [5].

انصرف بعد ذلك الوزير رشيد الدين إلى إصلاح شئون الدولة مستفيداً مـن تمتعـه بالسلطة المطلقة ، فسن قوانين جديدة ، ونظم شئون الدولة ، كما أنه أصلح ما خربه الـوزير

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١ ص ٣٠ – ص ٣١ ؛ الصياد، الشرق الإسـلامي، ص ٣٨٠– ص ٣٨١ ؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٥٦ – ١٥٧ ..

(٢) العزاوي، تاريخ العراق، ج١/ ص ٤٣١ .

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١ ص ٣٠ ؛ الشيرازي، تاريخ وصاف، ٥٤٠ ؛ خوانـدمير، دسـتور الوزراء، ص ٣٧٨ ؛ جوزجاني، ابو عمرو منهاج الدين عثمان بن سراج الدين، طبقات ناصري، تحقيق: عبد الحي حبيبي، ١٣٤٣ هـ.ش ، ص ٦٥٧ ؛ البدليسي، شرفنامة، ٢/ ص ٢٢– ص ٢٣ .

(٤) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦٠٨ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ١/ ٤٣٨ .

(٥) اقبال، تاريخ المغول، ص ٣١٩ ؛ اقبال، تاريخ ايران، ٤٨٢ ؛ الأمين، المغول، ص ٣٦٠ .

سعد الدين ، عن طريق تنظيم أمور الولايات حيث اختار حاكماً أميناً لكل ولاية ، فكان من بين الذين اختارهم لحكم الولايات المؤرخ المشهور حمد الله المستوفي القزويني حيث عينه والياً على ابهروزنجان وكارمين وقزوين [١] ، كما نصب ابنه جلال الدين حاكماً على أصفهان ، واستمر هذا الوضع مدة ثلاثة أعوام حتى سنة (٧١٥هـ/١٣١٥م) حيث بدأت تظهر نوايا الوزير علي شاه الجيلاني الذي كان سياسياً ماكراً عرف كيف يتغلب على رشيد الدين ويورده مورد الهلاك ، ويصبح الوزير الوحيد في الوزارة ويتمتع بالسلطة وحده دون أي منافس وهذا ما سنتحدث عنه على الصفحات التالية.

احد عشر: الصراع على السلطة بين الوزيرين رشيد الدين الهمذاني وعلي شاه الجيلاني على عهد اولجايتوخان:

بدأ النزاع بين الوزيرين رشيد الدين وعلي شاه بعد ان ارتفعت مكانة علي شاه على حساب رشيد الدين فبعدما كان رشيد الدين يتمتع بالنفوذ الاكبر منذ عهد غازان خان وحتى اوائل عهد اولجايتون الى ان بدأت مكانته بالانخفاض بظهور علي شاه الذي شمله اولجايتوخان برعايته حيث يقول خواندمير في هذا الخصوص ((وعاش الوزير رشيد الدين في غاية السعادة والرفعة حتى اخر ايام السلطان غازان ، ولما تولى السلطان محمد خرابندة (اولجايتو) مهام السلطة ، قدم لذلك الوزير العميد شتى انواع الحماية والاهتمام ... وقد قرب السلطان اولجايتوخان في اواخر ايامه الوزير علي شاه كثيراً فأخذ يفصل في بعض الأمور دون علم من الوزير رشيد الدين ...))[٢] ، حتى منعه بمرور الأيام من التدخل في شئون الدولة.

بدأت الخلافات تظهر جلياً عندما أرسل أبو سعيد بن اولجايتوخان رسله لطلب الأموال اللازمة لدفع رواتب الجند ، فلما وصلت الأخبار إلى اولجايتوخان أرسل بدوره إلى الوزيرين وطلب منهما نقوداً لإرسالها لأبي سعيد فكان طلب الأموال سبباً في تأجيج الصراع بين الوزيرين حيث جرى بينهما حواراً ساخناً قال فيه رشيد الدين: ((أنا لم اشترك قط بأي نصيب في حكومة المملكة ولم اشرف على أي فرع من فروع الإدارة ، ولم أضع توقيعي على أي

---

(١) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦٠٨ .

(٢) دستور الوزراء، ص ٣٧٥ .

أمر صادر من السلطان ، ولذلك لا ينبغي أن تطلب النقود مني أنا)) وكان قول رشيد الدين يدل على أنّ علي شاه كان يصرف الشؤون المالية في حين رشيد الدين كان يشرف على شؤون الدولة الأخرى ، فأجابه علي شاه بدوره قائلاً: ((أما أنا فلا املك غير الرداء الذي يغطي جسمي ، ولا استطيع ان ادفع فلساً واحداً ، وإذا كنا أنا وزميلي ، نقتسم إدارة الإمبراطورية ، فلست ادري لماذا انفرد أنا بدفع النقود))[1] فأجاب رشيد الدين وانت وحدك المستحوذ على الخاتم السامي وتقوم بتنفيذ اوامر السلطان ، وتحصل اموال البلاد ، ولكنك تعودت عندما تتأزم الامور ان تدعي الفقر والمسكنة ، مع ان اتباعك كانوا في الايام السابقة لا يملكون شيئاً ، اما الان فيملكون أموالاً طائلة))[2].

اثر هذا كثيراً على رشيد الدين واشعره بالحزن والغضب لأنه ما كان يتصور أنه بعد ان خدم المغول كل هذه المدة وأبلى بلاءاً حسناً وساهم في رقيها وازدهارها ان يأتي شاباً جاهلاً حديث العهد بالسياسة مثل علي شاه ليكون له المرتبة الأولى في تصريف شؤون الدولة[3] ، فرفع شكواه إلى اولجايتوخان للوصول الى حل لهذه المشكلة ، فوضع ثلاث خيارات على أن يختار علي شاه واحداً منها نقلها لنا حافظ ابرو وخواندمير وهذه الشروط هي:

١- أن يترك علي شاه جميع الامور المتعلقة بالوزراء حتى أقوى بالعناية السلطانية وأفرغ من تدبيرها.
٢- أن يتعهد علي شاه بانجاز جميع شؤون الديوان وأتفرغ أنا لعمل حسابات السنوات السابقة.
٣- تقسيم ولايات السلطنة إلى قسمين ويقوم كل منا بالإشراف على قسم منها ونظهر كفاءتنا كل بقدر ما يستطيع [4].

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٤١- ص ٤٢ .
(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٤٢ .
(٣) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٣٩٣ .
(٤) ذيل جامع، ص ١١٨ ؛ دستور الوزراء، ص ٣٧٥- ص ٣٧٦ .

فرد عليه اولجايتوخان بقوله: ((إنّ الوزير رشيد الدين والوزير علي شاه كلاهما رجل كفء ، فرشيد الدين رجل محنك عالم ، وعلي شاه شاب مجد بلا نظير ومصلحة الدولة في أن يقوم الاثنان متفقان بالبت في أمورها على أن ينظر الشيخ للشاب بعين الشفقة والرحمة وينظر الشاب للشيخ بعين التعظيم والاحترام ولا يخرجان عن دائرة الاتفاق))[١].

ولكن رشيد الدين لم يقتنع بالأمر فقرر اولجايتوخان حسماً للنزاع أن يقسم الأقاليم التي تتكون منها الإمبراطورية إلى قسمين فوضع اقليم بلاد الجبل وخوزستان واللور الكبرى والصغرى واقليم فارس وكرمان تحت ادارة رشيد الدين ، ويجعل العراق العربي ودياربكر وإقليم اران وبلاد الروم (آسيا الصغرى) من اختصاص علي شاه ، لكن الاخير اقترح على اولجايتوخان ان يشترك هو ورشيد الدين في الإدارة ، وان يضع الاثنان توقيعهما على الأوامر الصادرة من ديوان السلطان لأنه رأى أنّ من المصلحة ان تكون المسؤولية مشتركة بينهما ، الا ان رشيد الدين رفض هذا الأمر وقال لعلي شاه: ((أنا لا أريد أن اشترك معك في شيء لأنه كلما طلبت منك نقوداً ، احتججت بفقرك المزعوم ، وأنا الذي سأرغم على الدفع))، عندئذ قرر اولجايتوخان بأن يعين لكل من الوزيرين مساعد ، فعيّن علاء الدين محمد نائباً لرشيد الدين كما جعل عز الدين كوهدي مساعداً لعلي شاه ويكون الاثنان تحت رقابة الوزيرين[٢].

وفي تلك الأثناء أصيب رشيد الدين بمرض النقرس طوال فصل الشتاء بحيث ظل أربعة شهور انقطع خلالها من الذهاب إلى الديوان كما أنه لم يستطع التردد الى البلاط فكانت تلك فرصة علي شاه للإيقاع برشيد الدين عن طريق الوشايات المغرضة ضده وفي هذه المدة كان يتوالى للبريد من أبي سعيد يطلب فيها إمداده بالمال ، فكان اولجايتوخان يخاطب في هذا الشأن علي شاه وكان علي شاه يرد عليه بأن الخزانة ليس فيها أموال وأن كل الأموال الحكومية عند رشيد الدين ، فامر اولجايتوخان بإجراء تحقيق عاجل وكلف الامير قتلغ شاه بهذه المهمة ، والذي بدوره شكل لجنة تضم نائبي الوزيرين وتم التحقيق مع عمال علي شاه وهم ظاهر الدين الساوجي ، وفخر الدين أحمد ، وعماد الدين الفلكي وسألوهم عن دخل الدولة

---

(١) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧٦ .

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٤٢ – ص ٤٣ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٣٢١.

لأنهم من كانوا يحصلونها خلال ثلاث سنوات [1] ، فأثبتت التحقيقات ادانتهم وحكم عليهم بدفع مبلغ ثلاثمائة تومان أي ثلاث ملايين دينار ، فأصاب الحكم هلعهم وذهبوا بسرعة الى علـي شاه وقدموا اليه شكاياتهم وطلبوا اليه ان يجد وسيلة لإلغاء الحكم لأن الأمر سوف يخرج مـن ايديهم وأن الكارثة سوف تحل على الجميع ، فما كان من علي شاه الا أنه ذهـب لـيلاً الـى اولجايتوخان ليتشفع لاتباعه في ذلة ومسكنة وقال له ان هؤلاء العمال ليس لهم ذنب في تبديد الاموال وانما انا من تسلمها منهم ، وبدأ علي شاه بالبكاء والتوسل لاولجايتوخان لالغاء الحكم الصادر عليهم فتأثر اولجايتوخان ببكاءه وأمر بإيقاف الحكم الصادر ضدهم وطيب خاطره.

وفي الصباح عندما أراد الأمير ايرنجين تنفيذ الحكم قال له اولجايتوخان ان علي شاه رجل مسكين يجهل القراءة والكتابة وأنه نسي انه تسلم الاموال وأنه استغلها في اغراض شتى لم يعد يتذكرها وطلب الى الامير ايرنجين الغاء تنفيذ الحكم ، فتعجب ايـرنجين مـن كـلام اولجايتوخان وأخبر الامير دوبان بالامر وقال له ان الامور في الامبراطورية قد تغيرت حيث في عهد هولاكو واباقا لم يكن رجل فارسي يجرؤ على الدخول الـى الايلخـان الا بعـد ان يستأذن عدد من الامراء ، اما الان فقد تغيرت الامور كلياً فقد اصبح باستطاعة أحد الفـرس الذهاب إلى الايلخان في منتصف الليل ويطلب منه مقابلة سرية ليهدم أي حكم صادر ، فتكدر الأمير جوبان عند سماعه بالأمر لكن علي شاه استرضاه بالأموال وأقنعه بالتزام الصمت [2].

مرت هذه الامور بسلام على علي شاه إلاّ أنه لم يكف يده للكيد برشيد الدين حيث لـم يمضِ زمن طويل ذهب علي شاه واخبر اولجايتوخان أن رشيد الدين يدعي المرض لكي يبقى في بيته ، ويستخدم الحيل والدسائس للإيقاع بي كما فعل مع سعد الدين ، كما انه اتهم رشـيد الدين واتباعه بالاستيلاء على الاموال الكثيرة وطلب من اولجايتوخان ان يسمح لـه بـاجراء تحقيق لاستجوابهم ، فسمح له اولجايتوخان بإجراء التحقيق ، وبدأ علي شاه بدسائسه حيث اتهم جلال الدين بن رشيد الدين انه يحتفظ بالأموال المخصصة من دخل الامير الجاي كتلج وأنـه

---

(1) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٤٣ ؛ اقبال، تاريخ المغـول، ص ٣٢١ ؛ الصـياد، مـؤرخ المغول، ص ١٦٧ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٣٩٥ .

(2) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٤٣ – ٤٤ ؛ اقبال، تاريخ المغول، ص ٣٢٢ .

بددها لحسابه الخاص [١] ، الا أنه لم يكن يملك دليلاً حتى بعد إجراء التحقيقات ، فكان خذلان علي شاه نقطة رابحة لرشيد الدين فسحب علي شاه اتهامه ، لكنه لـــم يتوقــف عــن توجيـــه الاتهامات ضد رشيد الدين حيث ادخل في روع اولجايتوخان ان رشيد الدين سيتولى لنفسه كل عام على ربع دخل الدولة ، وهو مبلغ ضخم مخصص لنفقة الأميرات وهذه المبالغ ناتجة من غلة الأوقاف الخيرية ، فأثرت كثرة الاتهامات الموجهة ضد رشيد الدين على مكانتـــه لـــدى اولجايتوخان وجعلته يتغير على رشيد الدين ، وعلى النقيض من ذلك ارتفعت مكانة علي شاه بدرجة كبيرة لدى اولجايتو خان وأصبحت له الصدارة في كل الأمور والحل والعقد كله بيده[٢] ، وأما رشيد الدين فقد كان يتولى شؤون الحكم ولكن لا يتدخل في أعمال الوزارة ولا يتـــدخل في الشؤون المالية [٣] ، ولكنه لم يقف مكتوف اليدين بل حاول بكل الطرق إرجـــاع ســـلطاته وذلك عن طريق توطيد علاقته بالأمير (توقماق) أحد كبار المغول فقد حاول رشيد الدين كسبه إلى جانبه عن طريق الهدايا الثمينة وكان توقماق أحد خصوم علي شاه واستطاع هذا بوساطته أن يتشفع لرشيد الدين لدى اولجايتوخان ويحد من غلوائه وأن يجعل الاخير يصدر أمراً إلـــى الوزيرين بإصلاح ذات البين بينهما ، وان يعيشا منذ الآن على وفاق ، فأطاع الوزيران الأمر ونفذا أوامر اولجايتوخان من حيث المظهر على الأقل [٤].

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٤٤- ص ٤٥ ؛ الصياد، الشـــرق الإســـلامي، ، ص ٣٩٦ ، مؤرخ المغول، ص ١٦٨ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ١/ ص ٤٣٨ .

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٤٥ .

(٣) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦٠٩- ص ٦١٠ .

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٤٥ ؛ اقبال، تاريخ المغـــول، ص ٣٢٢ ؛ الصـــياد، الشـــرق الاسلامي، ص ٣٩٧- ص ٣٩٨ ؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٦٩ ؛ العزاوي، تـــاريخ العـــراق، ١/ ٤٣٩ .

الفصل الرابع

دور الوزراء في الصراع على السلطة في عهد أبي سعيد وخلفائه

أولاً: رشيد الدين يذهب ضحية وشاية علي شاه.

أ- تجدد الصراع بين الوزيرين.

ب-علي شاه يوقع بين رشيد الدين وجوبان.

ج- محاكمة رشيد الدين ومقتله.

ثانياً: علي شاه ينجح في تجاوز الدسائس ضده بالهدايا لجوبان.

ثالثاً: الوزير غياث الدين بن علي شاه وصراعه مع أخيه وإقصائه.

رابعاً: وزارة ركن الدين صاين وعزله.

خامساً: الوزير دمشق خواجة ونكبة الجوبانيين.

سادساً: وزارة غياث الدين بن رشيد الدين للايلخان أبي سعيد.

سابعاً: تحكم غياث الدين بالسلطة بعد وفاة أبي سعيد.

أولاً: رشيد الدين يذهب ضحية وشاية علي شاه

أ- تجدد الصراع بين الوزيرين:

توفي اولجايتوخان في شوال من سنة (٧١٦هـ/١٣١٨م) فاستدعى الامراء ولده أبو سعيد إلى مدينة السلطانية ليخلف والده على عرش الايلخانية ، وقد كان يبلغ من العمر ثلاث عشرة سنة ، وابو سعيد قبل توليه منصب الايلخانية كان يحكم بلاد خراسان تحت وصاية الامير سونج ولم يكن يتجاوز عمره آنذاك سبع سنوات [١].

وهكذا سار ابو سعيد الى العاصمة السلطانية بصحبة الأمير سونج ، فخرج الأمراء والوزراء لاستقبالهم وعلى رأسهم الامير جوبان والوزير رشيد الدين وعلي شاه وكبار رجال الدولة ، وقبل ان يصل ابي سعيد الى العاصمة السلطانية ، أراد تعيين الامير سونج بمنصب أمير الأمراء إلا أنّ الامير سونج رفض قبول هذا المنصب [٢] ، متعذراً بان قبول هذا المنصب سوف يبعده عن العاصمة الايلخانية وعن رعايته وعن اسداء النصائح له وأنه لا يمانع ان يكون الامير جوبان بهذا المنصب أي ان يكون امير الامراء ، لذلك اصدر ابو سعيد اوامره بان يتولى الامير جوبان منصب امير الامراء كما كان في عهد ابيه اولجايتوخان ، كما أنه وزع بقية المناصب على الامراء [٣].

اما منصب الوزارة فقد خطط كل من الوزيرين رشيد الدين وعلي شاه لينال الحظوة لدى ابي سعيد عن طريق الاتصال ببعض الامراء وتجنب امراء اخرين وقد بدا بذلك الوزير رشيد الدين وذلك عندما عاد ابو سعيد والامير جوبان الى السلطانية طلب رشيد الدين من ابنه غياث الدين محمد لمقابلتهما لأن علاقته بالامير سونج لم تكن جيدة فحاول بذلك التقرب الى

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٤٥- ٤٦ ؛ أبو الفداء، المختصر، ج٢/ ص ٩٦ ؛ ابن أيبك، أبو بكر عبد الله الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: هالنس روبرت رويمر، (القاهرة: ١٩٦٠)، ج٩، ص ٢٨٩ ؛ آبرو، ذيل جامع، ص ١٢١ – ص ١٢٤ ؛ ميرخواندو، روضة الصفا، ج٥، ص ٤٧٨ ؛ ابونا، تاريخ الكنيسة، ج٣ ، ص ١٨ ؛ الاعظمي، مختصر تاريخ، ص ١٢٣ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ٢٢٠ .

(٢) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٦١٨ ، ص ٦١٩ ، ص ٦٢٠ ؛ القلقشندي، مآثر الأناقة، ج٢ ، ص ١٣٩ ؛ ميرخواند، روضة الصفا، ج٥ ، ص ٤٧٩ ، إقبال، تاريخ إيران، ص ٤٨٦ .

(٣) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٦١٩- ص ٦٢٠ ؛ القلقشندي، مآثر الأناقة، ج٢/ ص ١٣٩ ؛ ميرخواند، روضة الصف، ج٥/ ص ٤٧٩ ؛ اقبال، تاريخ ايران، ص ٤٨٦ .

الامير جوبان أحد اقطاب الدولة المغولية [١] ، كذلك فعل علي شاه الامر نفسه مـع الاميـر جوبان عن طريق التقرب اليه ، ونتيجة لهذا التخطيط من قبل الوزيرين رشيد الدين وعلي شاه ترك منصب الوزارة اليهما ، لكن الحظوة كانت لعلي شاه حيث عهد اليه بالإشراف على مهام اكبر من قبل فلم تكن سلطته تنحصر بالشؤون المالية بل تعدتها الى الاشراف علـى المبـاني العامة[٢] والقصور السلطانية والترسانات والاسطبلات وهذا يعني ان مكانته اصبحت اكبر من مكانة رشيد الدين بكثير ولكن رشيد الدين لم يكن يتضايق من هذا الامر [٣] ، انما كان جـل اهتمامه هو ان يقضي حياته بعيداً عن الدسائس والمؤامرات عن طريق اتخاذ الاحتياطات التي تكفل له بقاءه في هذا المنصب ، وحتى اولاده الذين كانوا يحتلون مناصب هامة في الدولة لم يفكروا في الوقوف ضد عدو والدهم اللدود علي شاه ولكن كل هذه الجهود التي بذلها الـوزير رشيد الدين للتخلص من دسائس الوزير علي شاه ذهبت ادراج الرياح [٤].

ومن الطبيعي ان يحصل هذا الامر بين الوزيرين لأن من يتولى هكذا منصب يسـعى دائماً لأن يكون هو بالمرتبة الاولى لدى الايلخان ويحاول دائماً اقصاء منافسه بـاي طريقـة كانت حتى لو ادى به الامر ان يزيح منافسه عن طريق قتله وهذا ما فعله علي شاه بالضـبط لاحقاً برشيد الدين.

لقد حرص رشيد الدين على توثيق صلاته بالامير جوبان اذ كانت تربطه به صـداقة قوية بالاضافة الى ان رشيد الدين كان يسترضيه بالهدايا الى ان كسب مودتـه وارتـبط بـه بصورة أقوى وأوثق من أي وقت سابق ، وليس هذا فحسب بل ان رشيد الدين استطاع كسب الامير سونج الى جانبه ، والامير سونج والامير جوبان هما اكبـر اقطـاب الامبراطوريـة المغولية والمتحكمين في كل صغيرة وكبيرة في الدولة اضافة الى ذلك نجد ان ابو سعيد خان

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٤٥– ص ٤٦ ؛ اقبال، تـاريخ المغـول، ص ٣٢٤ ؛ تـاريخ ايران، ص ٤٨٦ .

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٤٦ ؛ ميرخواند، روضة الصفا، ٥/ ١٢٤ ؛ فهمـي، تـاريخ الدولة المغولية، ص ٢٢١ .

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٤٦ ؛ ميرخواند، روضة الصفا، ص ١٢٤ ؛ فهمـي، تـاريخ الدولة المغولية، ص ٢٢١ .

(٤) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٤١٣ ؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٧٣ .

اتخذ عبد اللطيف بن رشيد الدين نديماً له وكان يعاونه من قبل عندما كان يتولى امارة خراسان في عهد اولجايتوخان فكان موضع ثقته ، وصار من المقربين اليه ، وكذلك اتخذ ابو سعيد ابراهيم بن رشيد الدين ساقياً له [1] هذا الأمر أدى إلى ازدياد مخاوف الوزير علي شاه من هذه العلاقة لأنه يقدر الضرر الذي يمكن ان يحيق به من ورائها نظراً للعلاقة القوية التي كانت تربط الامير جوبان بالايلخان ابي سعيد ونظراً لسلطاته الواسعة وكونه الرجل الاول في الامبراطورية المغولية ، فأخذ علي شاه يعمل ليلاً ونهاراً في سبيل البحث عن تهمة تبعد رشيد الدين عن طريقه ، لكن جميع محاولاته ذهبت ادراج الرياح ، وازدادت حدة هذه الصراعات بمرور الايام ، واصبح بسببهما موظفي الديوان في حيرة من امرهم فكان كل من الوزيرين يظهر سخطه على هؤلاء الموظفين اذا رأى منهم ميلاً للجانب الاخر ، مما ادى الى اضطراب شؤون الديوان [2] ، وذات يوم ذهب جمع من موظفي الديوان منهم عز الدين الكوهري وضياء الملك وعلاء الدين هندو وعلاء الدين محمد الى رشيد الدين وقالوا له: ((اذا اذنت لنا ، فإننا على استعداد لمهاجمة علي شاه والكشف عن مناوراته وخداعه)) ، ولكن رشيد الدين اظهر ضعفاً واستسلاماً مدفوعاً بطيبته وكرم اخلاقه فلم يكن من رجال السياسة الماكرين في مواجهة خصمه العنيد الذي كان يستغل كل فرصة متاحة للايقاع برشيد الدين ، وهكذا رفض رشيد الدين التعاون مع هؤلاء العمال واجابهم بعد تفكير طويل وقال: ((ان علي شاه شخصية هامة ولا يليق به ان تقدموا ضده شكوى رسمية ولكنني سأحدثه وأحمله على ارضائكم فيما يتعلق بموضوع الشكوى التي حدثتموني عنها الان)) ، فلما سمع العمال هذه الاجابة من لدن رشيد الدين خرجوا من مجلسه وقرروا عقد مجلس فيما بينهم جرت فيه مناقشات اعربوا فيه عن خشيتهم من ان ينقل رشيد الدين هذا الاتهام لعلي شاه وادركوا ان رشيد الدين لم يفعل شيء حيال علي شاه ، فلذلك خافوا على أنفسهم من سخط علي شاه ، فقرروا الانضمام الى

---

(1) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٤٦ – ص ٤٧ ؛ آبرو، ذيل جامع، ص ٧٧ ؛ الأمين، المغول، ص ٣٦٩ .

(2) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٤٦ – ص ٤٧ ؛ آبرو، ذيل جامع، ص ٧٧ ؛ الامين، المغول، ص ٣٦٩ .

جانبه[1] عن طريق كسب وده بالهدايا وبالوقوف إلى جانبه ضد رشيد الدين فرحب بهم علـــي شاه ووزع عليهم الاموال والهدايا [2] ، وهكذا أضاع رشيد الدين هذه الفرصة من يده للتخلص من اكبر منافس له على الساحة السياسية المغولية ، أمّا خصمه علي شاه فإنه استغل الفرصـــة التي جاءته على طبق من ذهب للتخلص من رشيد الدين وينفرد بالسلطة لوحده.

ب- علي شاه يوقع بين رشيد الدين وجوبان:

بعد أن نجح علي شاه في كسب موظفي الديوان الى جانبه ، الذين سبق ان عرضـــوا هذا العرض على رشيد الدين ورفضه فبذلك اصبح علي شاه اكثر قوة مما سبق ، ولم يكتــفِ بذلك بل سعى الى كسب الموظفين الباقين عن طريق الرشاوي والهدايا.

بعد ان اتخذ علي شاه هذه الاجراءات بدأ باتخاذ الخطوات الاخيرة للتخلص من رشيد الدين عن طريق الايقاع بينه وبين الامير جوبان صاحب السلطة الحقيقة فـــي الامبراطوريـــة المغولية والذي كان يشكل العضد لرشيد الدين فاراد علي شاه ان ينهـــي هـــذه العلاقـــة بـــين الطرفين لكي يبقى رشيد الدين وحده يواجه هذه الدسائس ولا يجد من يدافع عنه وبذلك يزيحه عن طريقه [3].

وقد وجد علي شاه ان خير وسيلة لتحقيق مآربه في الايقاع بين رشيد الدين والاميـــر جوبان هو بأن يكسب ود احد كبار حاشية الامير جوبان ويدعى (ابوكبر آقا) الى جانبه عـــن طريق الرشاوي الكثيرة والهدايا الثمينة ، وفعلاً نجح في كسب وده وطلب منه ان يفسد العلاقة بين رشيد الدين والامير جوبان عن طريق الوشايات ، والمعروف عن الامير جوبان سذاجته وانسياقه وراء أي كلام ، بهذه الطريقة نجح (ابوبكر آقا) فكان كل يوم يـــذهب الـــى الاميـــر

---

(1) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٤٧- ص ٤٨ ؛ خواندمير، حبيب الســير، كــج٣/ ج١/ ص ٢٠٠ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧٦ ؛ الأمين، المغول، ص ٣٦٩ ؛ إقبال، تاريخ المغــول، ص ٣٢٥ ؛ تاريخ إيران، ص ٤٨٧ .

(2) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٤٧ – ص ٤٨ ؛ خواندمير، حبيب الســير، مــج٣/ج١/ ص ٢٠٠ ؛ الامين، المغول، ص ٣٦٩ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٣٢٥ ؛ تاريخ إيران، ص ٤٨٧ .

(3) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٤٨- ص ٤٩ ؛ خواندمير، حبيب الســير، مــج٣/ ج١/ ص ٢٠٠ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ١/ ص ٤٥٢ ؛ القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص ٢١٣ ؛ اقبــال، تاريخ إيران ، ص ٤٨٧ .

جوبان ويقدم شكاوي ضد رشيد الدين ويحيك ضده الدسائس والاتهامات ، الى ان اخذت هـذه الاتهامات مكانها بنفس الامير جوبان واثرت بشكل كبير على علاقته مع رشيد الدين ، وادت بالنهاية الى عزل رشيد الدين من منصبه سنة (٧١٧هـ/١٣١٧م)[١].

وبعد مدة قصيرة من عزل رشيد الدين قام بترك العاصمة السلطانية وتوجه الى مدينة تبريز وانعزل عن الحياة الاجتماعية [٢] ، وفي اثناء عزل رشيد الدين كان هناك جملة من الامراء لم يكونوا راضين عن عزله ، منهم الامير سونج الذي كان مريضاً وملازماً الفراش في ذلك الوقت ، وقد كان مصمماً على اعادة رشيد الدين الى منصبه حالما يتماثل للشفاء وحزن من اجل ذلك حزناً شديداً ، وبعد مدة عقد العزم على الذهاب الى بغداد لقضاء الشتاء واعادة رشيد الدين الى منصبه ، ولم يكد يصل الى هناك حتى وافته المنية في الايام الاولى من شهر ذي الحجة سنة (٧١٧هـ/١٣١٧م)[٣].

وهكذا بعد ان انقضت خمسة شهور على هذه القضية كان الامير جوبان في رحلة صيد الى اذربيجان ، فارسل يستدعي رشيد الدين من تبريز وطلب منه ان يصحبه في رحلته ، فكان الامير جوبان شغوف برحلات الصيد وفي اثناء الرحلة تحدث الامير جوبان الى رشيد الدين وقال له: ((ان وجودك في بلاط السلطان مطلوب ولازم لزوم الملح للطعام ، وتدبير شؤون الجيش والرعية بدون الاستعانة برايك الصائب انما هو تدبير خاطئ ولابد لك ان تعود مرة اخرى الى الخدمة تقوم بالبت في اعمال السلطنة)) فأجاب رشيد الدين قائلاً: ((لقد قضيت ايام عمري في الخدمة ، وقد ولى شبابي الان وبدأت استقبل ايام الشيب وانتهى عهد الشباب وعهد التطلع إلى العظمة والسعادة – وضعف غصن آمال الشباب بسبب تقلبات الأيام وهبوب رياحها العاتية ، وما حققته أنا في الوزارة لم يتيسر لغيري ، وقد بلغ الآن ثلاثة عشر من

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ ج١/ ص ٤٨– ص ٤٩ ؛ خواندمير، حبيب السير، مج٣/ ج١/ ص ٢٠٠ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧٦ ؛ الأمين، المغول، ص ٣٦٩– ص ٣٧٠ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ١/ ص ٤٥١ ضمن حوادث سنة ٧١٨هـ الا انه أخطأ عندما ذكر ان علي شاه هو من عزل من منصبه ؛ اقبال، تاريخ المغول، ص ٣٢٥ ؛ وليد، ايران، ص ٧٠.

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج١/ ص ٥٠– ص ٥١ ؛ الجاف، الوجيز، ٢/ ص ٣٠٨ ؛ اقبال، تاريخ المغول، ص ٣٢٥ .

(٣) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٣ ؛ الأمين، المغول، ص ٣٦٩– ص ٣٧٠ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٣٢٥ .

أولادي رشدهم ، والأولى أن يكونوا هم عوضاً في الخدمة ، أمّا أنا فعلي أن أتدارك ما فات ، وعلى سادتي أن يطووا صفحة النسيان على حالي))[1].

وهكذا نجد أنّ رشيد الدين لم تكن له رغبة في العودة لمنصب الوزارة بل كان يرغب أن يقضي البقية الباقية من حياته في هدوء بعيداً عن الدسائس ، ولكن الأمير جوبان ألحّ عليه في العودة لمنصب الوزارة ، فوافق رشيد الدين بعد أن تأثر للفوضى التي حلت بالإدارة بعد عزله وكان يريد أن يقدم علاجاً لهذه المشاكل ، ففرح الأمير جوبان بعودته وغمره بآيات التكريم والتقدير وقال له: ((سأذهب إلى السلطان واخبره إني علمت بالتجربة ، أنه لا يوجد من يماثلك في حكم الإمبراطورية بحكم وجدارة ، وأن الإدارة قد شلت حركتها بعد رحيلك وفقدت رونقها)) ثم أضاف قائلاً: ((انتظرني حتى أعود إليك بالإجازة التي ترجحك إلى مرتبة الوزارة))[2].

وصلت الأخبار إلى علي شاه وأتباعه بعودة عدوهم اللدود رشيد الدين إلى منصب الوزارة فاعتراهم حزن شديد وبدأوا من جديد تدبير المؤامرات التي تكفل لهم القضاء عليه قضاء مبرماً من خلال كسب الأمراء وحاشيتهم بالهدايا والرشاوي وكذلك العودة للاتفاق الذي سبق أن أتفقه مع أحد كبار حاشية الأمير جوبان (ابوبكرآقا) الذي كان يتمتع بمنزلة كبيرة لدى الأمير جوبان ، فوافق على طلبهم وعمل بكل جهده من اجل تأليب الأمير جوبان على رشيد الدين ، فنجح بعمله وجعل الأمير جوبان يفقد عطفه نهائياً على رشيد الدين [3] ، وهكذا كتب رشيد الدين على نفسه الهلاك عندما وافق على العودة إلى منصب الوزارة.

---

(1) الهمذاني، جامع التواريخ، مج2/ ج1/ ص 51- ص 52 ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص 376 ؛ خواندمير، حبيب السير، مج3/ج1/ ص 200 ؛ آبرو، ذيل جامع، ص 127 ؛ الأمين، المغول، ص 370.

(2) الهمذاني، جامع التواريخ، مج2/ ج1/ ص 52 ؛ آبرو، ذيل جامع، ص 127 ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص 377 .

(3) خواندمير، دستور الوزراء، ص 377 ؛ الأمين، المغول، ص 370 ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص 326 ؛ الصياد، مؤرخ المغول، ص 178 ؛ الجاف، الوجيز، 2/ ص 309 ؛ طقوش، تاريخ المغول، العظام، ص 320 .

ج- محاكمة رشيد الدين ومقتله:

لقد كانت موافقة الوزير رشيد الدين للعودة إلى منصب الوزارة بمثابة توقيع على حكم إعدامه ، فالأمير جوبان الذي أصر عليه بالعودة إلى منصبه هو نفسه من تخلى عن رشيد الدين في اخطر الظروف ، وتركه طعماً لطعنات أعدائه.

قدم علي شاه بمساعدة أحد كبار حاشية الأمير جوبان ويدعى (ابوبكر آقا) وبمساعدة عدد من الأمراء حصل اتهام رسمي ضد رشيد الدين إلى أبي سعيد خان لضمان نجاح مؤامرتهم حيث اخبروه أنّ اولجايتوخان في مرضه الأخير الذي انتهى بموته ، نصحه رشيد الدين عمداً باحتساء شراب أدى إلى موته ، وأوحوا إليه أنّ إبراهيم بن رشيد الدين الذي كان يعمل ساقياً لدى اولجايتوخان هو الذي قدم الشراب للاخير بناءاً على اتفاق سابق مع والده ، فلما سمع أبي سعيد هذا الاتهام صدم وغضب غضباً شديداً ، وأمر باستدعاء رشيد الدين إلى القصر للتحقيق معه ومحاكمته ، وقد كان الأمر مدبر إذ شهد اثنان من الأمراء ويدعيان (تاجمق – وحاجي دلقندي) اللذان كانا يعملان لصالح علي شاه بعد أن تقاضيا رشوة منه ليشهد ضد رشيد الدين ، عندها قرر أبي سعيد خان الحكم بالإعدام على رشيد الدين وولده إبراهيم باعتبارهما قاتلي والده اولجايتوخان [1] ثم أخذوهما إلى قرية صغيرة تدعى خشكدر وتقع قرب تبريز فبدأ الجلادون بقتل إبراهيم بن رشيد الدين أمام والده ، وقبل أن ينفذ حكم الإعدام برشيد الدين طلب من جلاده أن ينقل عبارة إلى علي شاه مفادها ((قل لعلي شاه انك اتهمتني بغير ذنب جنيته وسوف يأتي يوم يثأر لي فيه الدهر منك ، وسيكون التفاوت بيني وبينك عبارة عن هذا القدر: هو أنّ قبري قد بلي ، على حين أنّ قبرك يبدو جديداً))[2] ، وما أن أكمل رشيد الدين كلامه حتى تقدم إليه الجلاد ، وقسم جسمه الى نصفين وكان في الثالثة

---

(1) آبرو، ذيل جامع، ص ١٢٨ ؛ ميرخواند، روضة الصفا، ٥/ ص ٤٨٤ ؛ خواندمير، حبيب السير، مج٣/ ج١/ ص ٢٠١ ؛ القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٣ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧٧ .

(2) خواندمير، حبيب السير، مج٣/ ج١/ ص ٢٠١ .

والسبعين من العمر ، وبذلك انتهت حياة احد كبار الحكماء والكتّاب والمؤرخين الفرس في ١٧ جمادى الأولى عام (٧١٨هـ/١٣٢٠م)[١].

هذا ما روته المصادر الفارسية ، أمّا المصادر العربية فقد نقل الصياد عن المؤرخ الصقاعي [٢] الذي ترجم لرشيد الدين وكان من المعاصرين له فقال: ((رشيد الدين أبو الفضل ، فضل الله بن أبي الخير عالي الهمذاني الطبيب أولاً ، وزيرقان وخربند)) وكذلك قدم تفاصيل محاكمة رشيد الدين ، أمّا بقية المؤرخين العرب فمنهم من نقل عنه ومنهم من اختصر الحادثة.

يذكر الصياد نقلاً عن المؤرخ الصقاعي انه جيء برشيد الدين إلى السلطانية على خيل البريد ولما مثل أمام الأمير جوبان ، وجهت إليه تهمة دس السم للسلطان اولجايتوخان فأجاب بقوله: ((كيف افعل هذا ، وأنا كنت رجلاً يهودياً عطاراً طبيباً ضعيفاً بين الناس فصرت في أيامه وأيام أخيه متصرفاً في المملكة وأموالها ، ولا يصرف شيء إلاّ بأمري ، وحصلت في أيامهم الأموال والجواهر والأملاك ما لا يحصى)) واستدعي جلال الدين بن حران الذي كان طبيباً لاولجايتوخان واستجوب حول موت السلطان الذي اتهم رشيد الدين بدس السم له وأجاب على هذا النحو ((أصيب السلطان بعسر هضم شديد مصحوب بإسهال غريب وقيء متلاحق ، ولما دعيت واستشرت في العلاج الذي يقضيه الحال ، قررت بالاتفاق مع الاطباء الاخرين ، اعطاء السلطان دواءً قابضاً لتقوية المعدة والامعاء وكان رشيد الدين وحده على عكس هذا الراي اذ ادعى ان هذا التعب ناشئ عن تخمة وانه لابد من مواصلة التفريغ ، فاعطينا السلطان دواءً مليناً زاد الاسهال وادى بالمريض الى القبر)) واعترف رشيد الدين بهذه الحقيقة فقال جوبان: ((انت يا رشيد قتلته ، فامر بقتله)) ، واقتيد هو وابنه الى مكان الاعدام ، وبدأ بإعدام ابراهيم الذي لم يكن قد تجاوز السادسة عشرة من عمره ، وكان يجمع بين جمال الخلقة وطهارة النفس ونبل الخلق ، وبعد ان شاهد رشيد الدين موت ولده وفي اللحظة التي كان هو فيها على وشك الموت ، كلف أحد الحاضرين بان يقول لعلي شاه

---

(١) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٣ ؛ آبرو، ذيل جامع، ص ١٢٩ ؛ خواندمير، حبيب السير، مج٣/ ج١/ ص ٢٠١ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧٧ .

(٢) الشرق الإسلامي، ص٤٢٢ .

من قبله: ((ها انذا أموت بريئاً ضحية لاتهاماتك الكاذبة وسيأتي يوم تطالبك فيه العناية بحساب إعدامي)) ولم ينته من هذه الكلمات حتى كان حاجي ولقندي قد شطر جسمه شطرين ، وبعد قتله أخذت جميع املاكه وامواله ، وحمل راس رشيد الى تبريز وطيف به ونودي عليه: ((هذا رأس اليهودي الذي بدل كلام الله ، لعنه الله)) وقطعت أعضاؤه وحمل الى كل مكان منها شيء وعمر الرشيد ثمانين سنة ، وكان القائم بما عمل للرشيد الوزير علي شاه التوريزي[١].

وذكر ابن حجر العسقلاني ترجمته لرشيد الدين [٢] وكذلك البرزالي [٣] وكذلك وردت في المصادر العربية المعاصرة والمتأخرة عن اتهام رشيد الدين بدس السم له[٤] وهكذا بعد ان تم قتل رشيد الدين وتمزيق اشلاؤه ، دفن في تبريز قرب المسجد القائم في الحي الرشيدي ثم قام اعداؤه بالاستيلاء على جميع امواله واموال ابنائه كما تم القبض على ابنائه الذين كانوا في خدمة الحكومة الايلخانية ، فقتل بعضهم وسجن البعض الاخر كما اغار العامة على الربع الرشيدي من احياء تبريز الذي شيده رشيد الدين وبنى به مؤسسات تعليمية واجتماعية وخيرية كثيرة شملت مكتبة ومستشفى وصيدلية ومدرسة ومسجد ودور للأيتام ومطابخ للفقراء ، فاتوا على كل شيء واصبح خراباً لم تقم له قائمة بعد ، كما قام رجال الحكومة بقتل جماعة من المقربين من رشيد الدين [٥].

وقد تأثر بعض الأمراء لمقتل رشيد الدين منهم الأمير ايسن قتلغ الذي كان وقت الحادثة في خراسان فلما عاد واخبروه حزن حزناً شديداً وأخذ يعنف الأمراء ويوبخهم سألهم عما جنوه من وراء قتل رجل كبير السن ، قارب الأيام الأخيرة من حياته [٦].

---

(١) الصياد، الشرق الإسلامي، ص٤٢٠-٤٢١ .

(٢) الدرر الكامنة، ٣/ ص ٣١٤- ص ٣١٥ .

(٣) تاريخ البرزالي، ج٢/قسم٢/ ص ٣١٧- ص ٣١٨ .

(٤) ابن ايبك، كنز الدر، ج٩/ ص ٢٨٨ ؛ الذهبي، دول الإسلام، ج٢/ص ٢٥ ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٥/ ص ٥٤٩ ؛ المقريزي، السلوك، ج٢/قسم٢/ ص١٨٩- ص ١٩٠ ؛ البدليسي، شرفنامة، ٢/ ص ٢٥ .

(٥) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج١/ ص ٥٥- ص ٥٦ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٣٢٦ ؛ تاريخ إيران، ص ٤٨٨ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ٢٢٢ .

(٦) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٤٢٣ ؛ الأمين، المغول، ص ٣٧١ .

وتروي المصادر التاريخية ان كل من شارك بقتل رشيد الدين لاقى نفس المصير الذي لاقاه هو باستثناء علي شاه ، فالأمير دلقندي اتهم بمحاولة الشروع في قتل الأمير جوبان فقبض عليه وشق نصفين ، وأرسل زنبوري إلى آسيا الصغرى بالقرب من تيمورتاش بن جوبان فاختفى نهائياً ويبدو انه قتل على يد تيمورتاش [١] وذلك لأنه كان متفق مع الأمير دلقندي لقتل الأمير جوبان ، وكذلك تعرض الأمير جوبان لمحاولة قتل من قبل بعض الأمراء نتيجة سوء معاملته لهم إلاّ أنه قضى عليهم [٢] ، ولكنه قتل فيما بعد كما سيأتي شرحه لاحقاً ، أمّا علي شاه فهو الوحيد الذي مات ميتة طبيعية وكان مهللاً فرحاً بموت رشيد الدين وشكر الله عليه ، بقرابين فاخرة إذ قدم حلقتان فاخرتان من الذهب مرصعتان باللؤلؤ والبلخش كل حلقة وزنها ألف مثقال وأرسلها إلى مكة مع أحد الحجاج وعلقت بباب الكعبة سنة (٧١٨هـ/١٣٢٠م)[٣].

لقد كان رشيد الدين رجلاً امتاز بحسن الخلق وبالجود والكرم ورعايته للعلماء والفضلاء كما امتاز بتنظيم الإدارة [٤] ، إلاّ أنه راح ضحية مؤامرة دنيئة دبرها له أعداؤه ، وبعد مرور قرن على مقتله نصب تيمورلنك ابنه ميرنشاه والياً من قبله على تبريز ، وكان هذا الأمير على جانب كبير من الأخلاق ، ولكنه لسوء الحظ سقط ذات مرة من فوق حصانه فأصيب بمس من الجنون ولاقى منه الناس التعذيب ، ولم يكتفِ بالإحياء ، بل امتدت يده للأموات إذ أمر بإخراج رفات رشيد الدين من قبره الذي بناه في تبريز وأودعها قبور اليهود [٥].

ثانياً: علي شاه ينجح في تجاوز الدسائس ضده بالهدايا لجوبان(٧٢٤ه-١٣٢٦م) :

(١) آبرو، ذيل جامع، ص ١٢٩ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٤٢٥ .

(٢) آبرو، ذيل جامع، ص ١٤٥ .

(٣) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج١/ص ٥٨ ؛ الامين، المغول، ص ٣٧١- ص ٣٧٢ .

(٤) الصياد، الشرق الاسلامي، ص ٤٢١ .

(٥) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج١/ ص ٦٥ ؛ الصياد، الشرق الاسلامي، ص ٤٢٤ ؛ اقبال، تاريخ المغول، ص ٣٢٦- ص ٣٢٧ .

لقد نجح علي شاه في التخلص من رشيد الدين وخلا الجو له اذ استقل بالوزارة وحده دون منازع مدة ست سنوات [١] ، وأخذت مكانته ترتفع يوماً بعد يوم لدى أبي سعيد خان وفي ذلك يقول ابو الفداء: ((وكان قد بلغ منزلاً عظيماً من أبي سعيد))[٢] ، ولكن انفراده بالسلطة بعد فقدان رجل كفوء حكيم مثل رشيد الدين أدى إلى تفكيك الشؤون الديوانية وسياسة الدولة ، لأنه بالرغم من ذكائه إلاّ انه كان رجلاً عامياً لا خبرة له بالوزارة [٣].

وبالرغم من نجاة علي شاه من المصير المحتوم الذي طالما واجهه وزراء المغول قبله ألا وهو القتل ، إلاّ انه تعرض لكثير من المؤامرات والدسائس بعد وفاة رشيد الدين من قبل الأمراء إلاّ أنه استطاع تجنب تلك الدسائس والاتهامات عن طريق إرضاء هؤلاء الأمراء بالرشاوي والهدايا [٤].

كذلك استطاع علي شاه كسب جانب الأمير جوبان الذي كان يحيك أيضاً ضده الاتهامات وكانت اطماعه لا تقف عند حد ، عن طريق الهدايا الثمينة له ولأتباعه لكي يتجنب خطرهم نظراً لنفوذهم الواسع وكلمتهم المسموعة في كافة أنحاء الإمبراطورية [٥].

ويقال ان علي شاه قبيل وفاته دفع الى جوبان عشرين الف قطعة من الذهب ليضع حداً لمؤامراته [٦].

ولقد كان علي شاه يتوقع المصير الذي سيؤول إليه إذا بقي على قيد الحياة أو استمر في الوزارة لفترة طويلة لأن خانات المغول تعودوا أن يعاملوا وزرائهم في البداية معاملة حسنة لكن بمجرد شكهم في ولاء هؤلاء الوزراء فأنهم يدفعون حياتهم لهذا الشك ويخسرون أملاكهم وأولادهم [٧] ، ولذلك أراد علي شاه تشييد أبنية خيرية للتقرب الى الله منها بناؤه

---

(١) اقبال، تاريخ ايران، ص ٤٨٩ ؛ تاريخ المغول، ص ٣٢٧ ؛ الامين، المغول، ص ٣٧٢ ؛ الجاف، الوجيز، ٣٠٩/٢ .

(٢) المختصر، ٤/ص ٩٦ .

(٣) اقبال، تاريخ المغول، ص ٣٢٧ ؛ الامين، المغول، ص ٣٧٢ .

(٤) الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٨٧ .

(٥) الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٨٧ .

(٦) الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٨٨ .

(٧) الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٨٨ .

مسجد في تبريز [1] ، يعد من افخر العمارات الإسلامية التي شيدت في عصر المغول ، ويبلغ طول هذا المسجد ٢٥٠ ذراع وعرضه ٢٠٠ ذراع ، وقد زين بأفخر الزينات واستعملت في بنائه حجارة المرمر [2].

وعندما حل بعلي شاه المرض واستفحل لم ينجح الأطباء في علاجه ، فتوفي سنة (٧٢٤هـ/١٣٢٦م) وحمل جثمانه إلى تبريز ودفن في رحاب المسجد الذي شيده [3] وفي الشذرات لابن العماد جاء عنه: ((سنة ٧٢٤هـ توفي وزير الشرق علي شاه ابن ابي بكر التبريزي ، كان سنياً معظماً لصاحب مصر توفي بارجان في جمادى الآخرة وقد شاخ))[4] ، وقال عنه القزويني: ((ولم يمت من وزراء المغول على فراشه سواه))[5].

وهكذا كانت نهاية الوزير علي شاه الذي تدرج في المناصب الى ان وصل بذكائه الى منصب الوزارة وتخلص من كافة منافسيه واستأثر بالسلطة وحده وقد كانت فترة حكمه في ولاية ايلخانين هما اولجايتوخان (٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٥-١٣١٨م) وابو سعيد (٧١٦-٧٣٦هـ/١٣١٨-١٣٣٨م)[6].

ثالثاً: غياث الدين بن علي شاه وصراعه مع أخيه وإقصائه:

بعد مقتل الوزير رشيد الدين الهمذاني ووفاة الوزير علي شاه الجيلاني تعاقب على منصب الوزارة عدد من الوزراء الذين لم تكن لهم خبرة في الوزارة ولم يكونوا بكفاءة الوزراء السابقين في ادارة شؤون الدولة ، وبسبب عدم خبرتهم اختلت شؤون الوزارة بشكل كبير ، ولم يتمكن هؤلاء من الاستمرار في هذا المنصب لفترة طويلة ، حيث كانت مدة حكم الواحد منهم لا تتجاوز السنة او السنتين وينتهي الامر بهم اما بعزلهم او قتلهم.

---

(1) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧٩ ؛ البدليسي، شرفنامة، ٢/ ص ٢٧ .

(2) الصياد، مؤرخ المغول، ص ١٨٨ .

(3) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧٩ ؛ البدليسي، شرفنامة، ٢/ ص ٢٧ .

(4) شذرات الذهب، ٦/ ص ٦٣ .

(5) تاريخ كزيدة، ص ٦٠٦ .

(6) سليمان ، تاريخ الدول الاسلامية ، ٢/ ٤٨٣ .

قرر ابو سعيد خان تكريماً لذكرى علي شاه الذي كان يحتل مكانة كبيرة لديه ان يعهد بمنصب الوزارة الى ابنه الاكبر غياث الدين ، وذلك سنة (٧٢٤هـ/١٣٢٦م)[١] وقد كان لدى علي شاه ولدان هما غياث الدين وخليفة الذي اسند اليه ابو سعيد خان منصباً آخر في الدولة [٢]. وقد حباهما ابو سعيد خان بالرعاية والاهتمام [٣].

حقد خليفة على اخيه غياث الدين لتفضيل ابو سعيد غياث الدين عليه في منصب الوزارة وبدأ يحدث لاخيه المشاكل تلو المشاكل ، ويكيل له الاتهامات ، واصبح يشكل حجر عثرة في طريق اخيه ، وبدات الخلافات تزداد بينهما [٤] يوماً بعد يوم الى ان ادت الى احداث احداث مشاكل خطيرة في الدولة ، واصبح موظفوهم منقسمين الى فريقين ، فريق يناصر غياث الدين والفريق الاخر يناصر اخيه خليفة ، وقد ادى هذا الانقسام الى ارباك عمل الحكومة او احداث خسائر مادية حادة وخلل في ميزانية الدولة نتيجة صرف الاخوين كل اموال الدولة على صراعهما وعلى انصارهما ، وفي المقابل اهملت اعمال الوزارة بشكل كبير ، ولم يعد بالإمكان تصريف الامور على الوجه المرضي [٥] ، وعندما وصلت الامور الى هذا الحد صارت الدولة على حافية الهاوية ، فاشتد غضب ابو سعيد خان وقرر وضع حد لهذا النزاع عن طريق إصدار أوامره بالقبض على الأخوين وعزلهما من منصبيهما ، وكذلك اجبرهما على تسليم الثروة الطائلة التي سبق أن ورثوها عن والدهم علي شاه والثروة التي جمعوها أثناء توليهما منصبيهما ، ومع أن أبي سعيد خان أطلق سراحهما بعد فترة، غير أنهما عاشا حياة ضنكة [٦].

---

(١) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٦ ؛ آبرو، ذيل جامع، ص ١٦٢ ؛ ميرخواند، روضة الصفا، ج٥/ص ٥٠٦ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ١٧٩ .

(٢) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٦ ؛ آبرو، ذيل جامع، ص ١٦٢ ؛ ميرخواند، روضة الصفا، ج٥/ص ٥٠٦ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧٩ .

(٣) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٦ ؛ آبرو، ذيل جامع، ص ١٦٢ .

(٤) آبرو، ذيل جامع، ص ١٦٢ ؛ ميرخواند، روضة الصفا، ج٥/ص ٥٠٦ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧٩ .

(٥) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٦ .

(٦) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧٩ .

رابعاً: وزارة ركن الدين صاين وعزله (٧٢٤هـ/١٣٢٤م):

تولى ركن الدين صاين الوزارة بعد ان عزل أبو سعيد خان غياث الدين بن علي شاه من منصبه وذلك سنة (٧٢٤هـ/١٣٢٤م)[١] وركن الدين من احفاد ضياء الدين الملك محمد بن مودود الذي كان يعمل في وظيفة عارض الجيش [٢] في عهد السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه ، وقد التحق بخدمة ولده جلال الدين منكبرتي الذي دخل في حرب مع جنكيز خان وهزم أمامه ، ففر مع جلال الدين إلى الهند فلما عاد جلال الدين منكبرتي من هذه البلاد قدر خدمات ضياء الملك ورفع قدره وجعله موضع عنايته ، وعندما توفي ضياء الملك ، التحق ركن الدين بخدمة الأمير جوبان وصار من المقربين اليه وبدا يتدرج في المناصب بمساعدة الأمير جوبان [٣] ، وقد تمكن الأمير جوبان فيما بعد من إقناع ابي سعيد خان في ان يولي ركن الدين صاين منصب الوزارة بعد عزل غياث الدين بن علي شاه ، وهكذا حظي ركن الدين صاين بمنصب الوزارة بسعاية الأمير جوبان ونال لقب (نصرة الدين العادل)[٤].

بعدما تولى ركن الدين صاين بدأ يستقل بأعمال الوزارة ، ولكنه كان غريباً عن هذا العمل ، ولم يعد يرجع إلى الأمير جوبان ونسي أفضال سيده عليه وعنايته به ، وانه أوصله إلى هذا المنصب وبدأ يذهب إلى أبي سعيد خان ويوشي بالأمير جوبان وأولاده ويذكر له معايبهم ويكيل لهم الاتهامات مما أدى إلى تغير أبي سعيد على الأمير جوبان [٥] ، ولما وصلت الأخبار إلى الأمير جوبان بأن الوزير ركن الدين صاين هو من وشى به أشار على أبي سعيد خان أن يقوم بعزله فتم عزله سنة (٧٢٥هـ/١٣٢٥م) [٦].

خامساً: الوزير دمشق خواجة ونكبة الجوبانيين (٧٢٥هـ/١٣٢٥م):

---

(١) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٦ ؛ آبرو، ذيل جامع، ص ١٦٢ .

(٢) عارض الجيش، وهو الذي يعرف العسكر ويحفظ أرزاقهم ويوصلها إليهم، ويعرض العسكر على الملك إذا احتيج إلى ذلك، الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٤٤٧.

(٣) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧٩ ، ص ٣٨٠ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٣٣٢ .

(٤) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٨٠ .

(٥) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٣٢ .

(٦) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٤٤٧ ؛ مؤرخ المغول، ص ١٩٣ .

بعد أن تم عزل الوزير ركن الدين صاين سنة (٧٢٥هـ/١٣٢٥م) بسعاية الامير جوبان، أشار الاخير على أبي سعيد خان أن يقوم بتعيين ولده دمشق خواجة بمنصب الوزارة ، بعدما كان ينوب عن والده في إدارة شؤون المملكة في أثناء غيابه عن العاصمة السلطانية ، مدافعاً عن الثغور ومقاوماً للعصاة ، وبذلك تركزت شؤون الجيش والإدارة بيد الأمير جوبان وأبنائه [١].

لقد كانت أسرة الجوبانيين تحظى باحترام وتقدير كبير من قبل ايلخانات المغول ، وقد كانوا يحتلون مناصب هامة في الدولة وكانت مكانتهم تزداد يوماً بعد يوم إلى أن أصبحت السلطة الحقيقة بيدهم ولم يبقَ للايلخان أبو سعيد خان سوى الاسم [٢] فالأمير جوبان في عهد اولجايتوخان والد أبي سعيد خان كان يحتل مكانة كبيرة في الدولة وبمكانة خاصة عن اولجايتوخان وكانت قراراته مؤثرة في الدولة ، فهو الذي أودى بحياة الوزير رشيد الدين بالتآمر مع الوزير علي شاه ضده ، وكان وزراء وأمراء الدولة يحسبون له ألف حساب [٣] ، وعند وفاة اولجايتوخان ازدادت مكانته لدى أبي سعيد خان الذي كان صغير السن عند توليه الايلخانية، فكان يرافقه في كل مكان ، وكان بمثابة وصي عليه ، وفي عهده تسلم الأمير جوبان منصب أمير الأمراء وهو من أهم المناصب في الدولة حيث كانت كل صغيرة وكبيرة من شؤون الدولة بيده ، وأصبح القطب الأول في الدولة [٤].

وفي أثناء الحروب التي وقعت ضد أبي سعيد خان من قبل المتمردين كان الأمير جوبان على رأس جيوشه يسانده ويؤازره ، مما أدى إلى ارتفاع مكانته لدى أبي سعيد خان وصار يناديه بالأب والأخ الكبير إضافة إلى إسناد أبنائه إدارة شؤون البلاد دون رقابة أو حساب [٥] ، وفي المقابل وقف أبو سعيد خان إلى جانب الأمير جوبان عندما حسده الأمراء

---

(١) آبرو، ذيل جامع، ص ١٦٠ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٨٠ ؛ ميرخواند، روضة الصفا، ج٥/ص ٥٠٤- ٥٠٥ ؛ الأمين، المغول، ص ٣٧٦ .

(٢) البرزالي، تاريخ البرزالي،ج٢/قسم٢/ص ٣٧٨ ؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ٢/ص ٧٠ ؛ أبو الفداء، المختصر، ٨١/٤ .

(٣) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧٧ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٣٢٦ ؛ الجاف، ٢/ص ٣٠٩ .

(٤) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٦١٩- ص ٦٢٠ ؛ القلقشندي، مآثر الانافة، ٢/ص ١٣٩ .

(٥) آبرو، ذيل جامع، ص ١٦٠ ؛ ميرخواند، روضة الصفا، ج٥/ص ٥٠٤- ص ٥٠٥ .

على مكانته وأرادوا التخلص منه ، منهم الأمير قورميش بن عليناق أحد كبار الأمراء الــذي استطاع كسب جمع من الأمراء ممن تعاطف معه وممن أساء إليهم الأمير جوبــان وعــاقبهم نتيجة إهمالهم وتقصيرهم أثناء حربه مع الملك اوزبك من ملوك قبائل القفجاق (القبيلة الذهبية) حيث قتل بعضهم وعاقب البعض الآخر بالضرب منهم الأمير قورميش وغيره من الأمراء[١]، وقد تمكن جوبان من الإيقاع بقورميش وقتله فانتهى بذلك تمرده على ابو سعيد خان [٢].

بعد القضاء على قورميش ، ارتفعت مكانة الامير جوبان أكثر من ذي قبل لدى أبــو سعيد خان ، وكذلك لما أبداه أبو سعيد خان من شجاعة أصبح يلقب بلقب بهادر [٣].

وبعد أن توطدت العلاقة بينهما من الناحية السياسية ، توطدت العلاقة أكثر عن طريق المصاهرات السياسية بين الطرفين عن طريق زواج الامير جوبان من أخت أبو سعيد خــان وتدعى دولندي وعندما توفيت زوجه أبي سعيد خان من أخته الأخرى وتدعى ساتي بك [٤] ، وأوصله إلى قمة المجد وبذلك توسعت سلطته وأصبحت لا يحدها حدود لكنه بالرغم من ذلــك كان مخلصاً لابي سعيد خان وكان يقوم بواجباته تجاه الدولة على أتم وجه ، وكان يقضي على العصاة حتى لو كان أحد أولاده [٥].

ومع ذلك جرت عدة أمور أدت في نهايتها إلى القضاء على الوزير دمشــق خواجــة وأسرة الجوبانيين برمتها منها أنّ الامير جوبان كانت له ابنة فائقة الحسن والجمال تدعى بغداد خاتون التي كانت متزوجة من الامير حسن الجلائري سنة (٧٢٣هـ/١٣٢٣م) وبعد عــامين من زوجها رآها أبو سعيد خان فأحبها حباً شديداً وفي ذلك الوقت كان يبلغ من العمر عشرون عاماً ، ومن عشقه لها صمم على الزواج بها وانصرف عن شؤون الدولة ، واســتغل قــانون الياسا لمصلحته لأنه كان يقضي بأن الايلخان إذا وقعت عينه على امرأة متزوجة وأعجب بها

---

(١) الشيرازي، تاريخ وصاف، ص ٦٣٨ ؛ القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٤ ؛ آبرو، ذيل جامع، ص ١٥٠، ص ١٥١ .

(٢) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٤ .

(٣) الشجاع، الصنديد، الجريء.

(٤) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٢/ ص ٧٠ هامش رقم (١) ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٣٣١ ؛ تاريخ إيران، ص ٤٩١ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ٢٢٤ .

(٥) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٥ ؛ آبرو، ذيل جامع، ص ١٦٠ ؛ ميرخواند، روضة الصــفا، ج٥/ ص ٥٠٤ ، ص ٥٠٥ .

، يقوم زوجها بتطليقها ويرسلها إلى الايلخان [١] ، ورغم أنّ أبا سعيد خان كان مسلماً إلاّ أنـه استغل هذا القانون لصالحه وأرسل إلى والدها الامير جوبان وأطلعه على هذا الأمر وأنه يريد الزواج من ابنته ، وعليه ان يقوم بتطليق ابنته من زوجها ويزوجها له ، فغضب الامير جوبان لسماعه هذا الكلام ، وأفهم أبا سعيد خان أنه لا يوافقه الرأي ويرفض تطليق ابنته من زوجها ، فعندما وصل الأمر إلى أبي سعيد خان صدم لجوابه وغضب لكنه أخفى غضـبه وأضـمر الحقد في نفسه على الامير جوبان ، وكان ينتظر الفرصة للإيقاع به ، وفي نفس الوقت حاول الامير جوبان أن يصرف أبا سعيد عن هذا الأمر عن طريق إرسال ابنته بغداد خـاتون إلـى قراباغ بصحبة زوجها حسن الجلائري ، إلا أن هذا الأمر زاد أبو سعيد خان إصراراً علـى الزواج بها أكثر من قبل [٢] ، وصار يلتمس الأخطاء لأسرة الجوبانيين للقضاء عليهم ، وقـد لاحظ الامير جوبان تغير ابي سعيد خان عليه ولم يعد يعامله كالسابق ، فسأله عن السبب الذي جعله يتغير عليه ، فأجابه أبو سعيد خان أن دمشق خواجة قد استبد بسلطته واتهمه بأنه مـن المعادين له [٣] ، واعتبر تفرده بالسلطة مخالفاً لأصول الحكم ، فذهب الامير جوبان إلى ابنـه دمشق خواجة ووجه إليه اللوم وسأله عن السبب فأجابه دمشق خواجة ((أنا لا أراني مذنباً ولا اعرف لتغير السلطان من سبب))[٤] ، وفي هذا الوقت أرسل خان المغول الأعظم رسولاً إلى الامير جوبان يحمل هدايا ثمينة وسلمه مرسوم بتقليده إمارة الأمراء في ممالك إيران وتوران وقد استقبل الامير جوبان الرسول استقبالاً حافلاً وأرسل معه الكثير من الهدايا والتحف إلـى الخان [٥].

---

(١) أبو الفداء، المختصر، ج٤/ص ٩٦ ؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، مج٢/ص ٧٢ ؛ آبرو، ذيل جـامع، ص ١٦٥– ص ١٦٦ ؛ ميرخواند، روضة الصفا، ج٥/ص ٥١٠ .

(٢) إقبال، تاريخ المغول، ص ٣٣٢ – ص ٣٣٣ ؛ الأمين، المغـول، ص ٣٧٩ ؛ فهمـي، تـاريخ الدولـة المغولية، ص ٢٢٥ .

(٣) آبرو، ذيل جامع؟، ص ١٦٥– ص ١٦٦ ؛ ميرخواند، روضـة الصـفا، ج٥/ ص ٥١٠ ؛ خوانـدمير، دستور الوزراء، ص ٣٨٠ .

(٤) آبرو، ذيل جامع، ص ١٦٥– ص ١٦٦ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٨٠ ؛ ميرخوانـد، روضـة الصفا، ج٥/ ص ٥١٠ .

(٥) آبرو، ذيل جامع، ص ١٦٧ ؛ ميرخواند، روضة الصفا، ج٥/ ص ٥١١ .

أدى هذا الإعزاز والتكريم من قبل الخان الأعظم إلى إثارة الحسد والبغضاء من قبـل الأمراء وصاروا يستغلون الفرص للإيقاع بالأمير جوبان وأولاده ، كما أن أبو سعيد خان في هذا الوقت كان قد بلغ سن الرشد وتنبه إلى سلطة الامير جوبـان فـأراد وضـع حـد لهـذه السلطة(١) ، فأيقن الأمراء هذا الأمر وصاروا يوغرون صدره ضد الأمير جوبان لأنه رفـض ان يزوج ابنته له ، كما اتهموه بأنه يستولي على ميراث الآخرين وذلك أنّ ناز خاتون إحـدى زوجات والد الأمير جوبان قد توفيت وكان لها أملاك كثيرة فجاء خطيب همدان ويدعى محمد نامي واحضر إلى الأمير جوبان سندات بأملاكها وقال له أن هذه الأملاك تؤول إليه بالإرث ، فاخذ الأمير جوبان يصادر الأراضي والعقارات في عدة ولايات بحجة أنها من أمـلاك نـاز خاتون فسبب هذا العمل اضطراباً كبيراً وأصبح المتخاصمون من أصحاب الأمـلاك يوشـي ببعضهم بعضاً عند الامير جوبان وكذلك عمل الفلاحين الذين يحقدون على صـاحب الأرض يخبرون الأمير جوبان بأن هذه الأراضي من أملاك ناز خاتون ، فأدى هذا الأمر إلى غضب أبي سعيد خان (٢) على أسرة الجوبانيين إضافة إلى ذلك اخبر الأمراء أبا سعيد خان أن الأمير جوبان قد منح أولاده وأقاربه على حكم الولايات ، فلاحظ الأمير جوبان أن أبو سعيد خان لم يعد يغرب في وجوده فأعد خطة كي يعيد مكانته إلى سابق عهدها عن طريق القيـام بحملـة جدية على خراسان (٣) اصطحب فيها الكثير من القادة والأمراء وعند وصوله إلى مدينة هراة وصلته الأخبار أن حاكم ما وراء النهر (ترمشين) بن براق من أسرة جفتاي خان كان ينـوي القيام بحملة للهجوم على خراسان ، كذلك خان دشت القفجاق كان ينوي الإغارة على خراسان ، فكلف ولده الأمير حسن بالهجوم على المغيرين واستطاع الانتصار عليهم ولكنه في سـبيل تحقيق ذلك ارتكب كثير من أعمال التخريب والقتل والسفك في كثير من المـدن كمـا أنهـم

---

(١) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٨.

(٢) خواندمير، حبيب السير، ج٣/ ص ١١٨ ؛ الأمـين، المغـول، ص ٣٧٧ ، ص ٣٧٨ ؛ إقبـال، تـاريخ المغول، ص ٣٣١ .

(٣) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، مج٢/ص ٧١ ؛ خواندمير، حبيب السير، مج٣/ج١/ص ٢١٠ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ١/ص ٤٩٠ .

أحدثوا في مدينة غزنة القتل وحولوا العمران إلى خراب ودمـــروا قبـــر الســـلطان محمـــود الغزنوي ، ومزقوا المصاحف فكان عملهم وبالاً عليهم وعلى أسرته [١].

كذلك استغل الأمراء غياب الأمير جوبان وأولاده عن العاصمة ليوجهـــوا ضــــربتهم القاصمة ، فاخبروا سعيد خان أنّ دمشق خواجة له علاقة بإحدى محضيات أبي ســـعيد خـــان وأنه مستعد للخروج عليه والثورة ضده ، كما أخبرته زوجة أبيه دنيا خاتون فقالت له : ((لـــو كنا نحن الرجال ما تركنا الجوبان وولده على ما هما عليه فاستفهمها عن مرادها بهذا الكلام ، فقالت له: لقد انتهى أمر دمشق خواجة بن الجوبان أن يفتك بحرم أبيك ، وأنه بـــات البارحـــة عند طغي خاتون ، وقد بعث إليّ وقال لي: الليلة أبيت عندك وما الرأي إلا أن تجمع الأمـــراء والعساكر ، فإذا صعد القلعة متخفياً برسم المبيت أمكنك القبض عليه ، وأبوه يكفي الله أمره)) فغضب أبو سعيد خان لهذا الأمر غضباً شديداً ، وقرر إرسال أشخاص للتحقيق في الأمر [٢].

وفي إحدى المرات كان دمشق خواجة متوجهاً إلى القلعة لزيارة خليلته فـــاخبروا أبـــا سعيد خان بذلك ، فأمر بقتله ، وأمر بأن يذاع في المدينة أن الأمير جوبان قد قتـــل أيضـــاً ، وكان الجنود في تلك الأثناء قد قتلوا جماعة من اللصوص الأكراد وجـــاءوا برؤوســـهم إلـــى السلطانية [٣] ، فأمر أبو سعيد بأن يطاف بهذه الرؤوس في المدينة على أنها رؤوس الأميـــر جوبان وأعوانه.

لقد كان الأمير دمشق خواجة أميراً شجاعاً كفوءاً وعرف ما يدبر له فحاول الهـــروب ومعه جندي يعرف بالحاج المصري فلما وجد أنّ باب القلعة قد أغلق بسلسلة ، أمـــر الحـــاج المصري بأن يقطع السلسلة بسيفه ، فقطعها وخرجا معاً ، ولما خرجا أحاطت بهم العســـاكر ، ولحق بهما أمير من أمراء الخاصكية يعرف بمصر خواجة وفتى يعرف بلؤلؤ ، وتمكنوا مـــن القبض على دمشق خواجة ، وقتلوه وقطعوا رأسه وجاءوا به إلى أبي سعيد خـــان ، وكـــذلك

---

(١) خواندمير، حبيب السير، مج٣/ ج١/ ص ٢١٠ .

(٢) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، مج٢/ ص ٧٠ ؛ القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٧– ص ٦١٨ .

(٣) القزويني، تاريخ كزيدة، ص٦١٧–ص٦١٨ .

قتلوا من قاتل من مماليكه وخدامه [١] وذلك في الخامس من شوال سنة(٧٢٧هـــــ/١٣٢٧م) وعلق رأسه على باب القلعة ونهبت أمواله [٢].

لقد كان مقتل دمشق خواجة إيذاناً بنهاية أسرة الجوبانيين ، حيث أنّ أبا سعيد خان كان يعتقد أن الأمير جوبان سوف ينتقم لابنه لا محالة فأسرع إلى السلطانية ، وهناك أرســل لـــه الأمير جوبان رسالة يقول فيها: ((لو كان ابني قد شق عصا الطاعة فقد نال جزاءه، وأنـــا لا زلت على ولائي لكم))[٣] ، لكن الأمراء المعادين للأمير جوبان ادخلوا الخوف في نفس أبـــو سعيد خان من انتقام الأمير جوبان منه ، فاستدعاه على عجل إلى السلطانية ، والتقى بالامراء الموالين للامير جوبان وطلب منهم ان يقتلوه ولكنهم رفضوا هذا الامر وقرروا الوقوف الـــى جانبه في بداية الامر ضد ابو سعيد خان ، واخبروه بقرار ابي سعيد خان وانهم على استعداد بالسير معه ، ولكن الامير جوبان اراد قبل خوض المعركة ان يشاور ابنائه واتباعه ولقد اشار عليه ابنه الامير حسن بقوله: ((لقد قتل ابو سعيد دمشق خواجة ، وهو يجد الان في قتلنا ، ولم تعد هناك فائدة من التودد اليه او محاولة مهادنته ، ولا تأمن بالامراء ولا تنخدع بقولهم ، ولا تثق بوعودهم ، بل ينبغي التخلص منهم ، وارسال رؤوسهم الـــى ابـــي ســـعيد خـــان ، وأن خراسان في ايدينا ، وعوائد فارس وكرمان ايضا تصل الينا ، وتيمورتاش يسيطر على بـــلاد الروم ، ويسيطر الامير محمود اخونا الثالث على كرجستان)) وقال له ان الاصلح ان يطلـــب العون من الوس جفتاي لنثأر من أبي سعيد خان [٤].

لقد كان ابو سعيد خان خائفاً من الامير جوبان وانصاره لذا اصدر اوامره بصد ابنائه والقضاء عليهم قضاءً مبرماً ، وخرج بنفسه من السلطانية على رأس جيش ونزل في قزوين ، اما الامير جوبان كان قد اغتر بشجاعته وقال: ((انه لا يوجد في العراق شخص له طاقة على

---

(١) رحلة ابن بطوطة، مج٢/ص ٧٠ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ج١/ص ٤٩١ .

(٢) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ٧٨/٢ ؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ٢/ص ٣١٥ لكنه يـــذكر أن مقتله سنة ٧٢٨ هـــ؛ الغياثي، التاريخ الغياثي، ص ٥٨.

(٣) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٨ ؛ آبرو، ذيل جامع، ص ١٧٢- ص ١٧٣ ؛ ميرخواند، روضة الصفا، ج٥/ ص ٥١٦ .

(٤) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٨ ؛ آبرو، ذيل جامع، ص ١٧٢- ض١٧٣ ؛ ميراخواند، روضة الصفا، ج٥/ص ٥١٦ .

مقاومتي ، وسوف اذهب الى العاصمة وأحسم امري بنفسي))[1] ، ثـم زحـف بقواتـه مـن خراسان قاصداً العراق لقتال ابو سعيد خان [2] بعدما اقسم الامراء في مشـهد طـوس علـى الإخلاص له ونصرته ضد ابو سعيد خان ، ثم خرج معهم الى سمنان حيـث زاروا العـارف الشهير الشيخ ركن الدين علاء الدولة السمناني ، والتمس من الاخير ان يقابل الايلخـان ابـو سعيد ويهدئ من غضبه ويبلغه بأن الامير جوبان ما زال موالياً له ، ويطلب منـه ان يسـلمه المحرضين على قتل دمشق خواجة حتى تخمد الفتنة بمعاقبتهم [3].

وافق الامير جوبان على طلب علاء الدولة السمناني ومضى الى ابي سعيد خان لكي يصلح بين الطرفين ، ورغم ان ابا سعيد خان استقبل علاء الدولة بالترحاب الا أنه لم يجبـه الى طلبه ، وطلب منه ان يبلغ الامير جوبان ان يسلم نفسه ويسرح جيشه دون اية شروط واذا لم يوافق على هذا الامر ستكون العواقب وخيمة عليه ، وبذلك لم يجد الامير جوبان مفراً من خوض المعركة ، فالتقى الجيشان في موضع الري ، وعندئذ نقض بعض الامـراء والقـواد ومعهم ثلاثون الفاً من الجيش عهدهم مع الامير جوبان ورأوا ان من المصلحة الانضمام الـى الطرف الاقوى وهو الايلخان ابو سعيد بما أنه ولي امرهم وولي نعمتهم ، وبذلك فـروا مـن صفوف الامير جوبان ، وتركوه وهو في أمسّ الحاجة لهم ، وعند وصولهم الى ابـي سـعيد خان استقبلهم بترحاب شديد [4] ، فاصبح الامير جوبان بعد غـدر الامـراء بموقـف حـرج واعتراه اليأس والخوف فلم يعد هناك تكافؤ لا بالعدد ولا بالعدة ، واصبحت الهزيمـة محققـة نظراً لفقدان الجانب المادي والمعنوي ، فلذلك قرر الفرار مع بقية اتباعه الى خراسان ، بعـد

---

(1) اقبال، تاريخ المغول، ص ٣٣٤ ؛ الامين، المغول، ص ٣٨١ .

(2) ابو الفداء، المختصر، ٤/ص٩٦ ؛ الدواداري، كنز الدرر ، ٩/ ص ٣٤٦ ؛ البدليسي، شـرفنامة، ٢/ ص ٣٠ .

(3) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٩ ؛ آبرو، ذيل جامع، ص ١٧٥- ص ١٧٦ ؛ البدليسي، شـرفنامة، ٢/ ص ٣٠ .

(4) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٩ ؛ آبرو، ذيل جامع، ص ١٧٥ ؛ البدليسي، شرفنامة، ٢/ ص ٣٠ ؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٢/ ص ٧١ .

ان خلى سبيل زوجته ماتي بل اخت الايلخان ابي سعيد خان التي توجهت بدورها الى اخيهــا فاستقبلها بالترحاب [١].

ثم بعد اختراقه الصحراء بلغ نهر مرغاب ، وهناك فكر في الرحيل الى اقليم ما وراء النهر وتركستان ، الا انه خجل من ذلك نظراً للحروب التي كانت بين الدولتين ، عندئذ فكــر في الالتجاء الى غياث الدين كرت حاكم هراة رغم نصيحة ولداه الامير حسن والامير طالش بعدم اللجوء اليه لأنه لا وفاء له فقد ذكروه بأن سبق ان غدر بالامير نوروز عندما لجأ اليــه وقام بقتله [٢] ، ورغم هذا الكلام ذهب الامير جوبان الى غياث الدين كــرت فــاكرم وفادتــه ووفادة ولده جلاوخان في البداية ، لكن ما ان وصل اليه مرسوم الايلخان ابو سعيد يامره بقتل الامير جوبان وولده جلاوخان [٣] ، مقابل ذلك يقوم ابو سعيد خان بتزويجه من زوجة الامير جوبان كردوجين ويمنحه أملاك اتابكة فارس ، فنفذ غياث الدين كرت الامر واعتقل الاميــر جوبان وولده [٤] وقبل ان يقدم على قتلهما طلب الامير جوبان من غياث الدين ثلاثة امور:

١- أن لا يفصل رأسه عن جسده فإذا أراد إرسال علامة الى الايلخان ابي سعيد تثبت له انه قتل فليقطع واحدة من أصابعه كانت ذات راسين ويرسلها إليه.

٢- أن يبقي على ابنه جلاوخان ويرسله إلى أبي سعيد لعله يرحم شبابه فلا يقتله.

٣-أن يرسل جثمانه إلى المدينة المنورة ليدفن فيها.

فوافق غياث الدين وأجابه إلى طلبه ثم قتل وأرسل إصبعه إلى معسكر أبو ســعيد [٥] خان في قراباغ في محرم سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م)[٦] ، ورغم ذلك لم يفِ أبو ســعيد خــان بوعده لغياث الدين كرت ، رغم أنّ غياث الدين كان يتوقع أن يحصل على مكافأة سخية مــن ابي سعيد خان ، وسبب ذلك أنّ أبا سعيد خان بادر بعد مقتل الأمير جوبان بإرسال أوامره إلى

---

(١) القزويني ، تاريخ كزيدة ، ص ٦١٩ ؛ آبرو، ذيل جامع، ص ١٧٥

(٢) ابرو، ذيل جامع، ص ١٧٧ ؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٢/ ص ٧١ .

(٣) ابرو، ذيل جامع، ص ١٧٧ ؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، مج٢/ ص ٧١ .

(٤) الصياد، الشرق الاسلامي، ص ٤٥٨ ؛ الامين، المغول، ص ٣٨٢ .

(٥) إقبال، تاريخ المغول، ص ٣٣٥ ؛ الأمين، المغول، ص ٣٨٢ .

(٦) ابو الفداء، المختصر، ٤/ ص ٩٦ ؛ ابن بطوطة، رحلــة ابــن بطوطــة، ج٢/ ص ٧١ ؛ ابــن حجــر العسقلاني، الدرر الكامنة، ٢/ ٧٨ ؛ اليونيني، نزهة النظار، ص ١٤٠ .

الأمير حسن الجلائري يطلب فيه أن يقوم بتطليق بغداد خاتون كي يتزوجها هو فتم الطلاق ، وتزوج ابو سعيد خان من بغداد خاتون بعد انتهاء العدة الشرعية ، والتي أصبحت لها الكلمة الأولى في قصر ابي سعيد خان ، وبدورها تدخلت وأثرت على زوجها ومنعته من الوفاء بوعده للملك غياث الدين كرت [1] ، وهكذا بعد أن لطخ الملك غياث الدين اسمه بالعار امر بقتل جلاوخان الذي كان في ريعان الشباب وكان يوصف بالشجاعة والجمال والكرم وفي ذلك يقول القزويني ((وكان شاباً يافعاً في شجاعة رستم وجمال يوسف))[2]

ثم بعد ذلك طلبت بغداد خاتون من زوجها أبي سعيد خان ان يحمل جثمان والدها الأمير جوبان وأخيها جلاوخان بكل احترام من خراسان ، وبعد وصول جثمانيهما أمرت بأن يتم غسلهما مرة ثانية وأقيمت لهما الشعائر الدينية اللازمة ثم جهزت قافلة خاصة حملت جنازتهما إلى الحجاز ، وقد دفع أبو سعيد خان نفقات القافلة التي بلغت ٤٠,٠٠٠ ألف دينار وفي يوم عيد الأضحى طافوا بالجنازتين حول الكعبة وصلى عليهما جميع الحجاج ، ثم دفنا في المدينة ، في مقبرة البقيع ، قرب قبر الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وقبر الإمام الحسن بن علي (رضي الله عنه)[3].

لقد كان الأمير جوبان مسلماً عادلاً محباً للخير وقد قام في فترة حكمه باعمال خيرية كثيرة وقضى أيامه في خدمة اولجايتوخان وابو سعيد وأخلص لهما ، ولقد كان له تسعة ابناء أكبرهم الأمير حسن الذي كان يحكم خراسان ومازندران ، وبعد مقتل والده فر الى خوارزم ولجا إلى اوزبك خان حاكم مغول القبجاق الذي أكرم وفادته واسند إليه قيادة جيشه ، وفي إحدى الحروب التي خاضها ضد الجركس قتل هناك [4] ، أمّا الابن الثاني للأمير جوبان ويدعى (الأمير تيمورتاش) حاكم بلاد الروم (آسيا الصغرى) فإنه بعدما وصله مقتل والده قرر اللجوء عند السلطان الناصر محمد بن قلاوون(٦٩٣-٧٠٩هـ/١٢٩٤-١٣٠٩م) سلطان دولة

---

(١) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٩ ؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، مج٣/ ص ٧٢ .

(٢) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١٩ .

(٣) ابرو، ذيل جامع، ص ١٧٨- ص١٧٩ ؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٢/ ص ٧١ – ص ٧٤ ؛ ابن حجر العسقلاني، الدر الكامنة، مج٢/ص ٧٩ ؛ ميراخواند، روضة الصفا، ص ٥٢٢- ص ٥٢٣ .

(٤) ابرو، ذيل جامع، ص ١٨٠ ؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٢/ ص ٧١ الا انه يذكر ان محمد اوزبك هو من امر بقتله ؛ ميراخواند، روضة الصفا، ج٥/ ص ٥٢٢ ، ص ٥٢٣ .

المماليك في مصر والشام فرحب به الملك الناصر [١] ، وقال له: ((إن عسكري وخزانتي ومملكتي في تصريف الأمير تيمورتاش)) [٢].

استمرت هذه المعاملة الحسنة من قبل السلطان الناصر لفترة قصيرة لأن الأمير تيمورتاش كان يحب التفاخر ، كما أنه عمل على الإيقاع بين الأمراء وبين حاشية السلطان ، فلما علم الملك الناصر بذلك غضب على الأمير تيمورتاش ، وزاد غضبه عليه عندما علم بإحضار أتباع الأمير جوبان الذين كانوا متحصنين في إحدى القلاع من بلاد الروم إلى مصر ولكنهم رفضوا الحضور [٣] ، فأوحى بعض الأمراء إلى الملك الناصر أنّ الأمير تيمورتاش هو من أمرهم بعدم الحضور لأنه ينوي الرجوع إلى بلاد الروم ليحكمها ، كما قدم إليه حاكم قلعة أنطاكيا [٤] ويدعى ابن فرمان واخبره ان الامير تيمورتاش قتل والده وانه جاء مطالباً بدم ابيه اضافة الى ذلك أبلغ السلطان الناصر ان الامير تيمورتاش قد اخذ ضرائب ثقيلة من اهالي بلاد الروم بالقوة ، فأمر الملك الناصر بالتحقيق في الامر ومع ان الامير تيمورتاش نفى عن نفسه التهمة الا ان الملك الناصر ظل يسيء الظن به [٥].

وبعد فترة من اقامة الامير تيمورتاش لدى السلطان الناصر ، تلقى الاخير رسالة من ابي سعيد خان فيها تفاصيل مقتل الامير جوبان ، ويطالبه بتسليم الامير تيمورتاش حياً ، وفي ذلك الوقت كانت العلاقة جيدة بين الملك الناصر وبين ابو سعيد خان ، مما جعله يوافقه على طلبه [٦] لكنه كان يخشى من عزة وهيبة الامير تيمورتاش وما احدثه من مكائد في مصر فاراد التخلص منه خوفاً من ان تقوم بغداد خاتون بالتدخل وتنقذه من الموت ، فارسل الامير تيمورتاش معهم ، لكن بنفس الوقت بعث بجماعة من الاكراد سراً في طريق ايران وامرهم

---

(١) ابرو، ذيل جامع، ص ١٨١ ؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٢/ ص ٧١ .

(٢) ابرو، ذيل جامع، ص ١٨١.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٢/ ق١/ ص ٢٩٧ ؛ ابو الفداء، المختصر، ٤/ص ٩٩ .

(٤) قلعة أنطاكيا: تقع باسيا الصغرى على شاطئ البحر المتوسط ؛ المقريزي، السلوك، مج٢/ ج١/ ص ١٩٧ هامش رقم (٢).

(٥) المقريزي، السلوك، ج٢/قسم ١/ ص ٢٩٧ ؛ ابو الفداء، المختصر، ٤/ ص ٩٩ .

(٦) ابو الفداء، المختصر، ٤/ ص ٩٩ ؛ الامين، المغول، ص ٣٨٥ ؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ١/ ص ص ٢٨٨ .

بان يقبضوا عليه ويقتلوه ، فنفذوا الأمر وقتلوه في ٤ شوال سنة (٧٢٨هـ/١٣٢٨م) وقطعوا راسه وارسلوه الى ابي سعيد خان في اوجان [١].

بعد ذلك ارسل السلطان الناصر رسالة الى ابي سعيد خان يقول فيها أنه قتل تيمورتاش بعد ان ظهر له خبث نيته وبعدما تبين له ان وجوده بينهم يفسد الصداقة التي تربطه بابي سعيد خان ، وطلب اليه مقابل ما فعله ان يرسل اليه (قراسنقر) احد الامراء الفارين منه والذي لجأ الى ايران في عهد اولجايتوخان ، ولكن رسالة السلطان الناصر وصلت متاخرة الى ابي سعيد خان الذي اكتشف ان الأمير قراسنقر قد مات حتف انفه ، وبذلك ظلت الصداقة التي كانت تربط الطرفين قائمة [٢].

اما بقية ابناء الامير جوبان منهم الامير محمود الذي كان يحكم ارمينية وكرجستان (جورجيا) ، امر ابو سعيد خان باعتقاله وقتله سنة (٧٢٨هـ/١٣٢٨م) في تبريز ، اما الابناء الباقين منهم (سوكشاه) (وياغي باشي) و (نوروز) وهؤلاء الثلاثة من ام واحدة ولم يكن لهم دور يذكر [٣].

وبذلك انتهت اسرة الجوبانيين التي تعد من أقوى الاسر التي حكمت في دولة المغول ، والذي عد ضربة قاصمة للايلخانيين ، خاصة سقوط رجل قوي مثل الامير جوبان الذي كان على راس الجيش والادارة ، وكل صغيرة وكبيرة في الدولة بيده ، ولم يأتِ شخص بقوته ويستطيع احلال محله ، فكان سقوط هذه الاسرة سبب من اسباب سقوط الدولة الايلخانية.

سادساً: وزارة غياث الدين بن رشيد الدين للايلخان أبي سعيد:

بعد مقتل الوزير دمشق خواجة سنة (٧٢٧هـ/١٣٢٧م) بأمر من أبي سعيد خان [٤] فكر فيمن يخلفه على هذا المنصب ، فقرر تعيين غياث الدين محمد بن رشيد الدين الهمذاني ، وقد استشار في ذلك الامراء والأعيان فاتفقت كلمتهم جميعاً بالموافقة على هذا الرأي [٥] ، وقد

---

(١) اقبال، تاريخ المغول، ص ٣٧٦- ص ٣٧٧ ؛ الامين، المغول، ص ٣٨٥ .

(٢) اقبال، تاريخ المغول، ص ٣٧٧ ؛ الصياد، الشرق الاسلامي، ص ٤٦٥ ؛ الامين، المغول، ص ٣٨٥ .

(٣) الصياد، الشرق الاسلامي، ص ٤٦٦ ؛ الامين، المغول، ص ٣٨٦ .

(٤) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ص ٧٨ ؛ الغياثي، التاريخ الغياثي، ص ٥٨ .

(٥) ميرخواند، روضة الصفا، ٥/ ص ١٣٢ ؛ خواندمير، حبيب السير، مج٣/ ص ٦٦ .

وقد تحدث البدليسي عن تعينه وعن مؤهلاته بقوله: ((ولما تداول في صدد ذلك مع الأمـــراء والأعيان اتفقت كلمتهم جميعاً باللفظ والمعنى على أن غياث الدين هو الشخص الوحيد الـــذي يمكنه القيام بكل جدارة ومهارة بمهام هذا المنصب العظيم ، ومن الأمنـــاء الخـــاص والعـــام ورعاية مصالح الجمهور بالقسطاس المستقيم ، فضلاً عن انه يتمتع بسمو الحسب وعلو النسب والمهارة في العلوم العقلية والنقلية والمعرفة بقوانين الوزارة وتقاليدها ، والعلم بـــدقائق فـــن الحساب))[1] ، إذن كانت هناك مؤهلات كثيرة لغياث الدين محمد لكي يتولى هكذا منصـــب ، وبعد أن حصل أبو سعيد خان الموافقة من قبل الأمراء تحدث معهم قائلاً: ((منذ اللحظة التـــي خرج بها ابوه عن الديوان لم أرَ بعد ازدهاراً في أعمال الحكومة ، وقد جربت جميـــع الـــذين تصدوا لشغل هذا المنصب ، فلم يكن واحد منهم قط يصلح لهذا العمل))[2].

وعلى اثر ذلك استدعى أبو سعيد خان غياث الدين محمد وعهد إليه بمنصب الـــوزارة سنة (٧٢٧هـــ/١٣٢٧م) [3] ، وأشرك معه علاء الدين محمد بن عماد المستوفي وكـــان مـــن أعيان خراسان وقد استمر يعمل معه مدة ثمانية شهور ، إلى أن استقل بعمله بالأمور الماليـــة والاستيفاء ، وأصبح غياث الدين يعمل وحده في الوزارة ، وبدأ يصرف شؤون الدولة وأحسن سياستها ، وأدخل الكثير من الإصلاحات في الدولة ، حتى أن اغلب المؤرخين أشاد بـــه فقـــد كان ((جميل الصورة ، وافر العقل ، صائب الرأي ... والسعي في الصلح بين التتار وأهـــل الإسلام ، ورد المواريث إلى ذوي الأرحام))[4] ، كما أبدى مهارة فائقة فـــي أكثـــر الفنـــون والعلوم واشتهر بطلاقة اللسان وفصاحة البيان وحسن الخلق ولطف الطباع ، وسلامة النفس ، وتفتح الذهن [5] ، وفي عهده أبطل الكثير من المكوس والضرائب الظالمة وتحســـنت أحـــوال الناس وقويت العلاقات مع البلاد المجاورة [6] ، كما انه عمل على توفير الأمـــن والأمـــان ،

---

(١) شرفنامة، ٢/ ص ٣٠.

(٢) ابرو، ذيل جامع، ص ١٢٦ .

(٣) الذهبي، العبر، ٤/ص ١٠٤ ؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ٤/ص ٢٥٢ ، غياث الدين، التـــاريخ الغياثي، ص ٦١ .

(٤) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ، ٤/ ص ٢٥٢ .

(٥) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٨١ .

(٦) طلس، عصر الانحدار، ص ٢٨ .

وكسب حب الجيش والرعية ، واهتم بالزراعة والعمارة ، وسعى من اجل تدعيم أركان الدين وتثبيت الشريعة الإسلامية ، وبسبب عدالته نعم الناس بالرفاهية والسعادة ، إضافة إلى اهتمامه بالعلماء والفقهاء حيث كان يحضر مجالسهم ويغدق عليهم الأموال والهدايا (١).

لقد استولى الرعب على الأمراء والأعيان الذين سبق أن عملوا على الإيقاع بـــالوزير رشيد الدين الهمذاني ، لما رأوا أنّ مكانة ابنه الوزير غياث الدين محمد قد ارتفعت وسلطته لا يحدها حدود ، لكنهم كانوا مخطئين في ظنهم لأن الوزير غياث الدين كان حسن السيرة ولـــم يفكر في الانتقام منهم بل أنه عفا عنهم وغمرهم بعطفه وإحسانه (٢).

شهدت الدولة الايلخانية خلال فترة حكم الايلخان أبي سعيد والوزير غياث الدين محمد الكثير من الفتن والمؤامرات من قبل الأمراء ، فقد تعرض الوزير غياث الدين بن رشيد الدين في بداية عمله لمؤامرات قام بها جمع من الأمراء على اثر اتساع سلطاته وفي مقدمتهم الأمير نارين طغاي من الأمراء الطموحين الذي كان يرى في غياث الدين عقبة في ســبيل وصـــوله إلى أهدافه ، لأنه كان يرغب في الحصول على منصب أمير الأمـــراء بعــد مقتــل الأميـــر جوبان(٣).

إلاّ أنّ أبا سعيد خان رفض تعيين أي شخص في هذا المنصب ، ولكنه اسند إليه حكم ولاية خراسان لكي يبعده عن بلاطه (٤) ، فتوجه نارين طغاي إلى خراسان وهناك بـــدأ يثيـــر الفتن والقلاقل فاستولى على هراة في حين أنّ أسرة آل كرت كانت تتوارث الحكم في هـــراة لفترة طويلة ، فلما سمع الوزير غياث الدين بذلك اصدر أمراً بموافقة أبي سعيد خان بـــأن لا يتدخل الأمير نارين طغاي في آل كرت فغضب الأمير نارين طغاي حال سماعه هذه الأنبـــاء وصمم على الانتقام من الوزير غياث الدين ، حيث اعد خطة محكمة للقضاء عليه (٥) ، ففـــي تلك الفترة انتشرت الإشاعات حول الثورات في خراسان واحتمال هجوم مغول الجغتاي حكام

---

(١) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٨١ .

(٢) القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٦١١ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٨٣ ؛ البدليسي، شرفنامة، ٢/ ص ٣١ .

(٣) ابرو، ذيل جامع، ص ١٨٥ ؛ البدليسي، شرفنامة، ٢/ ص ٣٢ ؛ اقبال، تاريخ ايران، ص ٤٩٣ .

(٤) ميراخواند، روضة الصفا، ص ٥٣٦ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٨٤ .

(٥) اقبال، تاريخ المغول، ص ٣٣٨ ؛ اقبال، تاريخ ايران، ص ٤٩٣ .

بلاد ما وراء النهر ، وهذه الإشاعات كان الأمير نارين طغاي هو من يروجها ، لكي يرسل له أبو سعيد خان يد المساعدة ويستطيع استمالة الأمراء إلى جانبه ، وفعلاً اصدر أبو سعيد خان أوامره إلى خاله علي باديشاه وعدد من الأمراء منهم طاشتيمور ومحمد بك بالذهاب إلى خراسان ، فلما وصلوا إلى هناك اخبرهم الأمير نارين انه لا يوجد خطر على خراسان وإنما أراد إقناعهم وتأليبهم ضد الوزير غياث الدين للخلاص منه لأنه أصبح صاحب السلطة الحقيقة في البلاد [1].

وبعد ذلك عادوا إلى مقر الايلخان أبو سعيد خان ففشى بعض الأمراء الحديث الذي دار بين الأمير طغاي وبين علي بيشاه وطاشتيمور ومحمد بك لأبي سعيد خان ، فغضب غضباً شديداً إلاّ أنه عفا عن خاله علي باديشاه بشفاعة والدته ، وأمره بالذهاب إلى بغداد لكي يسلم الأمير طاشتيمور إلى الوزير غياث الدين لمحاكمته ، إلاّ أنّ الوزير غياث الدين قرر العفو عنه رغم معرفته أن المؤامرة كانت موجهة ضده وأرسله إلى خراسان [2] ، وهناك التقى بالأمير نارين وتحالفا سوية للقضاء على غياث الدين ، وانضم إليهم علي بيشاه ثانية وخلال تلك الفترة بقى طاشتيمور في قزوين بانتظار تنفيذ الخطة ، في حين أنّ الأمير نارين توجه إلى السلطانية [3] لضم حلفاء جدد لتنفيذ مؤامرته ، ولكنه لم يفلح فقرر إعداد خطة لاغتيال الوزير غياث الدين ، عن طريق المكر حيث ذهب إلى منزل الوزير غياث الدين ومعه أتباعه الذين حملوا أسلحتهم وأخفوها في ثيابهم ، ثم طلب الأمير نارين مقابلة الوزير غياث الدين مدعياً أن لديه طلب يريد أن يقدمه إليه ، فوافق غياث الدين وأمر بإدخاله ، ولم يكن يتصور بأن هناك مؤامرة لقتله ، لكن أخيه شريف الدين أحمد كان متنبهاً وأخبر الأمير نارين أن لديه أوامر بمنع دخول أي شخص معه أسلحة ، فجرده من الأسلحة وطلب منه الدخول لوحده ، ووقف على الباب لكي يمنع أتباع الأمير نارين من الدخول ورائه ، وبذلك

---

(١) الصياد، الشرق الاسلامي، ص ٤٦٦؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ٢٢٧.

(٢) اقبال، تاريخ المغول، ص ٣٣٨ .

(٣) اقبال، تاريخ المغول، ص ٣٣٩ .

فشلت مخططات الأمير نارين في قتل الوزير غياث الدين [١] ، فتقدم إليه وطلب منه أن يتشفع له عند أبي سعيد خان لكي يعفو عنه ويحسن استقباله ، فأجابه غياث الدين إلى طلبه ، وقـــرر الذهاب إلى القصر للتحدث مع أبو سعيد خان ، أمّا الأمير نارين طغاي فقد كان يتربص به ، اذ أسرع مع أتباعه إلى المدرسة المجاورة للقصر لكي يتمكنوا من تنفيذ مخططهم فـــي قتـــل الوزير ، لكن خطتهم فشلت أيضاً لأن غياث الدين سلك طريقاً آخر وتمكن من الوصول إلـــى أبي سعيد خان وكان جلّ اهتمامه هو أن يبر بوعده للأمير نارين ويتكلم فـــي مصـــلحته [٢] ، فلما سمع الايلخان أبو سعيد كلام الوزير أثارته الدهشة ، وسأل غياث الدين إن كـــان يجهـــل المؤامرة التي يدبرها الأمير نارين ضده ، فأجاب غياث الدين أنه ليس له علم بالمؤامرة وقال للايلخان: ((إذا كان نارين يريد بي شراً فإن الشر الذي أراده سيحيق به لا محالة))[٣] ، عندئذ اصدر أبو سعيد خان أوامره على الفور بالقبض على الأمير نارين ، الذي أدرك أنّ الـــوزير غياث الدين قد سلك طريقاً آخر ، فأسرع مع أتباعه كي يتمكن من اللحاق بغياث الدين علـــى باب القصر ، وفي السوق [٤] قابله أحد أصدقائه واخبره بأن أبا سعيد خان قد أمـــر بـــالقبض عليه ، فأسرع بالفرار مع أتباعه لكن الحظ لم يحالفه فقد لحق به حراس القصر ، وتمكنوا من القبض عليه وعلى أتباعه واحضروه أمام أبي سعيد ، الذي حكم عليه بالموت [٥] هو والأمير طاشتيمور [٦] في أول أيام عيد الأضحى سنة (٧٢٩هـ/١٣٢٩م) في مدينة السلطانية وعلقت رؤوسهما على بوابة قلعة المدينة ، وبذلك تلقوا الجزاء الذي يستحقونه ، وفي نفس الوقت ثبت أنّ علاء الدين محمد الذي سبق أن اشترك مع غياث الدين في الوزارة تورطه في المـــؤامرة ضد غياث الدين إلاّ أنّ الاخير تنازل عن حقه واستشفع له عند أبو سعيد خان إلى أن عفا عنه

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج١/ص ٦١ – ص ٦٢ ؛ خوانـــدمير، دســـتور الـــوزراء، ص ٣٨٤ ؛ الصياد، الشرق الاسلامي، ص ٤٧٠.

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج١/ص ٦١ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٨٤ ؛ الصياد، الشـــرق الإسلامي، ص ٤٧٠ .

(٣) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٨٤ .

(٤) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج١/ص ٦٣ ؛ خواندمير، حبيب السير، ص ٦٧ .

(٥) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٨٥، البدليسي، شرفنامة، ٢/ص ٣٢.

(٦) ابرو، ذيل جامع، ص ١٨٦.

وأطلق سراحه وعهد إليه بحكم ولاية خراسان [١] ، وبذلك انتهت هذه المؤامرة بالفشل واستمر غياث الدين يزاول عمله في الوزارة.

لم يكتفِ الوزير غياث الدين بالاهتمام بشؤون الوزارة فحسب بل أنّ الايلخان أبو سعيد كان يعتمد عليه في كثير من الأمور ، منها قيادة الحملات العسكرية ففي أواخر سنة (٧٣٥هـ/١٣٣٥م) قام اوزبك خان مغول القبجاق بمهاجمة أران واذربيجان من بلاد إيران ، فكلف أبو سعيد خان الوزير غياث الدين لقيادة هذه الحملة والتوجه إلى قراباغ [٢] ، ثم لحق به أبو سعيد خان مع جيش كبير للدفاع عن هذه المدن وكان ذلك سنة (٧٣٦هـ/١٣٣٦م) وكان الجو شديد الحرارة فهلك معظم جيش أبو سعيد خان نتيجة الأمراض والأوبئة القاتلة وكذلك أصيب أبو سعيد خان بمرض شديد ألزمه الفراش ، وأدى به في النهاية إلى الموت وكان ذلك في ١٣ ربيع الثاني من نفس السنة [٣] فحمل جثمانه إلى العاصمة السلطانية ودفن بجوار قبر أبيه وعمره كان لا يتجاوز الثانية والثلاثين [٤].

سابعاً: تحكم غياث الدين بالسلطة بعد وفاة أبي سعيد خان:

بعد وفاة الايلخان ابي سعيد سنة (٧٣٦هـ/١٣٣٦م) [٥] ، القي القبض على زوجته بغداد خاتون لأنها اتهمت بدس السم له بسبب حقدها عليه لأنه قتل أبيها وأخويها [٦] ، وكذلك لأنه تزوج ابنة أخيها دمشق خواجة وتدعى دلشاد خاتون والتي كانت تحظى بشخصية قوية وذات جمال ودلال وأصبحت في المرتبة الأولى في الدولة بينما أهمل أبو سعيد خان شأن

---

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج١/ص ٦٣ .

(٢) البدليسي، شرفنامة، ٢/ص ٣٤ ؛ الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٤٧٢ .

(٣) ابرو، ذيل جامع، ص ١٨٨ ؛ ميرخواند، روضة الصفا، ٥/ص ٥٣٤ ؛ خواندمير، حبيب السير، مج٣/ج١/ص ٢١٩ ؛ البدليسي، شرفنامة، ٢/ص ٣٤- ص ٣٥ .

(٤) الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٤٧٣ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ٤٢٨ .

(٥) ابرو، ذيل جامع، ص ١٨٨ ؛ ميرخواند، روضة الصفا، ج٥/ص ٥٣٤ ؛ خواندمير، حبيب السير، مج٣/ج١/ص ٢١٩ ؛ البدليسي، شرفنامة، ج٢/ص ٣٤- ص ٣٥.

(٦) العمري، ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: أحمد عبد القادر، (أبو ظبي، ٢٠٠٣م، ج٣، ص ١٧٥ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠ ، ص ١٧٦ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ج١، ص ٥١٩.

بغداد خاتون ، فقررت الانتقام منه وقتله [1] ، وكان الذي اتهمها بهذا الاتهام الــوزير غيــاث الدين وعدد من الامراء ممن تضايق من سطوتها ، وفي أثناء التحقيق اعترفت بغداد خــاتون بجريمتها فصدر الحكم باعدامها الذي نفذ في أواخر ربيع الآخر سنة (٧٣٦هــ/١٣٣٦م)[2].

ومن المعروف أنّ الايلخان أبو سعيد لم ينجب أولاداً من الذكور وهذا خلــق مشــكلة كبيرة حول ولاية العرش ، وكان لابد للوزير غياث الدين الذي كان يتحكم بزعامــة الدولــة الايلخانية والذي استمر يزاول عمله بعد وفاة أبي سعيد خان ، أن يجد حــلاً لهــذه المشــكلة الكبيرة للحفاظ على كيان الدولة من السقوط ، وكانت المعضلة الحقيقية هي فقــدان الأســرة لبديل عن أبي سعيد خان [3] ، بعد أن تخلص الايلخانات السابقون من منافسيهم أمثال غــازان خان الذي تخلص من أمراء أسرة هولاكو إما بقتلهم أو تجريدهم من امتيازاتهم كما أنّ الباقون من أبناء الأسرة الحاكمة قد اندمجوا مع السكان المحليين خوفاً من القتل والكثير مــنهم تعمــد إضاعة نسبه حفاظاً على حياته كي لا يتهم بالتآمر على الايلخان ، وفي ذلك يــذكر المــؤرخ العمري وهو معاصر للأحداث فيقول : ((لم يبقَ أحد محقق النسب فأهل هــذا البيــت تفــانوا بعضهم على يد البعض لخوف القائم منهم على ملكه حتى أنّ الكثير من أبناء ملــوكهم كــانوا يتخوفون من الملك القائم ، وبعضهم كان يخلد إلى الحرف والمهن لتســقط همتــه ، فيتــرك ويجعل هذا سبيلاً للخلاص مطلباً للسلامة حتى أنّ بعضهم كان قد عمل نساجاً وبعضهم عمل في الأدم وبعضهم باع الشعير علفاً ومن هذا قال ويقال في انساب كل منتسب مــنهم لكثــرة التخليط من الأمهات ومخالطة آبائهم العوام حتى خفت أنسابهم فجهلت أحوالهم)) [4].

وهكذا واجه الوزير غياث الدين صعوبة في إيجاد شخص ينحدر من أسرة الايلخــان ويحل محل أبو سعيد خان ويتمكن من خلاله من أن يقبض على زمام الحكم ، إلى أن استطاع بعد شد وجذب مع الأمراء والخواتين أن يجد شخصاً يدعى ارباخان ، الذي كان جندياً مغموراً عاش شبابه مع عامة الناس فرفع غياث الدين من شأنه وعده من علية القوم وارجع نسبه إلى

---

(1) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، مج٢/ ص ٧٢ ؛ خواندمير، حبيب السير، مج٣/ج١/ص ٢١٩.

(2) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠/ ص ١٧٦ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ج١/ ص ٥١٩ .

(3) الغياثي، التاريخ الغياثي، ص ٦٢– ص ٦٣ ؛ إقبال، تاريخ المغول، ص ٣٤٤ ؛ الاعظمــي، مختصــر تاريخ، ص ١٤٧ .

(4) مسالك الأبصار، ج٣، ص ٢٠ ؛ القرماني، أخبار الدول، ص ٢٨٨.

أريق بوقابن تولوي بن جنكيز خان ، وأريق جوقا هو الأخ الأصغر لهولاكو ، وكذلك كانت هذه وصية أبو سعيد خان الشرعية وهو على فراش الموت للوزير غياث الدين لحكم ارباخان كونه من الأسرة الحاكمة [١].

بعد ذلك عقد الوزير غياث الدين مجلس أمراء (قوريلتاي) دعى فيه كافة الأمراء والأميرات والأصهار والقادة ، وفي هذا القوريلتاي اقنع الوزير غياث الدين كافة الحضور بعد جهد كبير في تولية ارباخان على العرش [٢] وكان ذلك في ١٣ ربيع الثاني سنة (٧٣٦هـ/١٣٣٦م) [٣].

وفي تلك الأثناء كان أمير الجيش على جعفر بن وفادار بن الأمير ايرنجين لا يتوسم الخير في الوزير غياث الدين فاتفق مع دلشاد خاتون أرملة أبو سعيد خان على الهروب والانضمام إلى علي باديشاه الذي رحب بهما وسر لانضمامهم إليه واتفق الثلاثة على وضع خطة تتضمن إشاعة أن دلشاد خاتون حامل من الايلخان أبو سعيد ثم قام علي باديشاه بأخذها إلى العراق ، وطالب بأن تكون ولاية العرش للطفل الذي يأتي سواء كان ذكراً أو أنثى [٤].

ثم قام علي باديشاه بالاستيلاء على العراق وحكم على والي بغداد عز الدين معروف ، وشيخ زادة السهروردي زوج أخت الوزير غياث الدين ، وضيق على جميع أكابر بغداد وطلب منهم أموال كثيرة بحيث إذا كان الرجل منهم يملك ألف دينار يأخذها كلها ، ثم قام بمصادرة وأخذ أموال البلاد ، وانضم إلى إتباع علي باديشاه جمع كبير من المفسدين والمتمردين ، مما أدى إلى خوف الناس وسدت الطرقات ، وصار كل شخص يترقب الموت في أي لحظة [٥].

---

(١) ميرخواند، روضة الصفا، ص ٥٣٥ ؛ الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢/ج١/ ص ٦٥ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ٢٣٢ .

(٢) اليونيني، نزهة النظار، ص ٢٩٠- ص ٢٩١ ؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢/ ص ٢٩٠ ؛ النجار، العراق في العهد الجلائري، رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الآداب، جامعة الموصل: ٢٠٠٥)، ص ٣٠ .

(٣) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٤/ص ٢٥٣ ؛ العاني، نوري عبد الحميد، العراق في العهد الجلائري، (فاس: ١٩٨٦)، ص ٢٢ .

(٤) الغياثي، التاريخ الغياثي، ص ٦٥- ص ٦٦ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ج١/ ص ٥٢٣ ؛ ص ٥٢٤ .

(٥) الغياثي، التاريخ الغياثي، ص ٦٦ – ص ٦٧ ؛ العزاوي، تاريخ العراق، ج١/ ٥٢٣ .

لقد جرت مراسيم تعيين ارباخان بسرعة كبيرة بعد تشييع جنازة ابو سعيد خان بمــدة وجيزة بسبب تعرض البلاد لهجوم خطير من قبل خان مغول القفجاق اوزبك الذي كان طامعاً في السلطة ، ولما وصلت الاخبار الى علي باديشاه قرر تأجيل هجومه لحــين حســم مســألة اوزبك خان ، اما ارباخان فقد قرر التوجه بعساكره نحو جيش اوزبك خان ، فارسل اوزبــك رسولاً يدعى شيخ زادة بن بروانة الى الوزير غياث الدين للتفاوض معه ، وجــرى بينهمــا حواراً سجلته المصادر التاريخية ، حيث قال شيخ زادة للوزير غياث الدين: ((اننا من نســل جنكيز خان ونحن من عصبات ابي سعيد ، فحيث توفي وماله وارث غيرنا فميراثه يصل الينا ، فكيف يسلمون ارثه الى غيرنا ويجلسونه على التخت ظلماً وانتم تعرفــون ذلــك)) فاجابــه الوزير غياث الدين قائلاً: ((اما قول اوزبك فاظهر من الشمس ، واما صلاح نفســه وســلامة صدره فأبين من الامس واتصال نسبه بجنكيز خان ، فإنه معلوم لاشك فيه ولا شبهة تعتريه ، ولكن جنكيز خان في حال حياته قسم مملكته على اولاده فحصــلت تلــك الممالــك باســرها وانحصرت في السلطان اوزبك لاصوله وهو باقٍ بايديكم وما ينازعكم أحد بــه. وامــا هــذه المملكة فانها لاولاد تولوي خان وصلت الان من الملك بوصيته ، ثم اخبــره بأنــه لا يجــوز لاوزبك خان ان ينازعهم فيها)) ، فلما سمع شيخ زادة هذا الكلام ، وجد أنه ليس لهم المقــدرة والامكانية على مواجهتهم ، ثم رجع خائفاً وعرض على اوزبك خان قول الوزير فقرر اوزبك خان الانسحاب مع جنوده ، ولما وصل ارباخان وجيوشه لم يجدوا أثراً لاوزبك خان وجنــوده ، فرجع مع الوزير غياث الدين وجنوده منصورين ظافرين [1] ، وتم تخليص البلاد من ذلــك الخطر العظيم [2].

بعد الانتصار الكبير الذي حققه ارباخان بمساعدة الوزير غياث الدين قرر الزواج من ساقي بك أخت الايلخان ابو سعيد وأرملة الأمير جوبان ليتمكن من توطيد حكمــه ، ثــم قــام بحملة شعواء استهدفت تصفية كل من شك في أمر الولاء له ، منهم الملك السعيد شرف الدين

---

(1) الغياثي، التاريخ الغياثي، ص ٦٧-٦٨ ؛ مرتضى افندي، كلشن خلفــا، ص ١٦٢ ؛ العــزاوي، تــاريخ العراق، ١/ ص٥٢٤- ص ٥٢٥ .

(2) ابرو، ذيل جامع، ص ١٩٣- ص ١٩٦ ؛ اليونيني، نزهة النظار، ص ٢٩٠ ؛ اقبال، تاريخ المغول، ص ٣٤٥ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ٢٣٣ – ص ٢٣٤ ؛ الاعظمي، مختصر تاريخ البصرة، مطبعة الفرات (بغداد: د ت)، ص ١٢٠ .

محمود اينجو بدون تحقيق وبحجج واهية مدعياً بأنه يحتضن شخص من نسل هولاكو ويعده للعرش بعد التخلص منه وهكذا ذهب عدد كبير من الأمراء ممن كانت لهم مكانة كبيرة في البلاد ضحية هذه الشكوك [١].

أثار هذا العمل مخاوف الكثير من الأمراء فقرروا الهروب والانضمام الى علي باديشاه منهم الأمير جلال الدين ووالده مسعود شاه والأمير شيخ أبي إسحاق وغيرهم من الأمراء [٢] ، ففرح علي باديشاه بانضمامهم إليه لأنه كان يحقد على الوزير غياث الدين لأنه رفض منحه منصب أمير الأمراء رغم نصيحة بعض الأمراء له على إعطاءه هذا المنصب تجنباً للفتن والقلاقل ، وهكذا أصبح أمر المواجهة بين الطرفين أمراً حتمياً ، ولكن حدث ان تنصلت دلشاد خاتون من الاتفاق الذي عقدته مع علي باديشاه واعترفت بأنها غير حامل ، فلما راى علي باديشاه موقفها قرر البحث عن بديل ، فدعا إليه شخص يعمل نساجاً من المغول المقيمين شتاءاً حول داقوق وأعلن أنه من نسل بايدوخان وسماه موسى خان وقرر اجلاسه على العرش بالقوة بعد خلع ارباخان ، وبدأ استعدادته لتنفيذ ما اعتزم عليه [٣].

فلما سمع الوزير غياث الدين باتفاقهم انكر عليهم افعالهم وارسل اليهم رسائل يحذرهم فيها ويامر علي باديشاه في الدخول في طاعة الايلخان ومقابل ذلك يضمن له المعاملة الحسنة من قبل الايلخان وحصوله على مكاسب مادية ، الا ان علي باديشاه اصر على خوض المعركة ضد ارباخان [٤] ، عندئذ قرر ارباخان قبل خوض المعركة التخلص من الامراء المشكوك في ولائهم خوفاً من ان يغدروا به في المعركة وينضموا الى علي باديشاه ، الا ان الوزير غياث الدين نصحه بعدم سفك الدماء حتى لا يفقد انصارا ربما يكونون مخلصين له ،

---

(١) ابرو، ذيل جامع، ص ١٤٧ ؛ اقبال، تاريخ المغول، ص ٣٤٥ ؛ الجاف، الوجيز، ٢/ص ٣١٤ .

(٢) اقبال، تاريخ المغول، ص ٣٤٥ ؛ الجاف، الوجيز، ج٢/ ص ٣١٤ .

(٣) ابرو، ذيل جامع، ص ١٤٨- ص ١٤٩ ؛ ميرخواند، روضة الصفا، ج٥/ ص ٥٣٧ ؛ خواندمير ، حبيب السير، ج٣/ ص ٢٢٣ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٨٥ ؛ الغياثي، التاريخ الغياثي، ص ٦٨- ص ٦٩ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولي، ص ٢٣٦ .

(٤) ابرو، ذيل جامع، ص ١٩٣ ؛ ميراخواند، روضة الصفا، ص ٥٣٧ .

الا أنه كان بنفس الوقت يستهين بهم ويقلل من شأنهم [1] ، اما علي باديشاه فقد عمل على تشكيل حكومته قبل خوض المعركة ، فقد اختار جمال الدين بن تاج الدين علي شيرواني وزيراً له ، وسك النقود باسمه وامر بأن يخطب له على المنابر [2] ، ثم اتخذ جيشاً مؤلفاً من مغول الاويرات [3] ، اضافة الى المتطوعين من العرب والاكراد [4] ، وسار بهم لقتال ارباخان والوزير غياث الدين في شهر رمضان سنة (٧٣٦هـ/١٣٣٦م) قرب شاطئ نهر جفتانو[5] عند مراغة [6] ، وقد جعل ارباخان نفسه على قلب الجيش ، ووقف في صفوفه كأي كأي جندي عادي ، اما الوزير غياث الدين فقد كان على الميسرة ، ولما رأى علي باديشاه ان جيش ارباخان يفوق جيشه عدداً وعدة اتبع اسلوب المكر والخداع ، فأرسل شخصين من رجاله الى الوزير غياث الدين واخبراه بهزيمة ارباخان ، وفي نفس الوقت أرسل رسولين الى ارباخان حيث اخبراه بهزيمة وزيره غياث الدين ، ففعلت هذه الأخبار فعلها في نفس ارباخان والوزير غياث الدين ودخل اليأس والخوف نفسيهما وانتقل هذا الامر الى صفوف الجيش فتفرقت صفوفهم أما علي باديشاه فقد استغل هذا الأمر وأرسل إلى الأمراء الذين كانوا إلى جانب ارباخان منهم الامير زادة محمود والأميران كرنج وسلطان شاه ومسعود ايسن قتلغ ، حيث فكر هؤلاء ان ارباخان رجل فيه صلابة والوزير غياث الدين لا يعطي لأحد منهم فرصة في ان يحققوا طموحاتهم في السلطة ، فقرروا الانضمام إلى علي باديشاه وتبعهم عدد كبير من الجنود ، ولم يتمكن ارباخان والوزير غياث الدين من تدارك الموقف فادى ذلك الى

([1]) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٧٨ ؛ اقبال، تاريخ المغول، ص ٣٤٧ ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص ٢٣٦ .

(٤) ابرو ، ذيل جامع، ص١٤٨-١٤٩.

([3]) وهي احدى القبائل المغولية التي شاركت المغول في فتوحاتهم وتسلم رؤساؤها ولاية بعض المناطق كخراسان: الغياثي، التاريخ الغياثي، ص ٦٣- ص٦٨ ؛ بارتولد، تاريخ الترك في اسيا الوسطى، ص ٢٥٢ .

([6]) ابرو، ذيل جامع، ص ١٩٤ – ص ١٩٥ ؛ ميرخواند، روضة الصفا، ص ٥٣٨- ص ٥٣٩ .

([5]) مراغة: بلدة مشهورة في اذربيجان تقع على مسافة ٧٠ ميلاً جنوب تبريز ؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله الى العربية: بشير فرنسيس كوركيس، مطبعة الرباط، بغداد، ١٩٥٤م، ص ١٩٨ .

([4]) ابرو، ذيل جامع، ص ١٩٤- ص ١٩٥ .

انهيار معنوياتهم [1] وهزيمتهم وفرارهم من ساحة المعركة [2] ، ووقوع الوزير غياث الـدين في الاسر مع أخيه بير سلطان بالقرب من مراغة [3] ، ورغم ان علي باديشـاه كـان يكـره الوزير غياث الدين إلاّ أنه حاول الإبقاء على حياته نظراً لكفاءته الإدارية وخلقه القويم ، ولكن الامراء المعادين لغياث الدين ضغطوا عليه وأصروا على قتله فقتل في ٢١ رمضـان سـنة (٧٣٦هـ/١٣٣٦م) [4] ، أما ارباخان فقد القي القبض عليه فيما بعد وسلم إلى أسـرة الأميـر شرف الدين اينجو الذي سبق أن قتله ارباخان ، فقتلوه انتقاماً لأبيهم وذلك في شهر شوال سنة (٧٣١هـ/١٣٣٦م).

أما علي باديشاه فهو الاخر لم تستقم له السلطة بعد قضائه على ارباخـان والـوزير غياث الدين إلا مدة قصيرة إذ أسهمت إجراءاته في حصر السلطة والمناصب العسكرية في يد أتباعه من رجال الاديرات مما أدى إلى معارضة الكثير من الأمراء الذين كانوا يرغبون فـي الحصول على مناصب وصلاحيات أوسع [5] ، وعندما لم تتحقق كان من نتائج ذلك ان دخلت دخلت البلاد في فوضى عارمة انتهت بسقوط الدولة المغولية الايلخانية ، وقامت على املاكها الدولة الجلائرية التي اسسها الشيخ حسن بن حسين بن ايلكانويان المعـروف بالشـيخ حسـن الجلائري.

وهكذا كان مقتل الوزير غياث الدين بمثابة نهاية دولة المغول الايلخانيين ، حيث لـم يعقبه أحد على هذا المنصب وبمقتله انتهى دور الوزراء في الصراع على السلطة وكان ذلـك سنة (٧٣٦هـ/١٣٣٥م) .

---

(١) ابرو، ذيل جامع، ص ١٩٤– ص ١٩٥ ؛ ميرخواند، روضـة الصـفا، ص ٥٣٨– ص ٥٣٩ ؛ اقبـال، تاريخ المغول، ص ٣٤٥– ص ٣٤٦ .

(٢) ابرو، ذيل، ص ١٤٩ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٨٦ .

(٣) اليافعي، مرآة الجنان، ج٤/ ص ٢٩٢ ؛ القزويني، تاريخ كزيدة، ص ٢٠٩ .

(٤) ابرو، ذيل جامع، ص ١٤٩ ؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٨٦ .

(٥) ابرو، ذيل جامع، ص ١٥٢ – ص ١٥٣ ؛ توفيق، زرار صديق، كردستان في القرن الثـامن الهجـري، (اربيل: ٢٠٠١) ص ٧٨ .

الخاتمة

- احتفظت الكثير من تنظيمات العراق الإدارية والاجتماعية والاقتصادية في ظل الايلخـانيين بنظم ووظائف الإدارة العباسية فلم تخضع خلال فترة حكمهم لتغييرات جذرية ، وبقى الحـال مستمراً حتى بعد الانفصال التدريجي للدولة الايلخانية التـي كـان (العـراق وإيـران أهـم مقاطعاتها) عن الإمبراطورية المغولية خصوصاً في عهد اولاد هولاكو وأحفاده ، جعل هـذه الدولة تعتمد على نفسها من حيث مصادرها في الرجال والمال واضـطرها علـى التكيـف لظروفها المحيطة بها فأخذت تذوب في المدينة الإسلامية ، وقد كان وزراء الدولة المغوليـة الايلخانية يغلب عليهم الطابع الفارسي الإسلامي كون اغلب الوزراء كانوا من الفرس.

- تمتع وزراء دولة المغول الايلخانيين بمكانة كبيرة في الدولة ونظر اليهم علـى انهـم راس الادارة فبيدهم امر متحصلات البلاد ودخلها ولهم حق التصرف المطلق في الولاية والعـزل والعطاء وكثير من مهام الدولة تقع على عاتقه ، وكان الوزراء لا يشاورون الايلخان إلاّ مـا جل من المهمات وما قل من الأمور خاصة وأن بعضهم أعطي صلاحيات واسعة بحيث استبد البعض منهم كالوزير بوقا الذي فوضه ارغون خان النيابة والامارة في كل صغيرة وكبيـرة من مصالح البلاد ، وانه مهما ارتكب من جرائم فإنه لا يحاسب إلاّ بموافقة الايلخـان ، ممـا جعل بوقا يتصرف في شؤون الدولة دون رقيب أو حسيب وان أوامر الايلخان لم تكن تنفذ اذا لم تختم بختم بوقا ، إضافة إلى بوقا تمتع كثير من الأمراء بهذه المكانة مـنهم سـعد الدولـة اليهودي وعلي شاه الجيلاني وغياث الدين وغيرهم من الوزراء ، مما جعل سـلطتهم تطغـى على سلطة الايلخان وأصبح للايلخان الاسم فقط.

- قدم وزراء دولة المغول الايلخانيين الكثير من الخدمات للدولة لكن برغم ذلك كانت تقابـل بالجحود والنكران ولا يجزى صاحبها بخير ، وكان في حقيقة الأمر في موقف لا يحسد عليه ، وكان منصبه محفوفاً بالمخاطر ويؤاخذ على أتفه الأسباب ، ومعرضـاً فـي أيـة لحظـة للمؤامرات والدسائس من قبل الحاسدين والحاقدين وكان أكثرهم من الأمراء الذين يجدون في هؤلاء الوزراء حجر عثرة تقف في سبيل الوصول إلى مبتغاهم ، فكانوا لا يتورعون في اتهام

الوزراء بأبشع التهم أمام الايلخان كالاختلاس والجاسوسية لصالح دولة المماليك أعداء المغول ، وكانت تلك التهمة من أبشع التهم التي تورد صاحبها مورد الهلاك وكان ايلخانات المغول يأخذوا بهذه التهم ويرجع ذلك إلى عدم الاستقرار الذي كان يسود ذلك العصر ، وقد تعرض كثير من وزراء المغول لهذه التهم منهم الوزير علاء الدين الجويني والوزير رشيد الدين وغيرهم من الوزراء .

- تدخل وزراء المغول الايلخانيين في الصراعات التي كانت تدور بين أفراد الأسرة الحاكمة على ولاية العرش فوقفوا الى جانب هذا او ذاك من الامراء فعند وفاة أي ايلخان تحدث مشكلة كبيرة حول من يخلفه على عرش الايلخانية وهذا الصراع العنيف بين أفراد الأسرة الواحدة كان يحرج مركز الوزير ، ويجعله هدفاً لأحقاد الطامعين المتنافسين فيظل في حيرة من أمره لا يعرف أي الطرق يختار في مثل تلك الأوضاع المزعزعة غير المستقرة التي تجعل الغالب يوماً مغلوباً غداً ، وفي نفس الوقت حدثت صراعات اخرى بين الايلخان وبين الأمراء وكان الوزراء يدخلون طرفاً في الصراع الى جانب الايلخان او ضده ومثال ذلك وقوف وزراء الجوينيين الى جانب الايلخان أحمد تكودار ولكنهم دفعوا حياتهم ثمناً لذلك عندما تولى ارغون منصب الايلخانية الذي امر بقتلهم ، كذلك دخل الامير بوقا في الصراع الى جانب ارغون وأوصله إلى منصب الايلخانية ، والوزير غياث الدين بن رشيد الدين تمكن في التحكم بالسلطة بعد وفاة ابو سعيد خان ووضع ارباخان في ولاية العرش ولكنه دفع حياته ثمناً لذلك ، لذلك نستطيع ان نقول ان وزراء المغول الايلخانيين كانت لهم سلطة في كثير من الاحيان في تولية ايلخان وعزل ايلخان آخر ودورهم مؤثر وبارز في الأحداث السياسية الداخلية في الدولة.

- حدثت تطورات خطيرة في منصب الوزارة على عهد غازان خان بعد توسع الدولة فعمل على تعيين وزيرين في ان واحد لأنه وجد ان وزير واحد لا يكفي لادارة شؤون الدولة ، كما انه اراد من وراء ذلك الحد من صلاحيات الوزير التي بدأت تتوسع بشكل خطير ، فأراد وضع اثنين لكي يكون كلاً منهما رقيباً على عمل الآخر ولكي ينهضان بالتبعات الكبيرة الملقاة على عاتقهم ولقد كان تعيين وزيرين في آن واحد خطأ كبير لأنه عقد الأمور أكثر ، لأنه ادخل الوزراء في صراع عنيف واخذ كل طرف يكيل التهم للطرف الآخر ويوشي به لدى الايلخان ويظهر صحبه بمظهر المخطئ لكي يظهر هو أمام الايلخان بأنه حريص على

مصلحة الدولة والايلخان ، وبالتالي يكسب رضا الايلخان ولم يقف الصراع عند هذا الحد بـل أدى بدوره الى الانتقال بن الموظفين الذين يعملون إلى جانب كل وزير ، فكل فريق يناصـر وزيراً ويتحزب له ومع هذا فكثيراً ما وقع هؤلاء الموظفين لغضب هذا او ذاك من الـوزراء وساهم هذا الأمر إلى تعطيل أعمال الدولة والتقصير المفرط من قبل الوزراء وموظفيهم نتيجة الصراع ، وفي كثير من هذه الصراعات كانت تنتهي بمقتل الوزير ، وان الذي حـدث بـين الوزير رشيد الدين والوزير سعد الدين الساوجي والذي انتهى بمقتل سعد الـدين السـاوجي ، والصراع بين رشيد الدين وعلي شاه الجيلاني ، وانتهى بمقتل رشيد الدين ، وكذلك الصـراع الذي حدث في عهد ابو سعيد خان بين الوزير غياث الدين محمد وأخيه خليفة الـذي عطـل اعمال الحكومة واثر بشكل كبير على ميزانية الدولة مما دعا ابو سعيد خان الى عزلهما مـن منصبهما.

- من خلال تتبعنا لتولي وزراء دولة المغول الايلخانيين نجد أنه لم تكن هناك قاعـدة معينـة لتعيين الوزراء بل كان تعيينهم وفقاً للأهواء الشخصية للايلخانات والأمراء ، فمنهم من كـان قبل توليه الوزارة يعمل تاجراً كعلي شاه الجيلاني ومنهم من كلن طبيباً كرشيد الـدين وسـعد الدين اليهودي او كاتباً كعلاء الدين .

- تعرض موقف الوزراء في كثير من الأحيان إلى الأخطار بسبب فساد النظام المالي للدولـة ، وحب ايلخانات المغول الشديد للمال واسرافهم ، وكان على الوزراء تلبيـة طلبـاتهم مـن الاموال والهدايا في كل المناسبات ، وفي حالة عجز الوزير عن تلبية طلبهم اتهموه بالاختلاس وتبديد اموال الدولة ومن ثم يساق الى المقصلة ، لذلك حرص بعض الوزراء مداراة مصالحهم من خلال توفير المال للايلخانات منهم الوزير سعد الدين اليهودي الذي استغل حب أرغـون خان الشديد للمال فوفر له أموالاً كثيرة عن طريق الضرائب الفادحة التي أخذت بـالقوة مـن الناس فنال بذلك رضاه وعن طريق ذلك تحكم سعد الدولة اليهودي فـي السياسـية الداخليـة للايلخانية ، اما الفريق الآخر من الوزراء فقد دفع حياته بسبب اتهامه باختلاس الأموال مـنهم علاء الدين الذي اضطره الايلخان الى بيع كل املاكه لتسديد الأموال للدولة ، لـذلك عـاش الوزراء في خوف مستمر لأنه معرضون في أية لحظة للاغتيال أو صـدور الحكـم عليـه بالموت.

– من خلال دراستنا لاحظنا أنّ كل وزراء المغول الذين عملوا في كنــف الدولــة المغوليــة الايلخانية كان مصيرهم الموت باستثناء علي شاه الذي مات ميتة طبيعية وكذلك لاحظنا أنــه بعد مقتل الوزراء كانت تتعرض أجسادهم لاهانات بغيضة حيث تقطع جثثهم وتسحل من قبل العوام في شوارع المدن حتى وصلت الحالة لبعض الوزراء منهم سعد الدولة الذي قطع إربــاً وبيعت أعضائه بمئات الدنانير.

– كذلك لاحظنا انه بعد مقتل الوزراء أكفاء كعلاء الدين وشمس الدين ورشيد الدين وغيره من الوزراء الذين طالت فترة حكمهم بالوزارة لم يأتِ بعدهم وزراء أكفاء وان فترة حكم الواحد لم تكن تستمر لأكثر من سنة خاصة في عهد أبو سعيد خان.

– اختلفت تأثيرات وزراء المغول الايلخانيين في السياسة الداخلية للدولة وذلك حسب شخصية الوزراء والايلخانات بدءاً بشمس الدين الجويني فبالرغم مما عرف عن اباقاخان بأنــه كــان حازماً إلاّ أنّ شمس الدين استطاع التأثير على سياسية الدولة في عهده وخاصة انه اســتطاع التأثير على المغول من ناحية موقفهم من المسلمين والاهتمام بأعمار العراق ، أما فــي عهــد أرغون خان فقد تحكم سعد الدولة في السياسة الداخلية للايلخانية حتى لم يبقَ لأرغون ســوى الاسم ، وفي عهد اولجايتوخان حال تنصيب وزيرين الى التنافس الشديد بينهما وبالتــالي لــم يستطيعوا أن يطغوا على الايلخان ، وإذا كان علي شاه قد تحالف مع الأمير جوبان كان وصياً للايلخان أبو سعيد ، أما خلفه غياث الدين فقد استطاع أن يتحكم بالسلطة بعد وفاة أبــو ســعيد وأصبح المتحكم الوحيد بسياسة الدولة إلاّ انه بعد وفاة هذا الوزير لم يأتِ بعده وزير اثر فــي الأحداث السياسية الداخلية وبذلك انتهى دور الوزراء في الصراعات السياسية الداخليــة فــي دول المغول الايلخانيين.

فهرس أسماء ايلخانات الدولة الايلخانية في إيران والعراق

اسم الخان	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
هولاكو	٦٥٤-٦٦٣	١٢٥٦-١٢٦٤
اباقا خان	٦٦٣-٦٨٠	١٢٦٤-١٢٨١
احمد تكودار	٦٨١-٦٨٣	١٢٨٢-١٢٨٤
أرغون	٦٨٣-٦٩٠	١٢٨٤-١٢٩١
كيخاتو	٦٩٠-٦٩٤	١٢٩١-١٢٩٤
بايدو	٦٩٤	١٢٩٤
غازان	٦٩٤-٧٠٣	١٢٩٤-١٣٠٣
محمد خدابندا (اولجايتو)	٧٠٣-٧١٦	١٣٠٣-١٣١٦
أبو سعيد بهادر خان	٧١٦-٧٣٦	١٣١٦-١٣٣٥
اربخان	٧٣٦	١٣٣٥
موسى	٧٣٦	١٣٣٥

من عمل الباحثة

فهرس أسماء وزراء دولة المغول الايلخانيين في إيران والعراق

اسم الوزير	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
ابن العلقمي	٦٥٧	١٢٥٩
علاء الدين الجويني	٦٥٧-٦٨٢	١٢٥٩-١٢٨٤
شمس الدين الجويني	٦٦١-٦٨٣	١٢٦٣-١٢٨٥
بوقا	٦٨٣-٦٨٨	١٢٨٥-١٢٩٠
سعد الدولة اليهودي	٦٨٨-٦٩٠	١٢٩٠-١٢٩١
صدر الدين الزنجاني	٦٩٠-٦٩٧	١٢٩١-١٢٩٧
سعد الدين الساوجي	٦٩٧-٧١١	١٢٩٧-١٣١١
رشيد الدين الهمذاني	٦٩٧-٧١٨	١٢٩٧-١٣٢٠
علي شاه الجيلاني	٧١١-٧٢٤	١٣١٣-١٣٢٦
غياث الدين بن علي شاه	٧٢٤	١٣٢٦
ركن الدين صاين	٧٢٤-٧٢٥	١٣٢٥-١٣٢٦
دمشق خواجة	٧٢٥-٧٢٧	١٣٢٥-١٣٢٧
غياث الدين بن رشيد الدين	٧٢٧-٧٣٦	١٣٢٧-١٣٣٦

من عمل الباحثة

Abstract

Subject of this thesis is Role of the Ministers in the internal political conflicts on the Power in The Elkhani Moguls' State (656-736 A.H/1258-1335 A.D).

I divided the study into preliminary and four chapters:

The preliminary included the early history for Moguls and unifying Mongolia under rule of Jankiz Khan and the Mogul invasion to the Islamic World and establishing of Elkhani Moguls State.

The fist chapter which titled (role of Al-Juwaini Ministers in the conflict on Power in the Elkhani Moguls State till reign of The Elkhan Argon) where I gave in its beginning a brief about the ministry and its birth and development, then I talked about ministers of the Moguls Empire before establishing of the Elkhani Moguls State and about Ibn Al-Alqamy as a first minister for the Elkhans, and followed that in studying Al-Juwaini ministers and about their assumption to ministry office and the conspiracies against them, and their role in the conflict on the power beside Elkhan Ahmed Tokodar who was the main reason in their death at the end.

The second chapter came under title (Buqa and the Jewish Saad Al-Dawla and their role in the conflict on the power on Elkhan Argon's reign, and we talked in this chapter about Buqa and how reached to the ministry office and his conspiracy on the Elkhan Argon and his murder, as well as, we dealing with Saad Al-Dawla's ministry and his tyranny with power and his murder and Jewish losing.

The third chapter titled (ministers' conflict on the four Elkhans reign Kikhato, Baido, Ghazan and Olgaitu) included role of the minister Sadder Addin Al-Zanjani in

the conflict on power between Ghazan and Baido, as well as his conflict with price Nawroz and his murder, then we talking about ministry of Saad Addin Al-Sawchi and Qutb Addin Al-Sherazi and Ali Shah Al-Gelani, and the conspiracies which participated in them and their effects which followed that.

The fourth chapter which titled (role of the ministers in the conflict on power in Abi Saeed and his accessories' reign). We talked about the conspiracy which carry by Ali Shah against Rashid Addin and his murder, then about the conflict between Ghiath Addin Ibn Ali Shah and his conflict with his brother and separated him, as we dealing with ministry of Rukin Addin Sabin and the minister Demashiq Khawaja and the Jubanis losing, then about ministry of Giath Addin Ibn Rashid Addin and his role in the political conflicts which ended with collapsing of the Elkhans Moguls State.

University of Mosul
College of Arts



The role of ministers in the internal political struggles for the authority in the State of the Alalikhanyan Mongols(565-736 A.H / 1258-1335A.D)

Ṣhireen Ăli Aḥmad Al-Sabcϛawy

M.Sc./Thesis

History / Islamic History

Supervised by
Professor

Dr. Ălāɔ Maḥmood Qaddawi

2012 A.M. 1433 A.H